تاريخ نجد

المسمى

روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته

ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية
وذكر السبب الذى حمل على ذلك فنقول :

لم يزل الشيخ رحمه الله مقيما فى بلد العيينة على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعلم الناس دينهم ويميت ماقدر عليه من البدع ، ويقيم الحدود ويأمر الوالى بإقامتها ؛ وفى تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهى : أن امرأة من أهل العيينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعا ، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مرارا فسأل عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته فأمهلها أياما رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار ، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك فكانت أقرت أربع مرات فى أيام متواليات . فأمر الشيخ رحمه الله الوالى برجمها لكونها قد أحصنت ، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت . فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ؛ فخرج الوالى عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان المذكور ، فلما ماتت أمر أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها . فلما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال ، وطارت قلوبهم خوفا وفزعا ، وانخلعت ألبابهم رهبا وجزعا ، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية ، والخصلة المرضية السنية ، والفعلة المحمودة السنية مالم يعاينوا قبله مثله حزن ، ولم يعرج على أسماعهم فى سابق الزمن ، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك ، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك ، كيف وقد أتاهم مالم يحتسبوا ودهمهم مالم يرتقبوا وطاف بهم مالم يسعهم منه أن يهربوا ، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ماليس لهم به دفاع مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع . فيالله العجب كيف تنكر القلوب والعقول سنة

الرسول وتطاولت ألسنة العلماء على من نصر الشريعة وحميت، ولـكن الحب يعمى ويصم لم يكن لهم عدول ولا إباء عن سنة الأسلاف والآباء ، وكذلك شأن النفوس إلى الباطل تميل ، ولايجد وازعا من نفسه إلى الحق إلا القليل . فنحمد الله المولى الجليل أن جعل الشيخ من هذا القبيل ، وبنصر السنة كفيل . ثم إن الشيخ لما أعياهم رد ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمـكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم الظالم سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والحسا ، وكان قبحه الله مغرما بالزنا مجاهرا به غير مختف بذلك ، وحكاياته فى ذلك مشهورة ، وقصصه فيه غير محصورة، فأغروه به وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملـككم ، ويسعى فى قطع ماأنتم عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور . فلما خوّفوه بزوال محبوبه وتفويت مطلوبه كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله أو إجلائه عن وطنه وألزم عليه فى ذلك غاية الإلزام ، وشدد عليه فى حصول القصد والمرام ، وصرح له فى المـكتوب بأنك إن لم تفعل المطلوب فما لك عندى مستباح ، وليس علينافى ذلك من جناح ، فآثر الدنيا على الدين وسلك منهج المبطلين ، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولاعروج، وذلك لما اقتضته الحـكمة الإلهية والعناية الصمدانية من إحياء دارس السنة المحمدية والآثار السلفية، فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المرعية المحروسة إن شاء الله من كل بلية ، فنزل على عبدالله بن سويلم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل إلى تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود أسكنه الله دار الخلود ، قام من فوره مسرعا إليـه ومعه إخوته ثنيان ومشارى ، فأتاه فى بيت أحمد بن سويلم فسلم عليه وبادره بالقبول والتقبيل، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده من جميع من عاداه وكاده ، إلا أنه طلب من الشيخ رحمه الله العهد والميثاق أن لايرحل عن بلده إلى سائر الآفاق ، وهذا من عناية الله تعالى بهذا الرجل وتوفيقه وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه و (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكان الأمير محمد بن سعود فى جاهليته بحسن السيرة معروفا ، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفا ، مشهوراً بذلك دون من هنالك . فعند ذلك أعطاه الشيخ عقد المرام أن لايخرج عنه إلى بلاد ، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى ماخلقوا لأجله ويحثّ على ذلك بخيله ورجله حسب الاستطاعة لايفتر عن ذلك ساعة ،

وكذلك قام معه وزراؤه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه . ومن مشاهيرهم ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمى وعبد الله بن دغيثر وسليمان الوشيقرى وحمد ابن حسين وأخوه محمد وغيرهم ؛ فجردوا للدعوة أمضى سنان ، وأرخوا فى ذلك العنان من غير تراخ ولا توان ، وشهروا سيف العزم وباتر الهمة والحزم ، جزاهم الله خيراً .

وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة فى حدود سنة سبع وخمسين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية . فلما استقرّ به القرار فى محروسة تلك الديار وساعده على إعلان تلك الدعوة الملك القهار ومن ذكرناهم آنفا من الأخيار حشرهم الله فى زمرة الأبرار ، بقى رحمة الله عليه وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من غير شك ولا مين يناصح الناس ، ويكشف عن الحق حجب الالتباس ، ويشيد السنة النبوية بأقوى أساس . وفى خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله قصدهم : منهم عبدالله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبد الله بن غنام وأخوه موسى ، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير . وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان من القدوم على الشيخ وابن سعود من حيلة لما رأى من جماعته وشاهده ، وعلم أن الله رفع للدين مصاعده . فأقبل إليهم وقدم عليهم وحاول الشيخ فى الرجوع إلى بلده فأحال الأمر على محمد بن سعود فأبى ولم يسعفه بالمقصود ، فرجع على عقبه ولم يفز بغاية طلبه . فأضمر العداوة والشر وجدّ فى الغدر والمكر . وفى أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ والأمير محمد بن سعود دهام بن دواس رئيس البلدة المعروفة بالرياض ، فاجتهدوا فى ذلك غاية الاجتهاد . فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض ، بل أعرض عنه نهاية الإعراض واعتاض الدنيا عن الآخرة وبئس الاعتياض ، وحمله على ذلك البغى والحسد اللذان قلّ أن يخلو منهما جسد وينجو منهما أحد ، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين وأن ما يدعو إليه هو الحق المبين ، وقد صح النقل عنه والنطق بذلك منه ، ولكن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له ذلك فى أم الكتاب ، فأبطن عداوة هذا الدين ، وأظهر موالاة المبطلين ، وكان هذا الدين قد فشا فى بلده ودخل فيه كثير منهم ، فإذا رأى من جماعته من يحب هذا الدين ويفشيه أخذ يصادره ويؤذيه ، وإذا رأى عدوا يقربه ويؤويه ، فجعل يتزايد فى العداوة ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة ، ويعلن

بالقبائح الشنيعة والفضائح الفظيعة ، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الذميمة. وكان أبوه رئيساً فى بلد منفوحة متغلبا عليها فقتل أناسا من جماعته من المزاريع ظلماً وعدواناً ، فبقى بعد ذلك زمانا ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض أهل منفوحة فقتلوه وأجلوا إخوانه ، ومن جملتهم دهام وإخوته عبد الله وتركى ومشلب وفهد ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها إذ ذاك زيد بن موسى أبا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب مأثور ، وكان الذى قتله أحد بنى عمه ، وكان معتوه العقل صعد إليه وهو نائم فى علية له فذبحه بسكين معه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله ورماه من رأس العلية ، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغارا وزعم أنه قابض لهم حتى يتأهلوا لذلك . فأقام والياً عليهـا مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفا من أهلها لأمور جرت منه . فأقام فى الحاير مدة ثم أتى منفوحة فأقام بها مدة ، ثم عدا عليه رجل من أهلها كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس ، وكان دهام بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض خادما له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهام ابن دواس بشبهة أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهام، فزعم أنه يكون نائبا عنه فى ذلك حتى يكبر ويعقل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية ويتصل ، وهيهات الرجوع عن الأخلاق والطباع وردع النفوس المجبولة على البغى والأطماع، فجرى مع ابن أخته على عادته وسنته وعامله بما رسخ فيه من جوره وسطوته ، فأجلاه عن البلاد وأخلفه ذلك الميعاد، فبعد صدور هذه القضية واشتهاره بهذه الفعلة الردية كرهه أهل الرياض وسعوا فى عزله إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله ، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصروه فيه ؛ وكانوا عامة وغوغاء ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره ولا مصدر يصدرون عن رأيه وفكرته . فأرسل أخاه مشلباً راكبا فرسا إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية ، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية فعند ذلك قام له محمد بالنصرة أتم قيام ، وأرسل إليـه من الجنود فئام ورئيسهم مشارى بن سعود ، فبلغ دهام بمجيئهم المرام والمقصود، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقتلوا من أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا إمهال ، فبعدها

قرّ ملكه فيها ، وأقام رئيسها وواليها وأقام مشارى عنده شهورا ، ولم يتوقع ماصدر من الخبيث من الشرور ، فاستفحل أمره وتعاظم فجره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بأمور ، وأعلن بفجور تحاكى الأفعال النمرودية والقضايا الفرعونية : فمنها أنه غضب يوما على امرأة فأمر بفمها أن يخاط ويتكرر فى شفتيها تردد المخاط . ومنها أنه غضب يوما على رجل فقطع من فخذه قطعة وقال : لابد أن يسيغها مضغة مضغة فحاول الرجل المعذب بعد أن لم يجد له مهربا أن يأكلها بعد أن تشوى فلم يسعفه بذلك فأكلها نعوذ بالله من البلوى . ومنها أنه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له أنه فك بأسنانه الحديد ، فأمر بمقمعة من حديد فضربت بها أسنانه فتساقطت فى مرة بلا ترديد . ومنها أنه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض أعوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة ، ونظائر محققة شهيرة، فلم يزل فى تلك الحال وأهل بلده يعانون منه التنكيل والوبال، ثم لما من الله تعالى بظهور هذا الدين ولمعت شوارق الحق المبين ونادى منادى المولى الكريم (إنك لعلى هدى مستقيم) دعى دهام إلى هذا الحق الواضح والبرهان الساطع اللائح . فأبى ونفر وأعرض واستكبر بل صد الخلق عن الدخول فيه وحذّر ، وأخذ يسعى لأهله بالمكائد ويترصد فى عداوتهم المراصد ويستليح كل معاند وجاحد . فأول ماتظاهر فى هذا الدين بالعداوة والحرابة وجمع لذلك أعوانه وأحزابه أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه أنه خان أهل منفوحة وهم إذ ذاك قد دخلوا فى هذا الدين ، وللأمير محمد بن سعود من المتبعين ، وهو إذ ذاك مظهر لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق ، ولم يتبين منه قبل هذه الخيانة شقاق . وحاصل ما جرى منه ، وصفة ماصدر عنه أنه عدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادى فرقان من آل ظفير وأهل منفوحة على غرة وغفلة ، لم يتبين من العداوة لهم شىء ، فكمن لهم فى أحد دور البلد ليلا وأمر البوادى والخيل أن تغير على بعض الزروع والنخيل لكى يخرج أهل البلد فيعقبهم الكمين على البيوت . فلما أصبح الصباح وغارت الخيل والبادية على النخيل وفزع أهل البلد عليهم ، ولم يبق فى البلاد أحد من المقاتلة ، خرج الكمين ودهام معهم فلم يخطئوا قصر الإمارة فصعدوه وقهروا البلد وأقاموا فى ذلك ساعة . فلما علم بذلك من خرج رجع على عقبه وانزعج وهموا بالرحيل والنقلة بلا تثبيط ولامهلة حتى إن الله أعقبهم بالنصر والفرج . فانشرح

صدر كل موحد وابتهج . وسبب ذلك أن على بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبت الله أقدامهم وأعانهم وأعظم إكرامهم صعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الامارة ، وبقوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناسا . فلما أعيتهم الحيل وضاقت عليهم السبل ، وتحققوا أنهم إن بقوا ساعة هلكوا ، بعد ماجزموا أنهم ولوها وملكوا ، رموا بأنفسهم من وراء الجدار إذ لم يكن لهم على معاينة الحمام اصطبار ، فهربوا وقد لبثوا ثياب الخزى والخيانة والعار ، وتردوا برداء الردى والشنار ، وصاروا عقبى من ثاواهم وأخفاهم عنده فى تلك الدار . شناعة السمعة ، وحلول الدمار ، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم وفجارهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلى ،وغيرهم نحو الأحد عشر ، وأصيب دهام صوابين وقتل حصانه وقطعت أصابع رجله وهرب هو ومن معه يعض أنامله من شؤم فعله ، ويتجرع حرارة الجرح والصلف ، ويتحسى مرارة الندم والأسف . ثم لما تظاهر بعداوة الدين وعداوة بن سعود وتعزى بذلك وتميز ، وسول له الشيطان أنه لاسياسة قد أحرز حاربه ابن سعود . فلما تيقن ذلك حمله الشيطان من التيه والطغيان على نذر جزور لتاج بن شمسان إن قطع ابن سعود على الفوارة عادين على بلادى . فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون فى قصره فوفوا بذلك الوعد ، وبذلوا لتحقيقه الجهد فأتوا إلى باب القلعة التى فيها قصره فشذبوا الباب بالمنشار ، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس ، فعقروا فيهما إبلا كثيرة ورموه بالرصاص وهو فى عليته ثم خرجوا سالمين ولله الحمد ، ثم بعد ذلك بيسير عدا ابن دواس على العمارية فقتل عبد الله بن على وعقروا إبله . فلما بلغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة فرأى أنه يرصدهم ، ويكمن لهم فى فيضة ابن لأنها طريقهم الذى يرجعون منها ، وكان ابن دواس قد كمن فيها ورصد هو وإخوانه خوفا على عدوته أن يسد عليهم الطريق ، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته حتى توافى الفريقان فى الغيضة ، واقتتلوا ساعة ثم انهزم دهام وجماعته والمسلمون بأثرهم ، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التى صدرت من العمارية ، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا ، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم أكرمهم الله بالشهادة ورجع كل منهم وقصد بلاده . ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب لأنه قد قتل منها شياب

من آل ابن شمس من أهل الرياض . وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية ساروا جميعا إلى أهل الرياض ، فلما قربوا من البلد أغار بعضهم على نواحيها وكمن بعضهم . فخرج دهام مع أهل الرياض فالتقوا بمكان يسمى الوشام خارج السور . فلما خرج الكمين عليهم انهزموا ولم يأل أحد على أحد ، بل كل منهم عربد وشرد ، وقتل منهم نحو العشرة من المشهورين : منهم أحمد بن على بن ناصر وشايبان من آل شمس . ثم بعدها الوقعة المسماة بوقعة العبيد ، وذلك أن ابن سعود خرج فى أهل الدرعية وقرأها خاصة ، وصار على أهل الرياض وعبأ كمينه فى جرف يقال له جرف عبيان ، ثم أغار على البلد فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور . فلما التقى الفريقان خرج الكمين فرجع دهام ومن معه مكسورا ، وقتل منهم نحو العشرة غالبهم عبيد ، ولهذا سميت بهم الوقعة بلا ترديد ، وتسمى أيضاً وقعة غيبة لأن القتلى بقوا فيها أياما بلا دفن . وكفى بذلك مصيبة ، وبقى دهام بعدها متحسراً ، وفى أمره متندما متحيراً إلا أنه للحرب فى تهيو واستعداد ، وفى التأهب الملاقاة وجمع الأمداد طلباً للمقاضاة والأخذ بالثأر ليشفى الفؤاد . فأجمع أمره وصمم رأيه وفكره أن يأتى إلى الدرعية ويغير ويجعل الكمين فيما خفى من الحفير ، فجمع الحاضرة والبادية فأصبحت خيله على البلاد عادية ، فخرجوا إليه سرا ولم تأل المقاتلة غير القتال دفاعا . بل باعوا النفوس دفعاً عن الحرم حتى كشفه الله تعالى فانهزم ، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم الكمين ولى غالبهم مدبرين وقتل خمسة من المسلمين ومن مشاهيرهم فيصل بن الأمير محمد بن سعود وأخوه سعود ابن الأمير محمد ، وكان الأمير محمد رحمة الله عليه حين خرج ورأى أن الغارة لم تفد ولم تعرج على نقش أحد أشار برأى مبارك ميمون ، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون ولا يناشبونهم القتال خوفا من الكمين بالرجال ، ولكن كان ذلك فى الكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدرا مقدورا . وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده ولم تكن همته عن القتال قاعدة ، بل كانت إلى ذرى المعالى صاعدة ، وفى هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة لمحمد والمسلمين مالا نحدّه ولا نعده تحريرا ، (وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ، وكانت هذه الوقائع المسطرة والأفعال المقررة فى حدود السنة التاسعة والخمسين بعد المائة والألف . ثم دخلت سنة

الستين بعد المائة والألف ، وفيها وقعة تسمى وقعة دلقة . وذلك أن أهل العيينة وأهل حريملا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة خرجوا فى ربيع الأول يريدون الرياض ومصادمة أهلها فيها ، فانفلت رجل من أهل حريملا يقال له أبو شيبة من آل داود فأنذر دهاما وجماعته ، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال فصبحهم المسلمون فى جوف البلد فلذا سميت وقعة دلقة فاقتتلوا فيها قتالا شديداً وحمى القتل عند باب القصر والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس وكان فاتكا وتقاتلا راجلين ، فضرب حمد بن محمد دهاما ضربات بالسيف فى جسده ورأسه حتى أتى موسى ابن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله وصار سبباً لسلامة دهام بعد أن أشرف على الحمام ، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجميل إلا المعاقبة والتنكيل ، وذلك أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة فذكر ذلك لدهام فأمر بقطع يده ورجله فقطعتا ونفاه إلى الدرعية فلم يبرح إلا ثلاثة أيام فمات ، وقتل فى ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سوداء وسرحان البكاى وابن مسيفر وثمانية غيرهم . وأما الجراحات فكثيرة ، واستشهد من المسلمين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير وحسن الشميرى وغيرهم ، وكانت تلك الغزوة من غير رضاء عثمان بن معمر ومشورته لما يتهمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية إلا أن هذه الوقعة زادته رجسا إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه ، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهده ومن أهل حريملا على العيينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريملا محمد بن مبارك العهد والميثاق على الإخاء والمصافاة والاتفاق ، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوى النفاق مع أن قلبه قد ملئ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والذل والخجل ؛ ثم إن عثمان غشيه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم وخشى وقوع الاذلال والإهانة وتصديق ما يرمى به من النفاق والخيانة ، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود فى قبول العذر والاعتذار والصفح عن التخلف الذى صار. فقبلا منه جلىّ عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريملا والعيينة وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد فتوهموا فيه الصدق والوفاء وغاب عنهم ما كمن بقلبه واختفى ، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المسلمين

وأمروه وصار ابن سعود له منقاداً ولأمره طالباً مرتاداً ولا يخالفه ولا يشاققه بل يتابعه ويوافقه فى السفر والبلاد والغزو والجهاد ، وكان من أعظم ما على عثمان به نقم وأوضح مارمى به واتهم،أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويزين له الاتفاق مع عثمان والقدوم عليه إلى العيينة ويتفوّه فى المجالس والمحافل أنه لمنهج الإصلاح مائل ولتكثير سواد المسلمين فاعل والله أعلم أنه خائن خاتل،فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إمهال فاجتمعوا عند عثمان فى ذلك المكان وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرهما من الأعيان فصار سببا لما ناله من الذل والهوان فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهاما إليه قصد شق عليهم ذلك وعابوه ، ولكنهم من الفتك به هابوه ، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصده وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين ، فاجتمع أهل البلد جميعا وساروا إليه سريعا ، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من الكآبة والشدة موّه عليهم مطلوبه وقصده ، وقال لهم ليس لى مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح ويدخل دهام فى دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الإحكام ، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم ؛ ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا فى قدومه الحيلة يحثه على المجىء والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور ، وقد ألقى الله فى روع الشيخ خيانته وتحقق أنه لم يوف أمانته بل حكى أن الشيخ جاءه النذير يحذره عن الحضور والمسير ، وأبدى غاية الامتناع واعتذر عن الموافاة والاجتماع ،فلما أخبرهم الرسول بعدم القدوم والمثول عرف المسلمون من أهل البلد ما أعمله عثمان من المكر واجتهد فحصروا ابن دواس فى قصر عثمان وهموا به إذا خرج بلا استئذان فلما جن الظلام خرج دهام هاربا ولبلده طالبا وللهوان والخزى كاسبا ، وكان صدور هذا الأمر منه والتفوه بالمكر عنه قبل أن يأتى إلى الشيخ والأمير محمد ويأخذ منهما العهد المجدد ، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب خاف من وقوع الشقاق وارتقب وأخذ يصانعهم ويرضيهم بقوله ويعتذر إليهم مما صدر عن فعله لعلهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا وعلموا أنهم تضمخوا بقذر

الخيانة وما أفادوا ، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثرمدا تدرع لباس الحرابة وارتدى وتنصل عن الدين واعتدى وفارق منهج الحق والهدى وبادر المسلمين بالحرب وابتدا .

ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف وفيها جرت وقعة تسمى وقعة البنية وذلك أن عثمان بن معمر لما أعطى العهد وأمر كما ذكرنا سار بمن معه من أهل العيينة وأهل حريملا ومحمد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما إلى الرياض فأتوها من شرقيها يمشون فى وادى الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية ، فلم يجر ذلك اليوم قتال إلا أن رجالا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد ، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه وأصيب منهم كثير ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير واستشهد من المسلمين عبدالله بن عبيكة وابن عقيل ، فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأى ويبرمونه غاية الإبرام حتى انتظم الرأى واتفق واجتمع الفكر وانتسق على المسير إلى الرياض والمكابرة ومنازلتهم بالجد والمصابرة ، فتعبأ المسلمون للقتال وافترقوا فرقتين للمحال فعمدت فرقة إلى صياح فدخلوه وقت الصباح فاستولوا على مافيه من الأموال وذلك بعد شدة القتال وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر والفرقة الأخرى ساروا إلى أهل حريملا وأهل عرقة فعمدوا إلى مقرن فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهيرة وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهام بن دواس فاقتتلوا مليا ، ثم خرج من ذكرنا من المسلمين بعد ما اجتمع عليهم أهل البلد منهزمين وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلا فخرجوا مسرعين ، ثم إن دهاما وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة أسرعوا فى المسير إلى صياح وكان من وليها من المسلمين إذ ذاك فى البيوت والنخيل متفرقين فدهمهم فيها دهام وأكرم الله بالشهادة من قرب له الحمام وجاءهم بمن معه بغتة وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة فقتل منهم عشرين وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين ، ثم لما ظهر المسلمون على البلاد اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية ، وهدموا تلك المربعة المبنية فلهذا سميت بهذا الاسم ووسمت بهذا الوسم ثم رجع كل إلى بلاده ووطن أهله وأولاده ، وفى السنة المسطورة جرت وقعة تسمى وقعة الحزيزة وسميت بذلك لكون القتال فى مكان يقال له الحزيزة وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملا وعبد العزيز بن محمد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما ، فساروا

جميعاً وأميرهم عثمان بن معمر حتى نزلوا بصباح، فلم يكن لأهله عن الخروج من براح ، فخرجوا إليهم سراعا وراموا عن البلد دفاعا فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من أهل الرياض ستة تقريباً لا تحديدا ، وقتل من أهل العيينة نحو عشرة رجال ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثمار المعلقة أربعة من النخيل محققة ثم رجعوا إلى بلدانهم وساروا إلى أوطانهم . وفي السنة المسطورة أيضا جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العيينة وحريملا وعبدالعزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فساروا إلى ثرمدا فنزلوا بها ليلا حتى انفلق الصبح وبدا وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كمينا يكون لهم إذا نشب القتال معينا ، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال خرج إذ ذاك عليهم الكمين فولى الكفار مدبرين ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم وقتل أشرافهم وكانت القتلى نحو السبعين على سبيل التحقيق لا التخمين ، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يسمى قصر الحريّص فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة فأشار عبدالعزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعاجلة فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتلة ، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام ووبخه ولامه غاية الملام ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض مريدا دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا لامتثال أمره واتباعه ولكن كان الذى معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجم الغفير ، ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعا إلى بلاده وبقى عبد العزيز متحيرا بين الدخول فيفوز بمراده أو اللحوق بعثمان فيوافقه فى ارتياده حتى اختار الله تعالى له ما اختار فجد فى لحوقه فلم يأته إلا آخر النهار وأعظم ما صرف رأى عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من بقى معه من الأجناد فأشار عليه وجوه من بقى معه أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه إلا أن الأحوال متغايرة والقلوب بينهما متنافرة فلما أضاء صبح الليلة وأسفر جمع عبد العزيز حرسه الله تعالى جميع الغنيمة وأحضر ونادى بالرحيل فى قومه وثور وأخذ سائرا على طريق الخبرة لما أجمع على المفارقة أمره وقال لا بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود حتى يقسماها على

المنهج المحمود فقدم بها عليهم وأحضرها لديهم . وفى تلك السنة أيضا غزا المسلمون ثرمدا مرة ثانية ، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية والأمير عليهم عثمان ، ولم يخرج من أهل البلد للقتال إنسان فدمر المسلمون المزارع إذ لم يحل دونها من مدافع ، ثم انقلبوا مسرعين وإلى بلدهم راجعين . وفيها أيضا غزا المسلمون ثادق فلما وصلوا إلى قرب تلك المرافق وكان وصولهم ليلا وعبئوا الجيش واستعد الكمين حتى ينشب القتال ويستبين فلما خرج المقاتلة ظهر الكمين بالمعاجلة فأخذوا عند ذلك منهج الفرار ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار ، وقتل منهم عند الانكسار محمد بن سلامة وستة معه وأخذوا جميع الغنم المرتبعة . ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى الحبونية سميت بذلك لأن القتال بها صار وهدم ما بها من جدار ، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض وأميرهم محمد بن سعود رحمه الله تعالى ، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم ما يوجب الحذر هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج ، فلم يكن لأهل البلد إليها من عروج وأخذوا يترامون معهم بالرصاص ، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل ولا مناص ، وقد قتل بينهم رجال فى ذلك المجال فقتل من المسلمين ثلاثة عبد الله بن شوذب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج وقتل من أهل الرياض سبعة منهم عبدالله ابن صبيت ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة ، وقد وقعت فى هذه السنة وقعات كثيرة لكنها صغار فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار . ثم دخلت السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه وأضمر وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد وأخذ يعمل فى إذلالهم بلا ترديد وظهر للمسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل وماربك عما أراده بغافل وتحقيق تقريبه للمنافقين واستئلافه واشتهر شقاقه للمسلمين واختلافه وكانت حاله بذلك شهيرا (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) فلما تحقق الشيخ عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية الغدر والمخافة وتثبيت فى تسطير هذه الانقال وتحرير ما يرمى به من سيء الأفعال وتحقق ماله أخفى وخشى على المسلمين وقوع ما به رمى قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العيينة أريد

منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاة من والاه ومعاداة من حاربه أو ناوأه ولو أنه أميركم عثمان فأعطوه على ذلك صفقة الايمان فتتابعوا على البيعة أفواجا فملىء قلب عثمان من ذلك رعباً وانزعاجا ؛ فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنه لايفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الإيمان ويجلى من يسلم لأقصى البلدان فينجلى مابقلبه من الهم والأحزان ، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان يحثهم ويدعوهم إلى المجىء عنده والاجتماع حتى ينفذ ما عزم عليه بالمسلمين من الايقاع ، فلما تحقق أهل الإسلام ماعزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لذوى الألباب من الأنام مصداق قوله (إن الله عزيز ذو انتقام) فتعاطى الأيمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا بذلك القربة وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليـه من إيقاع النقمة والباس ومن مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد ، فلما انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه فى مسجده ومصلاه وأريح المسلمون من أذاه فلم ينتض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عنزان بل أغمدت والله المحمود قواضب الفتنة وأخمدت لواهب المحنة واطمأنت المسلمون (أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون ــ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون)) فلما قدم إلى الدرعية بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير عجل الشيخ إلى العيينة المسير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والائتلاف ، وقدم عليهم ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عنان الرأى والمشورة والقضية فى ذلك مشهورة فى الترئيس والتأمير وتفويض الرياسة والتدبير ، والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والإيمان ، لاسيما من باشر أو سعى فى قتل عثمان ، حاولوا أن لايؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولى عليهم منهم إنسان ، خشية أن ينالهم منـه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ فى مرادهم ، ولم يعرج على اجتهادهم ، بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد المسالك وإيضاح المحجة للسالك ، فرأس عليهم مشارى بن معمر وكبره فيهم وأمر ، وكان ذلك منتصف رجب ، كما حققه من حسب . وفى هذه السنة أيضاً ، وقعة تسمى وقعة البطحاء ، وذلك أن المسلمين عدوا على الرياض ليلا فدخلوا البلاد ، واستحر القتال والجلاد عند باب المروة بعد مادخلوها بخوة ، فلما تراجع على المسلمين الإفزاع نهض غالبهم إلى الخروج والإسراع ، ودارت

رحى الحروب على سبعة ، وحصلت لهم من الله إعانة ومنعة ، منهم على بن عيسى الدروع ، وسليمان بن موسى الباهلى ، ومحمد بن حسن الهلالى ، وعلى بن عثمان ابن ريس ، وعبد الله بن سليمان الهلالى وإبراهيم الحر ، فاقتتلوا أشد القتال مع ضيق المعترك والمجال ؛ فقتل تلك الساعة من مشركة تلك الجماعة : ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة أخر ، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان ، وسليمان بن جابر من الأولين . وفيها أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الوطية ، وكانت من أعظم قضية ، وذلك أن المسلمين غزوا وأميرهم عبد العزيز حفظه الله وساروا إلى ثرمدا سريعا ، فجاءهم النذير ، فاجتمعوا مع أهل وثيثا ومراة جميعا ، فلم يأتهم الجيش والأجناد إلا وهم فى أتم الاستعداد ، وتأهب للجلاد ، وقد برزوا خارج البلاد ، ولكن المسلمون قد أعدوا لهم كميا ، فلما استمر القتال مليا خرج عليهم ذلك الكمين ، فانهزموا مدبرين ، وقتل منهم خمسة وعشرون ، منهم أمير وثيثة على بن زامل ، وسيهان وكثير من تلك الشجعان . ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف ، وفيها عدا المسلمون على الرياض فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجلد ، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين فخرجوا بعد القتال منهزمين ، وقد قتل أناس من المشركين وقتل نحو الثمانية من المسلمين ، منهم على بن عيسى الدروع خانه القضاء ، فلم يفر لما كثرت عليه الجموع رحمه الله ، وكان من الفتاك والشجعان المشهورين بالعلو على الأقران والصبر عند الطعان فى ذلك الوقت والزمان . وفيها ارتد إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن أمير ضرما ، ورجع عن الإسلام وخان وقتل من أشراف جماعته وقومه لشؤم فعله ولؤمه عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى لكونهم من أهل الإسلام والدين ، وفى الدنيا من أهل الثروة والتمكين ، فأخذ مالهم بعد قتلهم أجمعين ، فلم يقم بعد هذه الفعلة سوى أربعة شهور فى المهلة حتى قتل هو وأولاده عيدان وسلطان وأناس غيرهم من الأعوان المشهورين بالتعدى والطغيان ، وهرب من سلم إلى سائر البلدان . وصفة ما صدر أن آل سيف السيايرة صقر وإخوانه وإبراهيم ابن سلطان آل ذباح ، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان على الفتك به لما ارتد وخان فأتوه مع جماعته وهم فى المجلس قعود ، فقتلوهم وفازوا بالمقصود ، ثم بعد هذه القصة المسطورة ، ولى الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة ضرما المذكورة ، وفيها

غزا المسلمون الزلفى وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز ، فلما وصلوا الحساحم ّ عبد العزيز حفظه الله فأمر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن وانقاب راجعا فأغار الغزو على الزلفى وأخذ غنما كثيرة ثم رجع . ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ، وفيها جرت خيانة أهل رغبة ، لأهل سدير والوشم ، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرواد معهم آل ظفير وحزبوا على أهل رغبة ، وهم إذ ذاك قد دخلوا فى الإسلام وجرت عليهم الأحكام لحصروهم فى البلد أيام ؛ ثم إن بعض أهل البلاد جنحوا إلى طريق الفساد وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد وحقن الله دماء أهل التوحيد من ذوى الإفساد ، إلا أنهم أخذوا جميع أموال البلاد وصب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد ، فأصبحوا بعد حلول هذه المصايب عليهم والنقم يعضون أنامل الأسف والندم ، على ما حل بهم ودهم . وفيها أيضاً حزب أهل الضلال ، أهل الوشم ، وأهل سدير ، وأهل الجنوب ، وآل ظفير وجلوية ضرما ، فساروا إلى ضرما وحصروا أهلها أياما ، وعزموا أن يطيلوا بها مقاما ، وفى مدة هذه الإقامة كل شد للقتال ساعده ، وشدد سهامه حتى إنهم فى بعض أيام الحصار نصبوا السلالم على رفيع ذلك الجدار وأرخصوا فى نيل مطلوبهم غالى الأعمار طلبا للفوز بالمنى والأوطار وأخذا بأنفة الثار ، فصعد منهم السور من قرب أجله من الحضور ، وكانوا نحو الثلاثين ، فلم يرجع منهم أحد ، وقتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين فى العدد ، وغالب القتلى من أهل الحريق ، ومنهم حمد بن عثمان الهزانى على التحقيق؛ ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين ومن مرادهم خائبين . وفيها غزا المسلمون الخرج وأميرهم فى تلك الغزوة ، مشارى بن معمر فأغار على الدلم وأخذوا جميع سوايم الغنم ثم انقلبوا راجعين ولبلدانهم طالبين ، فاقتفى طلب أهل الخرج آثارهم بعد ما تحقق عدتهم وعرف أخبارهم فوقعت فى عفجة الحاير الموافاة وحصلت المصادمة والملاقاة فأناخ لهم المسلمون وكلهم للموت مستوطنون ، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد ، والفزع فوق المائة بالتوكيد ، فوطنوا نفوسا عن الفرار أبية ، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية ، وصبروا عند هـذه البلية ، فجرى القتال من بعيد والـكل يرمى بالبنادق ويجيد ، فلما رأى المسلمون ذلك لا يجدى ولا يفيد ، نهضوا عليهم للاختلاط وعاجلوهم لقصد الارتباط ؛ فلما عاينوا من المسلمين الموت عرفوا أن لا منجا سوى

لهروب والفوت ، فكل منهم امتطى راحلته ونادوا إثر الهروب والفرار ، ولم يكن
لهم على ملاقاة المسلمين اصطبار ، وقتل المسلمون منهم قريبا من الثلاثين رجلا ، منهم
فريقان قرب له الأجل وأخذوا كثيرا من الركائب والسلاح ، وبدا للمسلمين
في ذلك الطلب الفلاح ، وكان خيرة لهم وصلاح كما قيل :

الصبر كالصبر مرّ فى مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع وأعلى منه وأنفع قوله تعالى : (إن الله مع الصابرين) .
وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله به المسلمين وأغاروا على فريق
بدو يقال له دهمان ، فأخذوهم أجمعين ، وقتل من المسلمين اثنان : على بن عثمان
ابن ريس وابن جرى عمران . وفيها وقعت من أهل حريملا الردة والافتتان ،
واجتمع على ذلك كل إنسان من أهل الفساد والعصيان ، وتمالئوا على قتل من
عندهم من أهل التوحيد والإيمان ، وحملهم على ذلك الشيطان وزين لهم ما كانوا
عليه سابقا من البغى والطغيان ، وزخرف لهم سننهم القديمة فى غابر الزمان ،
وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تعقبها الذلة والهوان ، فصار كل منهم إلى
الفتنة ظمآن ، وإلى لقاء الردة ولهان ، فلهذا أوضحوا سبيل الفتنة والردة ، وأخذوا
فى تهيئة أسبابها المعدة وأقاموا جهرا أعوجها ، وشادوا طريقها ونهجها . وتبينت لها
منهم أسباب ، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب ، وعرفوا أنهم على الدين
ليسوا بماكثين ، بل ناقضين للعهد ناكثين ، واستنشق الشيخ من أخيه سليمان أنه
لأسباب الردة معوان ، وأنه يلقى إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبها كثيرة ، وإنما
دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة ، فلأجل إلقائه عليهم الشبهة وترويجه عليهم بما
خفى علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه ، بل أنبه وكافحه وحذره شؤم العاقبة ، وبين له
أنه لايدرك مطالبه ، فلم تجدء النصائح والإنذار ، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجة
الاستبصار والطمأنينة والسكنى فى تلك الديار ، بل طلب واختار ركوب كواهل
الأخطار ، وكان سليمان قبل أن يطير من الردة اللهب حين عذله الشيخ وعتب ،
أرسل إلى الشيخ رسالة حبر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله — ولكنها للعهد
قد تضمنت ، وللعقد الإيمان قد حوت وأحكمت — أنه إن وقع من أهل حريملا ارتداد
لايقيم يوما فى تلك البلاد ؛ فلم يف بذلك الوعد بل أخلف الميثاق والعهد وآثر
السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء ، كيف لا وهو أبو عذرها ، والباعث على تأسيس

أمرها والداعى إلى تأسيس قبيحها ونـكرها ، وصفة ما جرى وصدر وظهر منهم وبدر ، أن كبار القرية الذين تعاهدوا على القرية عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك وكان هو الأمير وولى التنفيذ والتدبير ، وأصابه منهم إنسان يسمى ابن وحشان ثم أجلوه مع أولاده عن مسكنه وبلاده وفر غيره من أهل الدين إلى بلدان المسلمين : منهم عدوان بن مبارك ، وابنه مبارك بن عدوان ، وعثمان بن عبدالله أخو الأمير وعلى بن حسن وناصر بن جذيع وغيرهم ، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمـد ابن سعود فأخبروهم بذلك الأمر المشهود وشرحوا لهم تلك الأفعال وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال ثم بعد ذلك بأيام قلائل أرسلوا حمولة الأمير وعصابته إليـه الرسائل وزينوا له المجىء والقدوم وحسنوا له الإقبال والهجوم ووعدوه بعد الوصول المساعدة على المأمول والقيام معه والتبيين ورده فى منصبه والتمـكين ، فاستشار الشيخ فى ذلك والأمير ، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير ، وقالا إن كان لابد أنت فاعل فإنى لمددك معك جاعل يكون لك عونا على من هو خاتل ، فأبى عن المراد وأقبل بمن معه من العباد حتى دخل تلك البلاد ، وكان دخوله فى غسق الدجى ، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل ونجا ، فلما تلألأ من الفجر نوره وولى من الظلام ديجوره تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره ، فلم يكن لهم عليه بد من القيام. فأقبل عليه منهم فئام وجرعوه كأس الحمام وكتب له الشهادة ومن معه الملك العلام إلا مبارك بن عدوان ، فهرب وأعجزهم فى الطلب ، وكان جملة المقتولين ثمانية ، كانت مناياهم دانية ، ولم يحصل من رفاقته النصرة له والنجدة ولم ينحوا مراده وقصده ، بل خذلوه وتركوه مع من جاء وحده ، ولا ينفع الحذر إذا حمّ القدر (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) بل ينقطع أمدها وأملها ، ثم بعد ذلك اجتهدوا فى أسباب الحرابة وأعدوا للحرب عدته وأسبابه ، وانتفخ منهم السحر لما جرى وصدر ، ولم يكن لهم عزم ولا همّ بعد إتيانهم تلك المدلهمة إلا البناء على البلاد والتسوير مخافة الخراب والتدمير ، ثم أرسلوا إلى مشارى ابن معمر أن يدخل معهم فى هذا الأمر المقرر ، فأعرض عن ذلك وأنـكر ، وبقوا على ذلك الحصار ومكابدة الأضرار بقية تلك السنة لاتخالط أجفانهم فى الدجى سنة ، وكانت تلك القضية فى شوال من غير شبهة ولا إشكال . ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف ، فعدا أهل حريملا على أهل الدرعية فلم يحصلوا من

ذلك بالأمنية ، ثم عدا المسلمون عليهم مرات وكروا عليهم فى بلادهم كرات ؛ وفى أواخر تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين ونبذوا عهد المسلمين وطردوا محمد بن صالح إمام المصلين (والله لايهدى كيد الخائنين) . فلما وقعت هذه الواقعة خرج مهاجرا من نفسه إلى الحق وازعة ، وإلى الدين نازعة، وللباطل وأهله رادعة ، وللشيطان قامعة ، وفى أسباب الخير طامعة ؛ وكان من خرج منهم فى يوم سبعين ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين . ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف وفيها طلب دهام ، من الأمير محمد بن سعود الدخول فى الذمام، وأن تجرى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام ، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبلها أشد الاحكام ، فطلب منه خيلا وسلاحا ، فلم ير بذلك بأسا ولا جناحا ، ورغب فى منهاج الإصلاح فبذل ماطلب ، وجنح للهدية ورغب، واستدعى من الشيخ رجلا إماما يطيل عنده مقاما، وينشر فى بلده للرعية أحكاما، فأرسل إليه عيسى بن قاسم فكان بشرائع الإسلام حاكم وبتعليم التوحيد ، قائم يقوم بذلك ويقعد ويدل على الله تعالى ويرشد ، ويجد حسب طاقته ويجهد ، فانتفع به من أهل الرياض جماعة حصلوا من التوحيد على بضاعة ، وصارت لهم فيه قدم ولهذا هاجروا لما نبذ دهام العهد وخرم ، وسيأتى ذكرهم فى محله عند تحرير الارتداد ونقله. وفيها جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان وبين المواعظ فى الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان، وأوضح مايجرى على أهل التوحيد من فجار العبيد (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكشف لهم معانى آيات القرآن، وما ذكر فى محكم التبيان ، وكلهم لقوله رحمه الله منصتون ، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون ، ويتلوا عليهم ما به ينتفعون (الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) وبشرهم بالنصر والظفر وحصول المنى وقضاء الوطر إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا وأمرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النية والأوبة وتصدقوا بصدقات كثيرة وسألوا الله النصر وتيسيره . وفيها مقتل أولاد سيف السيارة صقر وإخوانه لما قاموا مع الباطل وأعوانه وهموا بقتل الأمير فأخبره بذلك النذير ، فبادر إلى قتلهم خشية فعلهم ، فبادر بذلك وأسرع وقتلهم بغوره أجمع ، ولم يعاود على قتلهم أحد بل جد فى ساعته واجتهد ؛ وفيها مقتل سليمان بن خويطر . وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية وهم

إذ ذاك بلد حرب ، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابا وذكر فيه شبها مزخرفة ، وأقاويل مغيرة محرفة ، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت ، وأمره أن يقرأها فى المحافل والبيوت، وألقى فى قلوب أناس من أهل العيينة شبها مضرة شينة غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان ، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان ، فكان يفعل ما به أمر ، فلما تحقق حاله واختبر أمر الشيخ به أن يقتل فقتل وامتثل أمره وقبل ، ثم إن سليمان على حالته لم يزل يرسل الشبه فى الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل ، ويبذل فى ذلك الجد فى العمل. ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله ، نحا فيها منهج الصدق وبين واضح الثواب والحق ، فهى تجر زخر تياره وطمى وسحاب همل ودقه ، وهمى زين فلكها بنجوم الحق الزواهر وأشحن فلكها بعلوم التوحيد الزواخر ، تلين قلوب السامعين لقولها ويصغى لها أهل الهدى بمسامع دلايلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع وهذا فصلها بحروفها .

فصـــل

قال الشيخ رحمه الله : بسم الله الرحمن الرحيم . روى مسلم فى صحيحه عن عمرو ابن عبسة السلمى رضى الله عنه قال : « كنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شىء وهم يعبدون الأوثان ، قال فسمعت برجل فى مكة يخبر أخبارا فقعدت على راحلتى حتى قدمت عليه ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جرآء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت وما أنت ؟ فقال أنا نبى ، قلت وما نبى ؟ قال أرسلنى الله . فقلت بأى شىء أرسلك ؟ قال أرسلنى بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله لايشرك به شيئا ، فقلت ومن معك على هذا ؟ قال حر وعبد ، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال . فقلت إنى متبعك ، فقال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالى وحال الناس ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بى قد ظهرت فأتنى . قال فذهبت إلى أهلى وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت فى أهلى ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم نفر من أهل يثرب من أهل المدينة . فقلت ما فعل هذا الرجل الذى قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراعا وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك ، فقدمت المدينة

فقلت يارسول الله أتعرفني ؟ قال أنت الذى لقيتنى بمكة ؟ قال : فقلت يا نبى الله أخبرنى عما علمك الله وأجهله ، أخبرنى عن الصلاة ، قال صل صلاة الصبح ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرنى شيطان وهى حينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم اقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبل الفيء فإن الصلاة محضورة حتى تصلى العصر ثم اقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرنى شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب بأنها تطلع وتغرب بين قرنى شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لايقصد السجود إلا لله ، وأكثر الناس قد لايعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرنى شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى هذا الوقت حسما لمادة المشابهة . ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصمد إليه صمدا ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله فى الجملة ، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدى الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله انتهى كلامه . فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما فى هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم ، وقص قصص الكفار والمنافقين لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضا ؛ فما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرابى الجاهل لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما فى قلبه من محبة الدين والخير ، وهذا فسر به قوله تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أى حرصا على تعلم الدين لأسمعهم أى أفهمهم ، فهذا يدل على أن عدم الفهم فى أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما فى قلوبهم من عدم الحرص على الدين ، فتبين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعليم ، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يعرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأسا ، فإن حضر أو استمع

فكما قال تعالى : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون . لاهية قلوبهم) . وفيه من العبر أيضا أنه لما قال أرسلني الله قال بأى شىء أرسلك قال بكذا وكذا فتبين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هى توحيد الله بعبادته وحده لاشريك له وكسر الأوثان ، ومعلوم أن كسرها لايستقيم إلا بشدة العداوة وتجريدالسيف فتأمل زبدة الرسالة ؛ وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه أمر كبير غريب ولأجل هذا قال من معك على هذا قال حر وعبد،فأجابه أن جميع العلماء الملوك والعامة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر ، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقل القليل وأن الباطل قد يملأ الأرض ، ولله در الفضيل ابن عياض رحمه الله حيث يقول : لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين ، وأحسن منه قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) . وفى الصحيحين «إن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعمائة ، وفى الجنة واحد من كل ألف . ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم : إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أكملت من المنافقين» قال الترمذى حسن صحيح . فإذا تأمل الإنسان مافى هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم أيضا أنه قال صلى الله عليه وسلم «بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا» تبين له الأمر ان هداه الله وانزاحت عنه الحجة الفرعونية . (فما بال القرون الأولى) والحجة القرشية (ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة) وقال أبو العباس رحمه الله تعالى فى اقتضاء الصراط المستقيم فى الكلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) وأيضا فإن قوله (وما أهل لغير الله به) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أولم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ماذبح للحم ، وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع

فى الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلام الشيخ ، وهو الذى ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتدا بذلك وهذا فى المعين إذ لايتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين. وقال أيضا فى الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التى تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف وذكروا أنه فى الأصل كان رجلا صالحا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريبا من عرفات ، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين فى عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذى ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فلينظر إلى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب فى زمانه وما ذكره الأزرقى فى أخبار مكة وغيره من العلماء .

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمونها ذات أنواط فقال بعض الناس يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن « لتركبن سنن من كان قبلكم » فأنكر صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهتهم الكفار فى اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطمّ من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف الذى فيه تمثال كف يقال إنه كف على بن أبى طالب حتى هدم الله ذلك الوثن . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة فى أكثر البلاد ، وفى الحجاز منها مواقع ؛ ثم ذكر كلاما فى نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال العلة لما يفضى إليه ذلك من الشرك وذكر ذلك الشافعى وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك كأبى بكر الأثرم عللوا بهذه العلة، وقد قال تعالى (وقالوا لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيرا) ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا فى قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ذكر هذا البخارى فى صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره. ومما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد ،

ومعلوم أن قبور الأنبياء لايكون ترابها نجسا ، وقال فى نفسه « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد » فعلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسدّ الذريعة لئلا يصلى فى هذه الساعة وإن كان المصلى لايصلى إلا لله ولا يدعو إلا إياه لئلا يفضى ذلك إلى دعائها والصلاة عندها وكلا الأمرين قد وقع ، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية ، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذى ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك فى كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ، وصنف فيه بعض المشركين كتابا على مذهب المشركين مثل أبى معشر البلخى وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل فى الشرك وآمن بالجبت والطاغوت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذى نسب عنه من أزاغ قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازى وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبى معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرهما أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذى ذكره الشيخ فى الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذى ذكر هنا قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتى كلامه إن شاء الله تعالى ، وتأمل ماذكر أيضا فى اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذى يفعل بدمشق وغيرها ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا قوله فى مجرد مشابهتهم فى اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشىء من هذا كلام الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذى احتجوا به على زيغهم . قال رحمه الله أنا من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى انتهى كلامه .

وهذا صفة كلامه فى المسألة فى كل موضع وقفنا عليه من كلامه لايذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن تبلغه الحجة ، وإذا بلغته حكم عليه بما تقضيه تلك المسئلة من تكفير أو تفسيق أو عصيان ، وصرح رضى الله عنه أيضا أن كلامه أيضا فى غير المسائل الظاهرة ، فقال

فى الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال وهذا إذا كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه مخطىء ضالّ لم تقم عليه الحجة التى يكفر تاركها ، لـكن يصدر هذا منهم فى أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبيين وغيرهم فإن هـذا أظهر شعائر الإسلام ، ومثل إيجابه للصلوات الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والخمر والميسر ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعوا فيها فكانوا مرتدين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى دين المشركين كما فعل أبو عبدالله الرازى يعنى الفخر الرازى قال وهذه ردة صريحة ، فتأمل هذا وتأمل مافيه من تفصيل الشبهة التى يذكرها أعداء الله ، لـكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، على أن الذى نعتقده وندين الله به ونرجو أنه يثبتنا عليه أنه لو يغلط أو أجلّ منه فى هذه المسألة وهى مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذى يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الـكفر الصريح الظاهر الذى بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا نؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ولو غلط من غلط ، فـكيف والحمد لله ونحن لا نعلم عن واحد من العلماء خلافا فى هذه المسألة ، وإنما يلجأ من شاقّ فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . ءأنزل عليه الذكر من بيننا) .

وقال الشيخ رحمه الله فى الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم . قال فإذا كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإســلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة فى هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلوّ الذى ذمه الله فى كتابه حيث قال (يا أهل الـكتاب لا تغلوا فى دينكم) الآية ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه حرّق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لـكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو فى بعض المشايخ بل الغلو

فى على بن أبى طالب ، بل الغلو فى المسيح ونحوه ؛ فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى أو أغثنى أو ارزقنى أو اجبرنى وأنا فى حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه إله آخر (والذين يدعون مع الله إلها آخر) مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى — ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم ذكر رحمه الله آيات ، ثم قال عبادة الله وحده لاشريك له هى أصل الدين وهى أصل التوحيد الذى بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) . وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل « ماشاء الله وشئت قال أجعلتنى لله ندا؟ بل ماشاء الله وحده » ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » ، وقال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر مما فعلوا ، وقال « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد » وقال « لاتتخذوا قبرى عيدا ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لايشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبى صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لايتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لايقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل الكلام وأعظمه ؛ فأعظم آية فى القرآن آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه من الدنيا لاإله إلا الله دخل الجنة » والإله هو الذى يأله القلب عبادة له واستغاثة له ورجاء له وخشية وإجلالا انتهى كلامه . فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبيا أو وليا مثل أن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل يكون هذا إلا فى المعين والله المستعان . وتأمل كلامه فى اللات والعزى ومناة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله فى شرح المنازل فى باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لايغفره الله إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبتهم لله ويغضبون لمتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما يغضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش لاينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذى قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرها اتخذها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لايهدى من هو كاذب كفار) . فهذا حال من اتخذ من دونه وليا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا بل ماأعز من لايعادى من أنكره ، والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم فى كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا فى تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لايعادى من أنكره يبين لك بطلان الشبهة التى أدلى بها الملحدون ، وزعم أن كلام الشيخ فى هذا الفصل أعنى الفصل الأول فى الشرك الأكبر على الآية التى فى سورة سبأ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) وتكلم عليها ، ثم قال والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لايشعر بدخول

الواقع تحته ويظنه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشىء فى الإسلام من لايعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وما ذمه وقع فيه وأقره ، وهو لايعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية فتنتقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدّع بتجريد متابعة الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا، والله المستعان .

فصـــل

وأما الشرك الأصغر فليسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك مالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده . ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ماذكر الشرك الأكبر والأصغر: ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ. ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم . ومن أنواعه النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والذل لغير الله وإضافة نعمه لغيره . ومن أنواعه طلب الحوائج من عند الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمـــله وهو لايملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فضلا عمن استغاث به أو سأله أنه يشفع إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لايشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبى صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم

راضون منهم بهـذا وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل فى كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم ، ولله در خليله إبراهيم حيث يقول (واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام . رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم إلى الله انتهى كلامه .

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر وشبهته أنه ذكره فى الفصل الثانى الذى ذكر فى أوله الأصغر ، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره فى الفصل الأول والثانى صريحا لايحتمل التأويل من وجوه كثيرة أن دعاء الموتى والنذر لهم ليشفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذى بعث عليه النبى صلى الله عليه وسلم فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آنفا وما نجا من شرك هـذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره ؛ فتأمل أن الإسلام لايصح إلا بمعاداة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن لم يفعله . وقد ذكر فى الإقناع عن الشيخ تقى الدين أن من دعا على بن أبى طالب فهو كافر ،ومن شك فى كفره فهو كافر ،فإذا كان هذا حال من شك فى كفره مع عداوته له ومقته له فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ؟ وتعذر أنا لانقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبيين فى العمل ومعاداة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر فى ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر إذا نشأ فى الإسلام من لايعرف الجاهلية فلهذا لم يفهم به معنى القرآن وأنه أشر وأفسد من الذين قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم فى الرسالة التى أتتكم قبل هذه خطه بيده ، ويقول بينى وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا ؛ فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضا بالشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين (والسماء ذات الحبك إنكم لفى قول مختلف . يؤفك عنه من أفك — بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر

مريج) فرحم الله امرأ نظر لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بمعاداة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وعلم بما حكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه للاسلام وماحكم به في ذلك الخلفاء الراشدون كعلى بن أبى طالب وغيره لما حرّقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لايقتلون بالتحريق والله الموفق . وقال أبو العباس بن تيمية فى الرد على المتكلمين لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال وكل شرك فى العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعا ، فتدبر هذا فإنه نافع جداً ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك ، وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لاينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوّغون الشرك أو يأمرون أو لايوجبون التوحيد ، وقد رأيت من مصنفاتهم فى عبادة الملائكة وعبادة الأنفس المفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ماهو أصل الشرك وهم إذا ادّعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لابالعبادة والعمل والتوحيد الذى جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لاشريك له وهذا شىء لايعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى السعادة والنجاة بل لابد أن يعبد الله ويتخذه إلها دون ما سواه ، وهو معنى قوله لا إله إلا الله انتهى كلام الشيخ ؛ فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جداً ومن أكبر ما فيه من الفوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ولكنه لايدين بذلك إما بغضاله أو عدم محبته كما هو حال المنافقين الذين هم بين أظهرنا ، وإما إيثارا لدنيا مثل تجارة وغيرها فيدخلون فى الإسلام ثم يخرجون منه كما قال الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الآية ، وقال (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وقوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) . فإذا قال هؤلاء بألسنتهم نشهد أن هذا دين الله ورسوله ونشهد أن المخالف له باطل وأنه الشرك بالله غر هذا الكلام ضعيف البصيرة ، وأعظم من هذا وأطم أن أهل حريملا ومن وراءهم

يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس ويستدلون بالكثرة على حسن ماهم عليه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأخسها فإذا قالوا التوحيد حق والشرك باطل وأيضا لم يحدثوا فى بلدهم أوثانا جادل الملحد عنهم وقال إنهم يقرون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ماهم عليه من السب لدين الله وبغى العوج له ومدح الشرك وذبهم دونه بالمال واليد واللسان والله المستعان . وقال أبو العباس أيضا فى الكلام على كفر مانع الزكاة والصحابة لايقولون هل أنت مقر بوجوبها أوجاحد لها هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة بل قال الصديق لعمر رضى الله عنهما : والله لو منعونى عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع لاجحد الوجوب ، وقد روى أن طوائف كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهى قتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم والشهادة على قتلاهم بالنار وسموهم جميعهم أهل الردة وكان من أعظم فضائل الصدّيق عندهم أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله . وأما قتال المقرين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع فى قتالهم انتهى ، فتأمل كلامه فى تكفير المعين والشهادة عليه إذا قتل بالنار وسبى حريمه وأولاده عند منع الزكاة فهذا الذى ينسبون عنه أعداء الدين عدم تكفير المعين . قال رحمه الله بعد ذلك وكفر هؤلاء وإدخالهم فى أهل الردة قد ثبت باتفاق الصحابة المستند إلى نصوص الكتاب والسنة انتهى كلامه . ومن أعظم ما يجلو الإشكال فى مسألة التكفير والقتال عند من قصده اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة وإدخالهم فى أهل الردة وسبى ذراريهم وفعلهم فيهم ماصح عنهم ، وهو أول قتال وقع فى الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين ، فهذه أول واقعة وقعت فى الإسلام على هذا النوع أعنى المدعين للإسلام وهى أوضح الواقعات التى وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه؛

والمراد منه قوله وهم عندى كفار بهذه الأوضاع . وقال أيضا لقد عظم الله الحيوان لاسيما ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمته حق أباحك أن تتوقى عن نفسك بذكره بما لاينبغى له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره ، وتوقر أوامره وزواجره ، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعصم مالك بقطع يد مسلم فى سرقته ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام مسح الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك الميتة سدا لرمقك وحفظا لصحتك ، وزجرك عن مضارك بحد عاجل ووعيد آجل وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل الكتب إليك ، أيحسن بك مع هذا الإكرام أن ترى على مانهاك منهمكا وعما أمرك مرتكبا ، وعن داعيه معرضا ولداعى عدوك فيه مطيعا ، يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حط رتب عباده لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك ! هل عاديت خادما طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل نفيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهى ؟ فإن لم تعترف اعتراف العبيد للموالى فلا أقل أن تقتضى نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء المكافى المساوى ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء سجودا له تترامى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجد ساجدا لصورة فى حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو لصورة ثور خائر أو لطائر صفر ! ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والحور بعد الكور ، لايليق بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لايرى إلا عابدا لله فى دار التكليف أو مجازى لله فى دار الجزاء والتشريف ومابين ذلك فهو واضع نفسه فى غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد أنه جعل أقبح حال وأفحشها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ، ومثله بأنواع : منها السجود لشمس أو لقمر . ومنها السجود لصورة كما يسجد للصور التى فى القباب على القبور . والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض ، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ابن عباس أى ركعا . وقال ابن القيم فى إغاثة اللهفان فى إنكار تعظيم القبور ، وقد آل الأمر بهؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم فى ذلك كتابا سماه مناسك المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى عبادة الأصنام ، وهذا الذى ذكره

ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن المفيد فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف ينكر تكفير المعين . وأما كلام أتباع سائر الأئمة فى التكفير فنذكر منه قليلا من كثير. أما كلام الحنفية فكلامهم فى هذا من أغلظ الكلام حتى إنهم يكفرون المعين إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك ، وقال فى النهر الفائق : واعلم أن الشيخ قاسما قال فى شرح درر البحار إن النذر الذى يقع من أكثر العوام بأن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا ياسيدى فلان إن ردّ غائبى أوعوفى مريضى فلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعا لوجوه إلى أن قال : ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر ، واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى الناس بذلك ولاسيما فى مولد الشيخ أحمد البدوى انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام . وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لاقدرة لهم على إزالته . وقال القرطبى رحمه الله لما ذكر سماع الفقراء وصورته قال هذا حرام بالإجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر ، ولما علم أن حرمته بالإجماع لزم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبى وكلام الشيخ الذى نقل عنه فى كفر من استحل السماع مع كونه دون مانحن فيه بالإجماع بكثير كثير . وقال أبو العباس رحمه الله : حدثنى الخضيرى عن والده الشيخ الخضيرى إمام الحنفية فى زمانه . قال: كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافراً ذكيا ، فهذا إمام الحنفية فى زمنه حكى عن فقهاء بخارى أنهم يقولون فى ابن سينا وهو رجل معين مصنف يتظاهر بالإسلام . وأما كلام المالكية فى هذا فهو أكثر من أن يحصر ، وقد اشتهر عن فقهائهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند الكلمة التى لايفطن لها أكثر الناس ، وقد ذكر القاضى عياض فى آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفا . ومما ذكروا أن من حلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون مانحن فيه بما لانسبة بينه وبينه . وأما الشافعية فقال صاحب الروض رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبى صلى الله عليه وسلم كفر ، وقال أيضا من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر وكل هذا دون مانحن فيه ، وقال ابن حجر فى شرح الأربعين فى الكلام على حديث ابن عباس «إذا سألت فاسأل الله» مامعناه أنه من دعا غير الله فهو كافر ، وصنف فى هذا النوع كتابا مستقلا سماه [الإعلام بقواطع الإسلام] ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال

والأعمال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين وغالبها لا يساوى عشر معشار ما نحن فيه . وتمام الكلام فى هذا أن يقال الكلام هنا فى مسئلتين : الأولى أن يقال هذا الذى يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأحبار والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك هل هو الشرك الأكبر الذى فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ينكر عليهم ذلك ويكفرهم ويأمر بقتالهم حتى يكون الدين كله لله ؟ أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين نوع غير هذا ؟ فاعلم أن الكلام فى هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن علماء المشركين اليوم يقرون أنه الشرك الأكبر ولا ينكرونه إلا ما كان من مسيلمة الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم فى ذلك واضطرابهم فأكثر أحوالهم يقرون أنه الشرك الأكبر ، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة ، وتارة يقولون لا يكفر إلا من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وتارة يقولون إنه شرك أصغر وينسبونه إلى ابن القيم فى المدارج كما تقدم ، وتارة لا يذكرون شيئا من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم فى الجملة وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة ، وجواب هؤلاء كثير فى الكتاب والسنة والاجماع ، ومن أصرح ما يجابون به إقرارهم فى غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضا إقرار غيرهم من علماء الأقطار مع أن أكثرهم قد دخل فى الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجد بدا من الإقرار به لوضوحه . المسألة الثانية الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر لكن لا يكفر به إلا من أنكر الإسلام جملة ، وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية أو غيرها ، وهذا هو الذى يجادل به أهل الشرك والعناد فى هذه الأوقات وإلا المسألة الأولى قل الجدال فيها ولله الحمد لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم أن تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفى فى إبطاله من غير دليل خاص لوجهين : الأول أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها فى التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها ، وكذب الرسول والقرآن فهو كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود . فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا

أشرك الشرك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلى ويفعل كذا وكذا لم يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد فى الخلقة والعمى والعرج وإن كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملة غيرها فهو كافر وهذه فضيحة عظيمة كافية فى رد هذا القول الفظيع. الوجه الثانى : أن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم فى الشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلوم الضرورية ، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلدهم ماتقول فيمن عصى الرسول ولم ينقد له فى ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبع إلا ويبادر بحسب الفطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر فى الأدلة أو سؤال أحد من العلماء ، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق ، فلا تحقرها وأمعن النظر فى الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت ويجعلك أيضا من الذين يهدون بأمره . ومن أحسن مايزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمن يقينا ماجرى من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله ، ومثل همه بغزو بنى المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة ، ومثل قتال الصديق وأصحابه لمانعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم مرتدين ، ومثل إجماع الصحابة فى زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) حل الخمر لبعض الخواص ، ومثل إجماع الصحابة رضى الله عنهم فى زمن عثمان رضى الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة فى نبوة مسيلمة مع أنهم لم يتبعوه وإنما اختلف الصحابة فى قبول توبتهم ، ومثل تحريق على بن أبى طالب رضى الله عنه أصحابه لما غلوا فيه ، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر المختار بن أبى عبيد ومن اتبعه مع أنه يدّعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت ، ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين وهلم جرا من وقائع لاتعد ولاتحصى ، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبى بكر الصديق وغيره كيف تقاتل بنى حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويزكون ، وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لولم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن

بني عبيد الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ولم يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم فى زمن ابن الجوزى ، وصنف ابن الجوزى كتابا لما أخذت مصر منهم سماه النصر على مصر ولم يسمع أحد من الأولين والآخرين أن أحداً أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملة أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ماسمعنا من هؤلاء الملاعين فى هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك ، ولكن من فعله أو حسنه أو كان من أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدى أركان الإسلام الخمسة ، ويستدلون بأن النبى صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء الملحدين الجاهلين الظالمين ، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم يستدلون به على قولهم الفاحش الأحمق فليذكروه ، ولكن الأمر كما قال اليمنى فى قصيدته :

أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا   تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام فى هذا النوع بما ذكره البخارى فى صحيحه حيث قال باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان ، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذى الخلصة » وذو الخلصة صنم لدوس يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبدالله «ألا تريحنى من ذى الخلصة ، فركب إليه بمن معه فأحرقه وهدّمه ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فبرك على خيل أحمس ورجالها خمسا » وعادة البخارى رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره فى الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه مما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله يتغير الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا فى جهاد القلب واللسان ومعاداة أعداء الله وموالاة أوليائه ، وأن الدين لايصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا بذلك فنقول :

باب وجوب عداوة أعداء الله

من الكفار والمرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى (وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذا مثلهم) وقول الله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) إلى قوله (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الآية وقوله (لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله) .

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح : أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات : اعلم يا أخى أن ما حملنى على الكتاب إليك ماذكر أهل بلادك من صالح ماأعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك وشد بك ظهرأهل السنة وقواك عليهم بإظهارعيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بك وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر أى أخى بثواب ذلك واعتدّ به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحيا شيئاً من سنتى كنت أنا وهو كهاتين فى الجنة وضم بين أصبعيه » . وقال «أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة» فمتى يدرك هذا أجر شىء من عمله ، وذكر أيضاً «إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام ولياً لله يذب عنها وينطق بعلامتها» فاغتنم يا أخى هـذا الفضل وكن من أهله فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من كذا وكذا » وعظم القول فيه ، فاغتنم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك بذلك ألفة وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء فى الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المفتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فإنك لن تلقى الله بعمل شبهه . وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب

فإنه جاء الأثر «من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى فى هدم الإسلام» وجاء «مامن إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى» وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة ولا تطوعا ، وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا ؛ فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده انتهى .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتى من كلام أمثاله من السلف فى معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين : الأول غلظ البدعة فى الدين فى نفسها ، فهى عندهم أجل من الكبائر يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبائر كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ولو كان عالما أو عابداً أبغض وأشد من السنى المجاهر بالكبائر . الأمر الثانى أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع . فمثال البدعة التى شددوا فيها مثال تشديد النبى صلى الله عليه وسلم على من عبدالله عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير المسلم مرتدا ، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام فى الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية وقوله (يا أيها النبى جاهد الكفار) الآية . وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السبى والأموال وهذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السبى ولا الأموال انتهى كلامه .

وقال رحمه الله أيضا : أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال : قال ابن مسعود « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله» . قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيلا) . ثم ذكر باسناده عن بعض السلف قال « لئن أرد رجلا عن رأى سيء أحب إلىّ من اعتكاف شهر» . أخبرنا أسد عن أبى إسحاق الحذاء عن الأوزاعى قال كان بعض أهل العلم يقول : لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياما ولا صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صرفا ولا عدلا ، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين ببدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عنهم سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهروا فنشر العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر" بالحاده ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعرى قاعد فقال : أرأيت رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفى الجنة هو أم فى النار ؟ قال أبو موسى فى الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك ثلاث مرات ، فلما كان فى الثالثة قال والله لا نستفهمه فدعابه حذيفة فقال : رويدك إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو فى الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو فى النار ، ثم قال : والذى نفسى بيده ليدخلن النار مثل الذى سئلت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثورى قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع فى قلبه شئ فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالى ما تكلموه وإنى واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجل فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعيه فى أذنيه ثم قال : أحرّج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتى ، قال . فقال يا أبا بكر إنى لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال بإزاره يشده عليـــه وتهيأ للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد حرّج عليك إلا خرجت ، أفيحل لك أن تخرج رجلا من بيته ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي يثبت على ما هو عليه ما باليت أن يقرأ ولكني خفت أن يلقى فى قلبي شيئا أجهد أن أخرجه من قلبي فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرنى حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشر منه قال فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه فى حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى فوقه » . أخبرنا أسد قال أخبرنى موسى بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : كان رجل يرى رأيا فرجع عنه فأتيت محمداً فرحا بذلك أخبره فقال أشعرت أن فلانا ترك رأيه الذى كان يرى؟ فقال انظروا إلى ماذا يتحول إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله يمرقون من الإسلام لا يعودون إليه . ثم روى بإسناده عن حذيفة أنه أخذ حصاة بيضاء فوضعها فى كفه ثم قال إن الدين قد استضاء استضاءة هذه ثم أخذ كفا من تراب فجعل يذرّه على الحصاة حتى واراها ثم قال : والذى نفسي بيده ليجيئنّ أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصاة . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن أبي الدرداء قال : لو خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم اليوم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعى فكيف كان اليوم قال عيسى يعنى الراوى عن الأوزاعى فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان . أخبرنا محمد ابن سليمان بإسناده عن على قال « تعلموا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتى بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم » . أخبرنا يحى بن يحى بإسناده عن أبى سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال : ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة . حدثنى إبراهيم بن محمد بإسناده عن أنس قال : ما أعرف منكم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس قولكم لا إله إلا الله . أخبرنا أسد بإسناده عن الحسن قال : لو أن رجلا أدرك السلف الأول ، ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا قال ووضع يده على خده ثم قال إلا هذه الصلاة ثم قال : أما والله لمن عاش فى هذه النكر أو لم يدرك هذا السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك وجعل قلبه يحن إلى ذكر هذا السلف الصالح يسأل عن سبيلهم ويقتص آثارهم ويتبع سبيلهم ليعوض أجراً عظيما فكذلك فكونوا إن شاء الله . حدثنى عبد الله بن محمد بإسناده

عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ماعرف فيكم غير هذه القبلة . أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت : دخل عليّ أبو الدرداء مغضبا فقلت له ما أغضبك؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ، وفى لفظ : لو أن رجلا يعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئا . حدثنى إبراهيم باسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما فى بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه . قال مالك وبلغنى أن أبا هريرة تلا قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال والذى نفسى بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا . قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا فى زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغرّ المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل . ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبى أمية قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع فى هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت بها خبيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم أياما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يارسول الله أجر خمسين منهم؟ قال أجر خمسين منكم » . ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال أناس صالحون قليل فى ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر ممن يحبهم » . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تطفأ » . أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » . أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، فقيل وما الغرباء يارسول الله؟ قال الذين يصلحون عند فساد الناس » .

هـذا آخر ما نقلته من كتاب الحوادث والبدع للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى . قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعـالى أحاديث الغربة وبعضها فى الصحيح مع كثرتها وشهرتها، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم : الإسلام فى زماننا أغرب منه فى أول ظهوره ، فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من الهوة الـكبيرة التى هلك فيها أكثر الناس وهى الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر والنفرة من الأقل فما أقل من سلم منها ، ما أقله ما أقله !

ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذى أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبى بعثه الله تعالى فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره» وفى رواية « يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقى الدين رسالة كتبها وهو فى السجن إلى بعض إخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحببت أن أنقل أولها لعظيم منفعته قال : الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا صلى الله عليه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التى فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين أيدهما الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب فى قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة بالسنان والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالبين لمن ناوأهم من الأقران ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان والله محقق ذلك ومنجز وعده فى السر والإعلان ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لـكن على ما اقتضت ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذى يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان إذ قد

دل على أن لابد من الفتنة لـكل من ادعى الإيمان والعقوبة لذوى السيئات والطغيان فقال تعالى (الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون) فأنكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يترك بلافتنة تميز بين الصادق والكاذب، وأخبر فى كتابه أن الصدق فى الإيمان لايكون إلا بالجهاد فى سبيله فقال تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولـكن قولوا أسلمنا) وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) وأخبر سبحانه بخسران المنقلب على وجهه عنـد الفتنة التى يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذى لايستقر من هو عليه بل لايثبت على الإيمان إلا عند وجود مايهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به) الآية ، وقد قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ـ ونبلو أخباركم) وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية ، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابـكم) فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع مايقضى له من القضاء خيرا له كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «لايقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له» والصابر الشكور هو المؤمن الذى ذكر الله فى غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحدة من السراء والضراء فى حقه تفضى به إلى قبح المآل فـكيف إذا كان ذلك فى الأمور العظيمة التى هى من محن الأنبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لـكرم وجهه وعز جلاله ، والله المسئول أن يثبتكم وسائر المؤمنين فى الحياة الدنيا والآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة وينصر دينه

وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم فى كتابه المبين ، انتهى كلام أبى العباس رحمه الله .

ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز ؟ فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهى من أخبث الخبائث المحرّمة سواء أكل منها كثيرا أو قليلا لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحلّ ذلك فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك يحل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع فى الطريق ، وكان بعض السلف ظن أن الخمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) فاتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا انتهى ما نقلته من كلام الشيخ ، فتأمل كلام هذا الذى ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك ويزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم وينكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام ، انظر كيف كفر المعين ولو كان عابدا باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التى تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه فى المعين وكلام الصحابة فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءا من ألف جزء منه ، والحمد لله رب العالمين انتهى .

وفى هذه السنة أيضا جرت وقعة تسمى وقعة الغفيلى وهو رجل فى قصر من قصور ظرما فعزم على الردة وصمم عليها قصده فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان يخبره بذلك الأمر والشان ويستنجده بأن يرسل إليه أعوانا فأرسل إليه بعض الجيش لكى تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش فعثر على ما نواه وأراد واطلع على حاله أمير البلاد فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود يخبره بالأمر المعقود فجهز الأمير جيشا فى ساعته من أهل العيينة وأهل الدرعية وغيرهما من جماعته وبادروا إلى قصر ظرما بالمسير ليعاجلوا ذلك التدبير وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ظرما وغالب

قومه بعد التهيؤ فى الحال والاستعداد فى القتال ، فلما قارب البلد كمن فى زرع الذرة وقعد ، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الخيل فبدروهم بالحملة وقتلوهم فورا من غير مهلة ولم يسلك منهم فج الانهزام إلا من نجا برأس طمرة ولجام ، وقتل من أهل ثرمدا ممن أقبل منهم واعتدى على سبيل التحقيق لاالتخمين قريبا من نحو سبعين وأسر أناسا من الأماثل منهم عبد الكريم بن زامل . ثم دخلت السنة الثامنة والستون . وفيها فتح الله تعالى للمسلمين حريملا فأخذوها بالسيف عنوة وبغتوا أهلها بها فجوة ، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له فى الأجل وبلغه غاية الأمل ، غزا بالمسلمين وكانوا نحو الثمان من المئين وخيلهم لا تزيد على عشرين فأناخ شرقى البلاد وقد اشتد ظلام الدجنة فى السواد ، وقد عبأ المسلمين وجعل ذلك الكمين فى موضعين فصار الأمير عبد العزيز فى شعب عوجا ومبارك ابن عدوان مع مائتى رجل أقاموا بالجزيع فوجا ، فلما بدا جبين النهار وأسفر وجهه واستنار وأخذ أهل الفلاحة فى الانتشار شن الشعواء وأغار ، فلم يكن لأهل البلد عن الظهور اصطبار ، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد عول ، وأرخصوا عند ذلك المهج ولم يكن أحد لمنهج الفرار قد انتهج حتى بدا لهم الكمين الثانى فلم يكن أحد على القرار ثانى بل جدوا فى الفرار بلا توان وملك المسلمون أعقابهم وحققوا مطالبهم فقتلوا منهم مائة عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم ، ونال المسلمون بذلك غاية الآمال والمنال وغنموا تلك الذخائر والأموال ، وطاف على أهل ذلك الأفعال طائف العذاب والوبال وقتل من المسلمين سبعة رجال ، ودخل المسلمون البلد ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأمان وكانت البلد فيئا من الله على سبيل الامتنان وخرج هاربا منها مختفيا ابن عبد الوهاب سليمان وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبئس الأمير كان لأنه آثر بعد ذلك سبيل الشيطان كما يأتى بيان ردته فى شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من الأموال كل نفيس عزيز وخيره فى البيوت والمنازل وفى البساتين والأصائل وأخذ ما شاء من تلك الدار واختار ما طاب من العقار .

ولما توقف فى حكم أموال أهل هذه البلدة الناس كشف الشيخ رحمه الله تعالى

عن ذلك حجب الالتباس وأماط عن وجـه الحـكم الأدناس وبتّ الحـكم بأنها على المسلمين من جملة الإلباس نظير ماصدر وجرى من أفعال السلف الـكبرى ، وكان ما ذكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة ، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم إلى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم . وفيها تظاهر على نصرة الدين ومحاربة أهل الضلال والمشركين عامة أهل شقرا فأدركوا بذلك عزاً وفخرا وأحرزوا ثوابا وأجرا فاجتمعوا على ذلك بعـد الافتراق ، واضمحل ماكان منهم قبل ذلك من الاختلاف والشقاق. وفيها محاربة ابن دواس الثانية فى شعبان بدت الردة من دهام واجتمع هو وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام بلا سبب من المسلمين لذلك باعث ، بل على سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث ، فأول ماجرى منه أنه عداعلى أهل أبى الـكباش وانقلب راجعا منحاش ، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتداء وعدل عن سنن الاهتداء وتبين ذلك منه وبدا حناق على أهل الدين والهدى من أهل بلده السكنى عند أهل الردّا ، فأجمعوا على الهجرة وكل حقق عليها رأيه وأمره فتركوا الأموال والوطن وباعوها بأغلى وأعلا ثمن على مولى المنن فمن مشاهيرهم محمد بن صالح وسعيد بن عمران أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن صالح وسعيدبن عمران وحمدا بالحويل ومحمدبن دخيل وعياله أحمد وموسى وعبدالله وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلى بن نوح وسعد بن نوح وأخوه موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمدصالح وراشد بن نفيسة وعلى بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة وسليمان بن نفيسة وموسى أبو الحويل وعبدالرحمن أبوالحويل. ثم هاجر جميع ماذكرنا من منفوحة إلى الدرعية لماثبتت أسباب الردة من ابن فارس. ثم هاجر معهم من مشاهير أهل منفوحة حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته ناصر وسلامة وموسى والخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال محمد على يحي وموسى وعلى بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد ومطلق ، ومن الزمامات يحي وموسى وآل نديان ثلاثة محمد والمغيليث وراشد وعلى ومنصور بن قاسم وسويلم بن قراش وعثمان بن مجلى وعربيد وعثمان العليوى ومحمد

ابن طفل ومبارك بن مرجان وغيث بن سحيم وولده ومحمد بن هلال وأخوه حمد وثالثهم على وراشد التحنيفي وعثمان التحنيفي وسليمان الشعيبي وعبد الله بن نفيسة وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهام بن فارس وأهل الوشم وأهل سدير وأهل ثادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميعا فوصلوها وسلطان الليل قائم والكرى على الأجفان حاكم وغالب الأحراس نايم فدخلوا فى حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وملك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه فى الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صبح يومه وحمى بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقى طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين فى البيوت خوف الاغتيال ، ومكثوا نحو خمسة أيام فى أشرّ مقام ؛ وفى مدة هذه الإقامة كل يشد للرمى سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسوّر المسلمون عليهم الدور وحاق عليهم المكر والفجور ، وحان عليهم القضاء المحتم المسطور ، فقتلوا قتلة رجل واحد ، وكان دهام على مقتلهم واجد ، وأخذوا مامعهم من سلاح ، وغدا دهام بالخزى وراح ، وكان جملة المقتولين من الأحزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة فخان بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر نقموا عليه بما صدر كيف وفى الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بى فغدر» فأخذ منهما الغضب غايته وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تقشع عن أهل القويعية غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عرف الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولالتزام أحكام الإسلام راغبة ، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعية فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا فى تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بجمال ذلك اللباس فما خاموه ولا نفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق

وداعيه ووعته منه أذن واعية ناصر بن جماز العريفى وسعود بن حمد فكل منهما سارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا الفوز والمرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين فى رفعة وتمكين إلى منفوحة والرياض فعدوا على منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا دواب كثيرة إبلا وبقرا وحميرا ، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحر بينهم وبين المسلمين القتال والجلد وكل شمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال منادى الهوان والإذلال فولوا مدبرين ولبلدهم طالبين ورجعوا بالخيبة والحسرة وكم لهم مثلها من مرة وكان دهام فى تلك الأيام باديا على أهل سدير والوشم فى تدبير الحرب والانتظام والسياسة والمواعدة على المسلمين والإسلام ، وكان عند عبد العزيز بذلك خبر قبل أن يرحل إلى منفوحة وبعد ماصدر ، فلما رجع إلى الدرعية وتحقق القضية خرج مسرعا يريد له الرصد . فكمن له قرب ظرما فإذا هو قد وفد ولكنه شعر بالمسلمين فولى مع من معه مدبرين ، فطلبه المسلمون أشد الطلب ولكنه جدّ فى الفرار والهرب ورمى عن الركاب كل ثقيل وترك من المطى كل ظهر لايسرع فى الغارة والذميل وأخذ المسلمون ماطرحه وترك ولحق ببلده عبد العزيز وانفرك ، ثم إن عبد العزيز حرسه الله تعالى استأذن الغزاة فى إعطاء جميع الغنيمة المهاجرين فطابت بذلك نفوسهم أجمعين فأذنوا له فى ذلك . ثم دخلت السنة السبعون بعد المائة والألف وفيها وقعة تسمى وقعة الرشا عند من ترعرع فى ذلك الوطن ونشا ، وكانت على أهل منفوحة لأن المسلمين نقضوا البناء المعدّ لحجر السيل على النخيل المسمى عند أهل البلد بذلك ، ودخل المسلمون عليهم البيوت والدور ؛ ثم إن دهاما أتاه الخبر المسطور فنهض من ساعته مع مقاتلة جماعته بعد ما قال لمن جاءه بذلك المقال اثبتوا لهم ساعة فإنى أدهمهم مع الجماعة ، فأقبل ابن دواس على المسلمين وقد صاروا بهدم أساس الرشا مشتغلين فقاتل من المسلمين من عند ذلك الأساس حتى هزمهم مقاتلة أهل الرياض مع ابن دواس ، وتصادم دهام فى ذلك الظلام مع واحد من فرسانه وحفدته وأعوانه ، وتصافق الفرسان عند ذلك الطعان وسقط كل منهما على الأرض وأخذ المسلمون على هيئة واجتماع وخرج الذين دخلوا وسط الدور بعد قتال مشهور قتل

فيه عبد الوهاب بن مشرف وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحمام وأشرف ، وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد دهام بن دواس ومن معه من الأجناد ، فلم يعرفوهم وظنوهم من أهل الدور أمداد ، وقد عرف المسلمون دهاما وقومه وظن كل منهم أنه ملاق حمامه ويومه ، فحقن الله تعالى دماءهم وأنجح سؤلهم ومناهم إلا أنهم قتلوا ثلاثة رجال من أهل الرياض ذوى الضلال قد عرفوهم بالرؤوس فجرّعوهم من الحمام مرّ الكؤوس ، ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد استشهد منهم عشرة فى تعدادهم . وفيها أيضاً حزّب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا وراموا بذلك من الهتك أمرا ، فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحقد والضغائن فنزلوا بأجمعهم فى قرية القرائن ، وأقاموا بها من الأيام ثلاثة وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثاثة ، ويقع بينهم فى قتال وطعان ومجال حتى أراد الكبير المتعال الخذلان لأهل الضلال ، فجاء محمد بن سعود الخبر وتيقنه خبرا ، فجوّد صارم العزم للمسير وأخبر بذلك أهل شقرا ، وعين لهم الزمن المعلوم وبين لهم يوم القدوم الذى أجرى الله فيه القضاء المحتوم على من هو لاستئصال المسلمين يروم ؛ فلما جاء ذلك اليوم وحان الذل بالقوم خرج إليهم أهل شقرا ليشغلوهم بالحرب قسرا ، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجىء المسلمين خبرا ؛ فلما نشب القتال وحمى ، طلع عليهم عبد العزيز والكمى ، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذا ولا سوى قرية القرائن معاذا ، فولوا إليها مدبرين وبقوا بها منحصرين ، وولى المسلمون أكتافهم فى الهزيمة ولولا قرب القرية لكانت المقتلة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم نحو خمسة عشر وكان منهم من هو مشتهر : منهم حمد المعي وسويد بن زايد وغيرهما وأخذوا ركابا وسلاحا وفرسا ثم حصروهم فى القرائن وأطالوا لهم مجسا وأقاموا قريبا من عشرين يوما فى الحصار فى غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار ولكن الله لما أراد لهم السلامة أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وإعلامه فخرجوا ليلا مختفين وللنجاة طالبين . وفيها قتل غزو بن فايز فى مكان يقال له الحسى ؛ وذلك أن المسلمين جاءهم عنه الخبر فجرد له عبد العزيز ونفر وكمن له فى الحسى ورصد حتى جاء إليه ووفد ، فاستأصل المسلمون شأفته وقتلوا جماعته وأضحى ابن فايز فى أيديهم أسيرا حتى بذل فى فداء نفسه مالا كثيرا وكان جملة ما أعطى وأظهر خمسمائة أحمر . وفيها أيضاً وقعة باب القبلى وذلك أن عبد العزيز حرسه الله تعالى شمر ساعده للحرب

والانتهاض وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض وأعدّ فى الليل الكمى والكمين قبل أن يفلق عمود الصبح ويستبين ، فلما انجلى من الليل ظلامه ونشرت من الصبح أعلامه وانتشر فى الطريق الأنام ظهرت غارة المسلمين والإسلام ، فأسرع أهل الرياض إليهم وشرّعوا الأسنة عليهم وأطلقوا الأعنة لديهم ؛ فلم يكن غير لحظة أو ساعة حتى كان الهروب طريق تلك الجماعة وسبب ذلك حين عاينوا الموت فى الكمين وتيقنوا أن الله تعالى لهم معين . فعمدوا إلى الباب من الهرب وكل أراد الدخول قبل الآخر وطاب ، وتضايقوا عند الباب وتكسرت فى الدخول الحراب ، وقتل منهم ثمانية رجال دنت منيتهم بلا إمهال : منهم كنعان الفريد وصالح وابن نعران ورطيبان وغيرهم ، وقتل من المسلمين عبد الله بن نوح وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى الرياض ونزل البنية وخرب جميع زروع الشمسية . وفيها غزا المسلمون الوشم وأميرهم إذ ذاك محمد بن عبد الله أمير ظرما ، فوافق المسلمين فى طريقهم ذلك غزو للصملة أكثر من المسلمين هنالك ، ففر المسلمون منهم وجدّوا فى الفرار عنهم وأسروا منهم بعض الناس ففدوا أنفسهم من الأحباس . وفيها غزا المسلمون وشيقر وأميرهم عبد العزيز ، فلما وصلوا إلى تلك البلاد وكمنوا لهم فى تلك الوهاد وخرج المقاتلة للجلاد واشتد الحرب وكثر بينهم الطعن والضرب ، طلع عليهم ذلك الدفين وأقبلوا إلى المعركة مسرعين : فلم يثبت أهل البلاد بعد شدة ذلك الجلاد بل ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل منهم أربعة رجال محققين . وفيها غزا المسلمون أهل ثادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به أحسن الطرائق ، فلما وصلوا إلى حلتها نزلوا قريبا من نخلها ومحلتها ، فناوش المسلمين الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها فتراموا بالرصاص بينهم من بعيد وكان ذلك الرامى يصيب ويفيد ، وقطع المسلمون عليهم نخلا وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلا وقتل منهم ثمانية رجال وأقاموا محتصرين يديرون الفكرة والاحتيال ، فلم يكن لهم سوى الإقبال على الإسلام من غير إمهال وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم مطلوبهم ومناهم . وقدموا مع الغزو إلى الشيخ فى الدرعية وأخبروه بحاصل القضية وأمر عليهم دخيل بن سويلم وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام ويحكم لهم الشرائع غاية الإحكام . وقد قتل من المسلمين ثمانية رجال منهم محمد بن دغيثر ومحمد بن مانع وغيرهما . وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرسه الله

تعالى أميرهم الذى ترجع إليه سياستهم وتدبيرهم فسار بالمسلمين ممن معه وساعده وتبعه ، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد الكمين فاعل ، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل ، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مدبرين على الأعقاب ، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب ؛ ونهب المسلمون من بيوت البلد مااستطرف ثم رجع عبد العزيز بمن معه وانكف ، وأقبل معه من مطاوعة سدير حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن غضيب وذلك لما طلبهم عبد العزيز وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه ، وأقبل معه أيضاً ابن سعدون وابن حماد مخافة أن يزينا لأهل العودة الارتداد ، ولما قدم عبد العزيز الدرعية ومن معه من تلك الجلوية أتاه أمير العودة عبدالله بن سلطان وطلب منه المنة والإحسان على ابن حماد وابن سعدون ، واختار حرسه الله تعالى طريق الموافقة والهون وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون ، فأطلقهما لأجل وجاهته ولم يدر مايصدر عليه من جماعته ، فلما وصلوا البلاد أخذوا للردة فى الاستعداد ، فلما هيئوا أسبابها على المراد لم يجدوا ماتطيب به النفس ويتم لهم به السرور والأنس سوى قتل من غمرهم بذلك الجميل ومقابلته بالصنع الوبيل ، فقتلوا عبدالله بن سلطان مقابلة لذلك الإحسان ، وهذا شأن من وضع المعروف فى غير محله وصرفه إلى غير أهله يجازيه بقبيح فعله كما قالت العرب فى أمثالها « سمن كلبك يأ كلك » وقال الشاعر :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

وقال المتنبى :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندا فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندا

وفيها غزا المسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهاما إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل ، وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نووا يظفرون إلا أنهم فى تلك الإقامة خرج زيد الصمعر فوافقوه فجرعوه حمامه ، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من المسلمين إلى بلادهم سالمين .

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون . وفيها غزا المسلمون ثرمدا وأميرهم عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره وأتباعه ، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تسمى وقعة النقيب ؛ وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجى لم يكن لهم دون دخول البلد من مفاجى ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد ، فلما زال سواد الظلام وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمسلمين وما هم عليه مجتمعين وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطا نقبوا لهم نقبا فى جداره وأقاموا فيه متوارين بين نخيله وأشجاره ، والكمين الثانى خارج البلد لم يشعر به أحد ؛ فاجتمع أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا فى النخل مكانه ومحله ، وبقوا ساعة بقربه وحياله ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله ، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم عن ذلك النقب من عروج ، فقاموا يخرجون منه واحدا واحدا ولم يكن أحد منهم لغيره فاقدا ، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالا ولا يفهمون لمن يخرج منه حالا حتى اسودّ النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم ، فتيقنوا مصاب أصحابهم وتحققوا مصارعهم فى انقلابهم ، فلما تبين للمسلمين ذلك خرج جميع من هنالك ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة ، وقتل منهم اثناعشر : منهم عبدالمحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلاع ، واستشهد من المسلمين فى تلك الغزوة قريب من عشرين : منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن ابن موسى ومفرج بن جلال . وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل حريملا فوافق عبدالله بن سليمان معه أسيرا ، ثم بعد وصوله حريملا منّ عليه وأطلقه من غير قليل من المال ولا كثير ولم يستشر فى ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود فنقموا عليه بذلك الفعل الغير المحمود . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز وساروا إلى سدير فاستولوا على الحوطة والجنوبية ، وذلك لأن أهل البلدين أرسلوا للأمير يريدون منه القدوم والتيسير ومرادهم الدخول فى الإسلام والاستمرار تحت الذمام ، فأسعفهم بالمقصد والمأمول وأسرع إليهم المجىء والوصول ؛ فلما دخلها عبدالعزيز ومن معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام ، ثم رجع عبدالعزيز بعد أن نصب لهم فى كل بلدة أميرا وإماما . وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة . وفيها غزا المسلمون جلاجل أيضا وأميرهم عبد العزيز فأخذوا منها سوارح الغنم ثم لحقهم

الطلب ، فاقتتل مع المسلمين ثم بعد ذلك ولى وانهزم وملك المسلمون أعقابهم ولم يكن سوى البيوت مآبهم ، وقتل منهم ستة رجال فى تلك الساعة والحال . وفيها أتى المسلمين الخبر أن عريعرا كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله ، وقد صرح بذلك فى قوله لافى فعله ، وأخذ المسلمون للحرب فى الاستعداد وتحصين البلاد . وفيها فى شهر رمضان سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على أهل الرياض تسمى وقعة أم العصافير؛ وذلك أن المسلمين قدموها ليلا وجعلوا لهم رجالا وخيلا أعدوا لهم رجالا فى مكان يقال له القبة كمينا ؛ فلما أصبح الصباح وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معينا ، فاستمر بينهم القتال وضاق فى المعترك المجال حتى كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال وقتل منهم تركى بن دواس وابن فريان والجبرى وحمود بن ماجد ، ولم يقتل من المسلمين غير واحد ثم انقلب المسلمون إلى بلادهم بعد تحصيل مرادهم . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرس الله مهجته إلى الرياض فنزلوا البنية وملكوها وتلاحقت عليهم الأفزاع من منفوحة والرياض ، فاقتتلوا فى تلك الأراضى والبقاع وكان القتال من بعيد بالبنادق والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق ، وقتل بالرمى ذلك اليوم من أولئك القوم ثنيان ابن مبيريك عبد الدرعات وآخر يقال له الدفين ، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة ، ثم ثوّر الأمير عبدالعزيز من تلك الأماكن فأناخ بالغدوانة فى ذلك الباطن ، فأمر المسلمين جزاه الله تعالى خيرا وأعظم له أجراً أن يبنوا فى ذلك الباطن قصرا يكون للمسلمين حصنا وثغرا ، فأقاموا سبعة أيام فى ذلك البناء والإحكام ؛ ثم بعد الفراغ منه والتمام ، أرخص لمن أراد من الغزاة أهله والقدوم عليهم من المشاة على الأقدام وبقى هو مع الجيش بعض أيام . وفيها جرت ردة مبيريك بن عدوان وأتباعه منهج الشيطان ، وذلك أنه لما رجع من غزو البنية وبناء القصر إلى الدرعية عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير عن الإمارة فى حريملا والتدبير ، وأمرا أحمد بن ناصر بن عدوان وأرسلا معه مفرج بن شعلان وذلك لأنهما تخوفا على المسلمين منه لأمور صدرت نسبت عنه فاسترخص مبيريك الشيخ ومحمد الأمير أنه يريد العيينة ثم يسرع إليهما بالمسير فأرخصا له فى ذلك ؛ فلما خرج مورّيا بالسير إلى هنالك اجتمع فى ذلك الطريق مع أناس من أهل حريملا فعاودهم على الردة

فلبى له منهم فريق ثم سار يريد حريملا مع من وافقه من جماعته ، فلم يصل إليها إلا بعد ماملك حمد بن ناصر ومن معه قصر إمارته ، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعونته فلم يجبه أحد إلا بخذلانه ومهانته ، فحين تحقق الأمر وعاينه وعرف من جماعته المعاداة والمباينة ولى على وجهه مدبرا وبقى على فعله نادما متحسرا وصارت منيخ له وجهة ، فولى حريملا دبره ومنح تيك وجهه وقتل ممن ساعده على الردة رجال وفر الباقون باستعجال ، ولما أتى الشيخ ومحمد الأمير بما رامه مبيريك من التدبير أرسلا إلى عبد العزيز وأخبراه بذلك فجمع من عنده من الغزاة هنالك فأخبرهم بالواقع والحادث وأن ابن عدوان للعهد ناكث وطلب منهم تجديد العهد والمبايعة على الموت والمتابعة ، فلما صدقوا فى النية وأخلصوا لله الطوية وساروا يريدونه ودخلوا فى طريقهم الدرعية لقضاء بعض الحوائج والأغراض ، فلما عزموا على النهوض والانتهاض وراحوا سائرين إلى النعمية فإذا البشير يفاجئهم بحصول الأمنية ، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية ليبشر الشيخ ووالده بالقصة والقضية فحمدا الله تعالى وشكراه وسبحاه وكبراه ، ثم سار بعد ذلك عبد العزيز إلى حريملا تركيدا للبلاد وتطييبا لقلوب أولئك العباد . وفيها حزب مبيريك بن عدوان وجمع من أهل سدير والوشم والمجمعة من كل مريد شيطان وقصده بذلك حريملا ليشفى منها الفؤاد ويفوز منها بالظفر والمراد فأتى الأمير محمدا والشيخ الخبر بما جرى وصدر ، فأرسلا عبد العزيز والمسلمين إلى تلك البلاد ليساعدوا أهلها ويحفظوها عن ذوى الفساد ، فجاء الخبر مبيريك بن عدوان فلم يقدر على وصول ذلك المكان ولكنه سار مع أصحابه وجملة أعوانه وأحزابه فأناخ على البلدة المسماة رغبة ، فقاتلهم ثم طلب من أناس من أهلها الخيانة له فوافقه على ماأراده وطلبه وأدخل بعض البيوت والدور ثم أخرج منها بعد الحرب والقتال مكسور إلا أن أمير رغبة وابنه راضيا قتلا وولى مبيريك بمن معه خاسرا لمأموله لم ينل ، ثم قدم عبد العزيز رغبة ومن معه من المسلمين وأجلى من وافق مبيريك أجمعين وأمر بهدم السور خشية وقوع مثل ذلك الأمر المحظور .

ثم دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف . وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمدا الأمير أن عريعرا يريد الخروج على نجد والتسيير فأمروا جميع بلدان المسلمين بالبناء والاستعداد والتحصين ، وقام عبد العزيز حرسه الله تعالى بالجد والاجتهاد وشمر

ساعده في البناء والاستعداد ، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التسوّر والعروج ، ثم خرج بعد ذلك عريعر مع أهل الحسا وكافة بنى خالد وأهل سدير والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد وللضلال مؤيد معاضد ، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حريملا وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام ، فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال في أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها وثوّروا منها وطلبوا من عريعر المدد والأمداد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بنى خالد وفرقان من عنزة كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانه ونخا أصحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جنادب للجلاد فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبوهم ولله الحمد غارب الهوان والذلة ، وكفى بذلك عارا ومذلة . وقتلوا منهم رجلا عشرة والجرحى أكثر من أن نعدهم ونحصرهم ، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأنوس وساروا واحملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين؛ فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين وانهزموا راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيرا من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفا عن هو للتوحيد محاربا مجانفا وحصل التوافق مع عريعر ومن معه واتفق رأيه مع من ساعده واتبعه أنهم يلقون عصى التسيار بالجبيلة محلة الصحب الأخيار وينزلون تلك الفيافي والقفار ويقاتلون أهلها إذا أسفر النهار ، فعند ذلك ساروا جميعا إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطنبوا تلك الخيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاءوا به من الباطل والضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياما في أشد الجلاد والقتال ، ثم إن أهل الباطل والضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم في ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلو منهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدميه وشرد ، وقتل منهم في أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة ، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة . وفيها طلب أهل المحمل من الشيخ ومحمد بن سعود الدخول في الإسلام فأعطوا ذلك المرام وطلب منهم

نصف الزرع وربع الثمرة فالتزموا بتلك الأمور المقدّرة . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فساروا ونزل بالقصب وجعل له كمينا خارج البلد يشد أعقاب من بادر إلى ذوى الغارة وطلب ، فلما تبين الفجر وانجلى وارتفع ضياؤه وعلا وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين خرجوا إلى القتال أجمعون ، فلما استمر بينهم القتال خرج عليهم الكمين باستعجال ، فولوا مدبرين وبقوا ببلدهم منحصرين ، وقتل منهم سيف بن ثقبة ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول فى الإسلام وأن تجرى عليهم تلك الشرائع والأحكام فوافقهم على ذلك المرام وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحمر فقبلوا ذلك المقرر .

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أعزه الله تعالى على الأعداء وأعلا به منار الهدى ، فسار بأهل التوحيد وغلب العنق على التوحيد ، فلم تطب له راحة فى ذلك المسير ، حتى أصبح على المجمعة مغير ، وعدا على تلك البلد وقتل فيها من وجد ، فقتل فى ذلك اليوم على بن دخان وأربعة من أولئك القوم وعقروا كثيرا من الدواب ، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مآب . وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدلم ودخلها ليلا وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من دكاكين كثير أموال ثم خرج منها وانصرف عنها وعدا على قرية نعجان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان وقتلوا منهم عودة بن على ثم رجعوا سالمين . وفيها أيضا سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى ثرمدا فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا وكمنوا لأهلها على العادة طلبا للإفادة ، فلما خرج أهلها إليهم وأسرعوا إلى الفزع عليهم وجرى بينهم القتال انكسر أهلها بعد ظهور الكمين بلا إمهال ، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين فى ذلك المجال ، ثم بعد ذلك أرخص عبد العزيز لمن معه من الرجالة أن يعمدوا إلى أهلهم وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيه عليه وحاله فشنّ على أهل الدلم الغارة وقد سبقه عليهم النذارة ، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين فاقتتلوا أشد القتال مع المسلمين ثم شدّ المسلمون عليهم وعمدوا بالصدق إليهم ، فانكشفوا مسرعين إلى الديار وتحصنوا بذلك الجدار وقتل المسلمون منهم سبعة وأخذوا إبلا مجتمعة ، ثم بعد ما صدر من الدلم جمع رأيه وعزم أن يغزو الوشم ، فسار على وجهته وتصمم عزمه

وهمته فأناخ على وشيقر ليلا وهيأ الكمين ، فشعر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا جميعا إليهم وأقبلوا للقتال عليهم والكل قد صدق الطعان فى ذلك الوقت والزمان حتى غشيتهم حملة الكمين وخالطتهم أسنة الدفين ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل نحو العشرين ، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين . وفيها عزل الأمير محمد والشيخ مشارى بن معمر عن إمارة العيينة لأمور كثيرة ثبتت عنه شينة ، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محيسن المعامرة على من بها من سائر الأنام وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر . وفيها غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع ثم كان منهم إلى بلدانهم العودة والرجوع . وفيها جرت وقعة آل ريس فى بلد الرياض فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض منهم على وقتل معهم غيرهم . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى آل عسكر من آل ظفير وكانوا على الثرمانية فصبحهم عبد العزيز بالغارة الشعوائية فوقع بينهم القتال واحتنك القضاء فى المجال حتى قتل رئيس أولئك الأبطال وكان يقال له فوزان الذبيحة من رءوس آل عكر ، فانكسر ذلك الفريق وأدبر وقتل منهم عشرة رجال وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فسار إلى الوشم وحقق عليهم العزم فوافق فى طريقه خمسة عشر رجلا من أهل ثرمدا ، فشنّ عليهم الغارة وعدا فزبنوا بلدا يقال لها الحريق فنازلها المسلمون وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون ، فأبى عن الموافقة والطاعة من بالبلد من الجماعة وقالوا هذه بئس الشناعة . فلما ألح عليهم عبد العزيز وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجويز افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر .

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز أدام الله تعالى فوزه وكثر من الخير حوزه ، فسار بأهل الدين يريد سدير وحث لأجل ذلك السير فلم يصل إليهم حتى سبقه النذير عليهم فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله ولم يكن معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب ، فأغار على بلدة يقال لها الروضة وجرى بينهم قتال وصار عن قتل شهيل بن سحيم الانفصال ولم يقتل سواه من المسلمين ، ثم أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين سدير فصارت

على الروضة منهم الغارة . فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدارة، وشدوا للقتال إزاره ، فلما اشتد القتال وأججوا استعاره ظهر عليهم الكمين فانكسروا أى انكسارة وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استه ثم رجع المسلمون إلى بلادهم بعد نيل مرادهم . وفي تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفى فجوة فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام فتركوا ما معهم من الغنم وصمموا على قتال من قصدهم ودهم ، وجرى بينهم القتال ساعة ثم كل إلى محله ارتجاعه . وفيها سار عبد العزيز أعز الله تعالى به المسلمين وأدام له التأييد والتمكين فنزل على الرياض بالمسلمين وأعدّ فى ظلام الديجور ما شاء من الكمين ، فلما قارب الفجر فى الانبلاج تبين حال المسلمين ووقع فى البلد الارتجاج وخرج أهلها ووقع القتال بينهم وعجل الله لأهل الباطل حينهم ، فبعد ما حمى الحرب واستعر وشد لها تلك الأفزاع الأزر ظهر عليهم من المسلمين الكمين ، فلم يكن لهم عون ولا معين ، فولوا سراعا مدبرين وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس ولم يكن بعد كسرها لهم صبر ولا احتباس ، وعاش فهيد نحو أربعين يوما بعد كسره ثم حواه لحد قبره ، وقتل منهم ثمانية رجال واستشهد من المسلمين ستة فى ذلك المجال . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فنزل منفوحة بالمريقبات وأقام فيها بقية ليلته وبات ، فلما انبلج من الفجر الضياء وتشعشع نوره وأضاء وقد أعد الكمين فى دياجر الليل وكان المسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الميل ، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن وتبين لهم فى العيان لم يكن لهم عن اللقاء من توان ؛ فلما خرجوا إليه مسرعين وأقبلوا عليه مهطعين وناوشوا القتال المسلمين ظهر عليهم الكمين المذكور وحان بينهم القضاء المسطور ، فأضحى أهل منفوحة وأفزاع الرياض كل منهم منهزم مكسور ، وقتل من جميع تلك الأفزاع سبعة رجال بلا نزاع . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصبح مساعد بن فياض مع قومه بالعتش فى تلك الغياض ، فلما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتتلون وراموا حماته ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشد المسلمون عليهم الحملة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتووا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز

كما بان تعداده ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى قصر الغذوانة يريد زيادة بنائه وتحصينه ثم يرجع بعد حينه ولكن إذا أراد الله تعالى أمرا فلا بد من إنفاذه وتكوينه ، فلما أراد الله عز وجل أن يبرز للخلق ما سبق في الأزل ويبلو الناس بما فعل ويهيء الأسباب لمن دنا له الأجل همّ عبدالعزيز بلغ الله به الأمل أن يهجم على الرياض ليلة العيد ويبيت أهلها ويبيد ، فسار بعد ما أظلم الليل وأغلس والصبح لم يتنفس فدخل البلد من المسلمين عدوه فرآهم رجاجيل لابن دواس صادرين من ناد أوندوه فعجلوا إليه بالأخبار . فلم يكن له دون ركوب الخيل من بدار ، فخرج بخيله ورجاله ودولته يريد ركن المسلمين مع جماعته فبادر إلى الركن المعد قبالة البلد فلم يدرك منهم أحدا ثم ظهرت العدوة التي دخلت البلاد وقطعت ساقة ابن دواس ومن معه من الأجناد ، وشنّ المسلمون عليهم الغارة بالخيل والجيش والتهبت نار الحرب وزاغت الألباب من الجزع والطيش ، ثم انهزم دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته ، وقد قتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه وأبطاله منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبو المجبر واستشهد من المسلمين خزام بن عبيد وعثمان بن مجلي .

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى منفوحة ليلا وقد أعد الكمين ، فلما أخذ الصبح في الضياء والتبيين تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين ، فنهدوا إلى اللقاء وبادروا من غير بقاء ، فاقتتل الفريقان وحمى بينهم الطعان ، فلما ظهر عليهم الكمين أدبروا منهزمين وقتل منهم سعد ابن محمد بن فارس وشبيب الصنان ولم يقتل من المسلمين إنسان . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الخرج وكمن لأهل نعجان ولم يفطن بذلك من أهلها إنسان ، فلما تبين الصبح وأنار خرج أهلها للقتال على البدار ، فاستعجل كمين المسلمين بالظهور ، وذلك لما قدره الله من الأمور واشتد بينهم القتال ثم انكسروا على استعجال ، وقتل المسلمون منهم سبعة رجال وحصروهم في تلك القرية أياما وليالى وقطعوا من تلك النخيل العوالى ، ثم سار عبد العزيز بمن معه إلى الوشم ودخل ضرما لأجل فقد الأزواد ثم ساروا ولم يكن لهم دون مراة من مراد ؛ فلما وصل في الليل إليها وقدم في الظلام عليها هيأ للحرب كميه ، وأمرهم بالصدق وإخلاص النيه ،

فلما تبين الفجر وانكشف وولى مدلهم الليل وانحرف ، تبين لأهل مراة الحال ، فلم يكن لهم دون اللقاء من مجال فخرجوا للحرب مستعدين وللموت مستوطنين ، فلم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين ثم ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل المسلمون منهم قريبا من عشرين وقتل من المسلمين رجلان ثم انقلب المسلمون إلى البلدان . وفيها أيضا سار عبد العزيز ومن معه إلى الوشم ونزل بأهل الفرعة وأناخ عليها فى الليل جيشه وجمعه ، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين واستمروا على القتال مجتمعين خرج عليهم بعد ذلك الكمين فولوا مسرعين وقتل منهم سبعة رجال ولم يقتل أحد من المسلمين فى ذلك المجال . ثم بعد ذلك بأيام طلب أهل الفرعة من أهل شقرا الدخول معهم فى الإسلام فأجابوهم إلى ذلك المرام . وفيها أيضا غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد ثرمدا وقد جد لأجل ذلك المسير فسبقه إليهم النذير ، فلما أغار عليهم لم يدرك المراد لتحصن أهل البلاد وجرى الرمى من بعيد ولكنه لايجدى ولا يفيد ولم يقتل من أهل البلد سوى شخص فى العدد ، ثم سار فى وجهته وطريقه ذلك وغزوته ونزل بين الفرعة ووشيقر وبنى هنالك قصرا يكون للمسلمين ثغرا ويضيق على وشيقر وأهله وهذا من سديد رأيه وفعله وأعد فيه للحرب والقتال شرذمة من الرجال ، ولم يزل ذلك القصر مأهولا وبالمسلمين موصولا جامعا لأسباب العمارة والنظام حتى دخل أهل وشيقر الإسلام .

وفى تلك الغزوة أيضا وضع عبد العزيز فى شقرا خيلا ورجالا زيادة على من فيها ليحسنوا بذلك حالا ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالا . وفيها غزا جدعان ابن قعية بأهل عشر ركاب من المسلمين فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فثاروا عنه مجتمعين وتربنوا قارة فى ذلك المكان ثم دعاهم شخص من عرينة بالأمان ، فلما أقبلوا إليهم نبذ العهد وخان ، ولا غرابة فى هذا فقد وقع نظيره فى سابق الزمان وقتل من تلك الغزاة عبد الله بن براك ومهين بن ذباح وجدعان بن قعية وغيرهم نحو العشرة . وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرن فى الرياض فاقتتلوا معهم وقتل من أهل الرياض ثلاثة وأصيب شعلان بن دواس ، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن المشهورى وحمد بن سليمان القاضى . وفيها أكل الدبى والجراد جميع زروع نجد وأشجاره وحمى الله أثماره .

ثم دخلت السنة السادسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز فسار بالمسلمين يريد الرياض والهجوم عليها لجد السير حتى نزل حواليها وعبأ كمينه وعدوته وهيأ فى ليله سطوته ، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون حتى لمع بريق الفجر فعلم ذلك الشأن والأمر ، وأقبل أهل الرياض فى أشد عزمة وانتهاض فتجالدوا مع العادين وكانوا لهم مبادين ، واستمر ذلك القتال فى ذلك المجال بين أولئك الرجال ؛ فقتل أربعة من أهل البلد فولوا مدبرين وقتل دهمش بن سحيم من المسلمين . وفيها أيضا سار عبـــد العزيز بالمسلمين وكانوا لأهل الرياض منتدبين فأسرعوا لذلك الشأن حين تحكم الرقاد فى الأجفان فوصل إلى تلك البلاد ، فعبأ للعداوة من أراد وكانوا نحو المائتين من غير شك ولا مين ، فدخلوا البلد واختفوا منها فيما اطمأن وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن وظنوا أن عيونهم قد حكم عليها الوسن ، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهام بما دبروه حالا فأتاه من أصدقه مقالا ، فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالا وأتاهم فى مكانهم فرسانا ورجالا وأراد أن يقتطعهم دون الجيش الذى أبدى عن البلد اعتزالا ، فبادره المسلمون حملة واحتمالا وشمروا له جلادا وقتالا ، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرا للجلاد أذيالا فاقتتلوا ساعة ، ثم انهزم دهام وقد قتل من قومه ستة رجال وثلاث من الخيل ونال ولله الحمد هوانا موالى ، وقتل من المسلمين شريان ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان . وفيها عدا دهام ابن دواس وأبدى غاية الكيد والإبلاس ، ورام بالمسلمين قاصمة الظهور ، ولم يدر أن الله تعالى مريد لهم التمكين والظهور ، فأعد لباطل ذلك الكيد عدة وأعد لذلك الأمر أهل النجدة واختار ذوى البأى والشدة ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين مما دبر من حاله وقبيح أفعاله حتى جاء المسلمين النذير يخبرهم بوصوله واستعجاله ، فتفاوض المسلمون فى الرأى والتدبير ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير ، فأشار عبدالعزيز على والده محمد برأى مبارك رشيد وتدبير ميمون سديد ، وذلك أن المسلمين يخرجون من القرى لكونه طامنا خفى وأرسلوا لها سبرا يحققه خبرا ، فلم يرعهم إلا الرمى وصوته فبادروا إليه قبل فوته ، فالتقت الخيل مسرعة وأطلقوا أعنتها متبعة حتى لجئوا دواسا ومن تبعه ، فاشتد بينهم القتال ، ثم تلاحق الجيش والأبطال وحمى الحرب واستعر ، ولم يكن لأحد دون الذب عن عمره من مفر حتى إن الله تعالى

جلت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر ، ورزقهم على عدوهم الظفر ، فقتلوا من أهل الرياض خمسة وعشرين ثم ولوا بعد ذلك مدبرين، وغنموا أربعا من الخيل وأخذوا جميع الركاب ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب وقد كان عبد العزيز قبل قدوم هذا الخبر يشتكى من ألم الحمى بعض الضرر ، فلما جاءته بذلك الأخبار لم يبال بما معه من الإضرار بل شمر ساعده وشد الإزار للقاء الأعداء والفجار ، وقام فى ذلك الأمر وقعد وجد فيه طاقته واجتهد حتى أنجح الله تعالى له ما قصد وحقق له فى أعدائه سؤله وبلغه فى أهل الباطل مأموله ، وحمده فى تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض على القروا وسعد المرابع ومانع بن مشوط ومبيريك بن مبارك فشفا الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم أجمعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الحسا فأزال الله تعالى بذلك الغزو عن قلوب المسلمين الهم والأسى وكانت خيل المسلمين قريبا فى العدد من ثلاثين فوصل إلى تلك الديار بعد ما أخذ النهار فى الإدبار وذهب ضوء شفق النهار فأناخ قريبا من البلاد وأرسل عينه إلى المطيرفى ليرتاد ، فألفاهم وقد أخذ الرقاد من أجفانهم المراد وحكم عليهم السكرى بالإجهاد ، فأخذ فى أهبة دخول البلاد بالتهيئة ، والاستعداد ، فلما انجلت من الليل غياهبه وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه ، هجم عليهم المسلمون فيها وجالوا فى قاصيها ودانيها واستداروا فى بيوت تلك البلد يقتلون من يشاهدونه من أحد ، فلم يسلم إلا من اختفى أو شرد فقتلوا نحو السبعين من أولئك المشركين وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب مالا يحصره العد والحساب وحسن للمسلمين فى ذلك المآب . فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانقلاب أغاروا على أهل المبرز فى ذلك الصباح وقتلوا أيضا فى طريق تلك النخيل من أهل الفلاحة بعض الرجاجيل ثم انقلب المسلمون راجعين ، فلما أتوا العرمة وافقوا أناسا مجتمعين من أهل الرياض وحرمة فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم وتركوا أهل حرمة وحالهم لأنهم إذ ذاك مهادنون وفى السلم داخلون ؛ ولما وصل المسلمون إلى الرياض فى هذه الغزوة أغاروا على أهلها خبوة وأخذوا لأهل منفوحة أغنام ورجع كل إلى بلاده بالسلامة والأغنام ، وقسمت تلك الغنائم فى الدرعية بين الغزاة بالسوية . وفيها وقعت الردة من أهل وثيثا وذلك أن أهل وثيثا لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبدوا

للعهد نكثا أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن ويستنجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والهجوم ، فقال ذلك ما كنا نريد وهذا هو الرأى السديد فقتلوا عند ذلك عبد الكريم بن زامل ودخلوا مع إبراهيم فى طريقه وعهده وانتظموا فى سلكه وعقده . وفيها غزا عبدالعزيز حرسالله مهجته بالمسلمين وآل كثير يريد سبيع لما نقضوا العهد ، فجد فى السير وأخذ سائرا فى الجنوب يريد سرعة الوصول فوافقهم على سيح الدبول ، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول ولحقتهم الجيوش مثل السيول ، فوقع بينهم المصادمة والقتال ثم كان عن قتل مائق بن شلية الانفصال وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل ثم رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل . وفيها غزا المسلمون سدير وقصدهم بذلك بعض العربان فلم يوافقوا أحدا فى ذلك الزمان .

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها كاتب دهام ابن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود على أنه يريد الدخول فى المنهج المحمود ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام ويحافظ على الوفاء بالعقود ويقسم أعظم الإقسام إنه يوفى العقود فوافقوه على ما طلب وأراد ، مع علمهم بأنه لايوفى بوعد ولا ميعاد ، ولكن لايسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد ، من أراد الدخول فيه من العباد وطلب الدلالة والإرشاد ، ولكن طلبوا منه على سبيل التوبيخ له والتنكيل وطريق التأديب عن التغيير والتبديل ألفى زر معجلة وأموال المهاجرين يرد كل لمن هو له ، فالتزم بذلك الصدق والقيام وأظهر غاية الانقياد والالتزام ، وأرسل إلى الشيخ والأمير ما شرط عليه من النقد فى التقدير . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبدالعزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى إلى سدير لملاقاة ذلك العدو الكثير ، فلما وصل إلى جلاجل والظلام قد أخذ فى التراجل وأقام يهيء التدبير لملاقاة العدو الكثير ، فلم ينبلج من الصبح عموده حتى استعدت أحزابه وجنوده وكمن فى موضعه الكمين وعرف أهل الغارة من المسلمين ، فلما استنار بياض الصباح وخرجوا للقاء والكفاح ، فلم يلبثوا للقتال إلا يسيرا ثم صار ذلك الفزع ينهزم مكسورا ، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح وفى الحقيقة ليس عليهم فى ذلك من جناح ، إذ لاطاقة لهم ولا لغيرهم بالمسلمين فى الكفاح ، وقتل من أهل البلاد عشرة رجال فى التعداد

وقطع المسلمون عليهم بعض النخيل ثم انصرفوا راجعين بالتأميل ، وقتل من المسلمين فرحان التمامى وصالح بن محمد بن صالح ؛ فلما وصل المسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فريقا من سبيع فى الذمة ونهبه ، واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه ، فأخبر ذلك الفريق عبدالعزيز فى أثناء الطريق فشمر ساعد الجد والعزم ورفع إزار الهمة والحزم ، وسار فى يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد ، لم يثنه حرسه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقاة الأجناد ، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائرا فى آثارهم متطلبا لأخبارهم حتى وصل إلى فيفاء سهلة تسمى إذ ذاك قذلة ، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقيله وثقـله ، فلم يكن لهم دون لقائهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحمت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان فى ذلك المجال ، وصدق المسلمون النية لمولاهم فأنجح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال ، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال فقتلوا منهم نحو الخمسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المسلمين مصاب ، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين ، وانقلب المسلمون إلى أهلهم راجعين ، وكانت هذه الوقعة العظيمة والمنة الجسيمة فى شهر رمضان فحصل السرور والتهان .

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزوة تسمى غزوة المديهيم وكانت فى صفر ؛ وذلك أن عبدالعزيز أعزه الله تعالى بالإسلام وأنجح له السول والمرام غزا بالمسلمين ومعهم فى تلك الغزوة دواس بن دهام مع قومه فسار عبد العزيز مجدا فى يومه ولم يزل فى السير مجدا يبذل فيه جـدا يؤثر الوخد فيه على الذميل ولا ينيخ فيه إلا القليل وقصده بذلك الغزو والمسير فرقان من آل ظفير يسمون مديهيم وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم ، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم وأرسل عينه إليهم فنظرهم وأشرف عليهم فإذا هم على التحقيق فريقان ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان وليس لأحد به يدان ، فلم يكن لعبد العزيز سوى طلب المعونة والانتصار من الملك القهار على أولئك الأشرار وبذل الجد والاجتهاد فى قتال ذوى البغى والفساد وتفاوض المسلمون بينهم فى صفة القتال والتلاق لأن الفريقين كانوا فى المنزل على افتراق ، فتخوف

المسلمون منهم أنهم إذا صبحوا فريقا غشيهم الفريق الثانى بالتطبيق وكان المسلمون إذ ذاك ليسوا بالكثير وركابهم لا تزيد على مائة وثلاثين بالتقدير فأشار عليهم المبارك الميمون برأى به النجاح يكون وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجالا فإذا انكسروا انقلبوا إلى ركابهم فركبوها عجالا فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين فيهزمونه أجمعين فلما أضاء الصبح ونوّر أخذ المسلمون فى ذلك الرأى المدبر، فلم يفجأ تلك الأعراب إلا أسنة المسلمين الأحباب فبقوا معهم ساعة فى جلاد وبذل وجد واجتهاد حتى عاينوا ماليس لهم به قبل، فولوا سراعا على عجل وقتل منهم نحو الثلاثين وأخذوا أموالهم أجمعين وقتل من المسلمين الفيليث ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم ولم يقع لهم مثلها فى المقاسم. وفيها فى ربيع الثانى جرت على المسلمين وقعة الحائر ذات اللقب المشهور والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب المحن وفتح أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوى الضلال والعصيان وتسويل أولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان وتمييز أهل الباطل والفجور والضلال من ذوى التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك لدى الناس ويظهر الطيب المبرأ من الأدناس من الخبيث المتضمخ بالأرجاس ويشاهد حاله ويستبين (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) فكان سبب تلك الواقعة والنازلة الجامعة أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا وقتلوا فى قذلة وقهروا شمروا للثار أطراف الذيل وجدوا فى السير للنهار والليل، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والمسير إلى نجران والهجوم فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق ماصدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم فى الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على التوال ودعوهم إلى المسير والتسيار والأخذ لهم بالثار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة والكل منهم مد للشر باعه وكان الداعية فى ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن هبة الله قبحه الله وأخزاه، فجمع جميع أهل نجران من الحضر والبدوان والتأم معه قبائل اليمان فأقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطئوا بلاد المسلمين فجاءهم خبرهم اليقين على التفصيل والتعيين، فجمع عبدالعزيز رحمه الله تعالى مقاتلة المسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال والاستعداد للقاء ذوى الضلال وسار بهم جميعا يريد قرية الحائر وكانت من بلاد المسلمين

وقد أرسل لهم قبله مددا يكون عونا وناصرا فلما وصل إليها وأشرف عليها وقد كان رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقى بها مـدة أيام وليال كل يوم يقع بينه وبين أهلها قتال ، وقد كان المسلمون فى مسيرهم إلى الحائر الذى نزل به ذلك العدو الجائر والجند المارق الفاجر يتكلمون فى مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الخيلاء والإعجاب الذى يكون غالبا به المعاقبة والعقاب ويصير سببا إلى الابتلاء من رب الأرباب ، فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم فى ذلك الموقف على ابتغاء الثواب وبذل غالى الرقاب حمى بينهم الوطيس،ولم يحصل بين الأبطال تنفيس ، وبقى فرسان الإسلام تجول ورجالتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولـكن أراد الله تكرمة أوليائه وخـذلان أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الـكاذبين) فكتب على المسلمين الهزيمة فى ذلك اليوم وتبع ساقتهم أولئك القوم وحقت عليهم الهزيمة وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعا من عقود المئين فصارت هـذه الحادثة والنازلة الـكارثة طهرة وتمحيصا للمؤمنين ومحقا للضلال والمعتدين ورفع درجات للمستشهدين وعبرة للمعتبرين ، وأقام رئيس نجران أياما بذلك المـكان ثم ارتحل بالغدوانة فكان ذلك الباطن مكانه ، ولما نزل بذلك الموضع المذكور خرج أهل ذلك القصر المشهور إلى إبل له نحو عشرين وأخـذوها وانقلبوا راجعين ثم تحصنوا فى مكانهم وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته ثم بدا عليه دهام بن دواس وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس ورغبة مما فى قلبه من الشر والإفلاس أن يمشيه ويسير به على بقية المسلمين والناس ووعده على ذلك كثيرا من الأموال وأنك إن جردت سيف الجهاد والقتال فى هؤلاء الذين اعتـدوا فى الفعال وفتحت بلدانهم وقتلت أعوانهم فزت بالسودد والمحامد ، وألقت إليك نجد بالمقالد وصرت رأسها ورئيسها وغرتها ونفيسها وغـدوت حاكمها وواليها تنفذ التدبير فى أسافلها وأعاليها ، فهش الخبيث عند زخرف ذلك المقال وبش حين ماوعى ماموه عليه من الأقوال ولم يدر حاله ولم يختبر أفعاله بل بدا له أنه ناصح أمين يريد له الظهور والتمـكين وماعرف أنه خئون أفاك ومعتد سفاك وحثه على التأخر والإقامة،وأظهر حشيمته وإكرامه ثم أرسل أيضا دهام إلى عريعر بالخبر والإعلام ويحثه على الظهور إلى نجـد ويقرب له المرام

والقصد ويستجيشه فى ذلك العام ويخبره أن أهل نجد فى غير نظام وأن كلمتهم متفرقة وأحوالهم متشتتة متمزقة ، وفى إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين فى القوم الذين كانوا عندهم مأسورين فقبلوا ذلك الحال وكان الشرط بينهم فى المقال أن يطلق ماعنده من أسرى المسلمين ويطلقوا من عندهم أجمعين ، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ماهو مأسور نحو الثلاث من المئين فأطلقهم جميعا مكرمين ، وقد مكث فى ذلك المكان نحو خمسة عشر يوما من الزمان ، وقدم عليه أيضا فى ذلك المكان ذوو الضلال والطغيان زيد بن زامل وفيصل بن سويط وأثنوا عليه بتلك الأفعال وحمدوه فى ذلك القتل والقتال والتزموا له إن بقى جزيل الأموال ، فلم يلق إليهم بالا ولم يرع لباطل ذلك المقال وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه حتى يقدم عليه وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب وزخارف الأباطيل والأكاذيب ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال والحطام وأجاويد الخيل الكرام إن بقيت فى ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام ويمنيه منكرا وزورا ويعده باطلا وفجورا (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) فلم تجد تلك الوعود فيه ولم يجنح إلى ما يعده ويمنيه ، ولم ترض للاقامة شكيمته ولم ترض بباطل الوعود شيمته ، ولم تركن لما زخرفوه همته ولم تصغ لها عزيمته ولم تكن نفسه أبية عن الأطماع بل تطمع فى المال غاية الإطماع وتنزع إلى حبه أشد النزاع ، ولكن لما قذفه الله تعالى فى قلبه من الرعب والافزاع والخوف والاجزاع لم يقم غير ماذكرنا فى تلك البقاع ، وأزاله الله تعالى عنها وطرده وقذفه فى هوة الذل وأبعده ، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال شأن ولا حال بل كتب عليه الهوان والاذلال وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال وقال المصنف فى ذلك الحال :

عين جودى بواكف هتان	واسكبى عبرة من الأجفان
وأفيضى على الخدود دموعا	تحكى صوب الغمام فى الهملان
واهجرى لذة الكرى فى الدياجى	قد كفى ما جرى من الأحزان
واذكرى معشرا وابكى مصابا	ما جرى مثله بماضى الزمان
لهف نفسى على فراق صحاب	قد تتالوا بطاعة الديان
نهدوا للجهاد صدقا وباعوا	غالى النفس فى رضى الرحمن

أسرعوا فى امتثال أمر إله إذ دعاهم إلى قصور الجنان
صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران
فأنيلوا الحياة مع مشتهى الـ جنات والحور فى رفيع المكان
وانقضى راجعا بخزى وذل من أتى غازيا مع النجران

وفيها خرج عريعر إلى الدرعية مع بنى خالد كافة وأهل الحساء وسائر الرعية ، فلم تصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهناء حتى اختلج رئيس نجران ذهنا ومزج الخوف لبه وملأ الله بالرعب قلبه ، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم جد السير إلى بلاده وخدا ودميلا وآثر الليل هاديا ودليلا ، فلما وصل عريعر إلى فياض الجلسا ، وارتوى من تلك الحياض القعسا طاب كثير من أهل البلدان نفسا .

ولما استقر به القرار فى معمور تلك الديار ، وانتشرت جنوده فى فسيح ذلك الوهاد ، وملئت تلك الفيافى والمهاد ، تبين من أهل نجد الارتداد ونجم الضلال والنفاق وقام الباطل على ساق ودعا ، فلبت بسرعة له أعوانه وأجابته على الفور أخدانه وسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه ، وأول من أجاب لداعيه ولبى الصوت مناديه وبادر إليه عجلا وسار له هرولة ورملا ، ورام أن يبلغ بذلك الباطل أملا ، وشهر راية الفتنة والإبلاس دهام بن دواس فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس وأهل منفوحة سلكوا معه فى ذلك العرين وتتابع نجد من ذوى الإسلام والعهد أجمعين (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ثم إن عريعرا استشار من أهل نجد ذوى المعرفة والشأن فى المنزل الذى ينزله من الدرعية مع تلك العربان ويسع الحضر والبدو من أهل الحسا وسائر البلدان ، فاستقرت الفكر والأذهان على أنه ينزل بين قرى القصير وقرى عمران كما هو معروف بذلك إلى الآن فوجلت قلوب أهل البلاد مما جاء به وكاد ، وما جره عليهم وقاد ، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة حين ضرب خيامه ومد أطنابه ودهشوا من ذلك الكيد بالإرعاب وأزعجهم ما رأوا من الأجناد والخيلاء والإعجاب وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب وبهرت قلوبهم تلك المدافع التى ليس أحد دونها بممانع ، ولم يكن للمسلمين . غير الله دافع ولاسواه من معين

ولا مدافع ، فأنابوا إلى الله واستسلموا ولجئوا إليه فى كشف مابه دهموا وتحققوا أنهم على الدين المنصور وجزموا ، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا ، وعلموا أنهم يرحمون ، فأعينوا ورحموا وكل صدق النية لله وأناب ، وأخلص فى الإيمان والاحتساب رجاء من الله فى جزيل الثواب وتأميلا من المولى أن يحسن لهم المآب ، فلما أناخ بذلك المكان الفسيح أقام ذلك اليوم ولم يبد حربا ليستريح ، فلما بدا اليوم الثانى نهض مسرعا من غير توان حين أكملت الطلوع شمسه مشمرا للقتال طيبة نفسه وقرب المدافع والآلات وتلك الجيوش المزعجات إلى قريب من الجدارات ، وأقام يرمى بها رميات يريد أن يهد تلك اللبنات ، وينقض تلك البروج المستكينات ، وأخذ يحث الرماة ويزجر ويرد عليهم ويصدر ، فلم ينل ولله الحمد المراد وصدر وما أفاد ولم ترم مدافعه لبنة من جدار ؛ فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار وزيادة يقين فى دينهم واستبصار ، وقوة رجاء فى الإعانة والانتصار فكأنما والله قد نشطوا من عقال أو خرجوا من حبس واعتقال ، بل كأن الخوف لم يخطر لهم على بال ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال ، وتأييد من ذى العزة والجلال ، وإلا فقلوب البشر لاتطيق بعض ما صدر ولكن كما قال تعالى (وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) ولما كان آخر النهار قبل وقت الأعصار من ذلك اليوم المذكور خرج المسلمون للعرضة خارج السور وكان ذلك بأمر عبدالعزيز حرسه الله تعالى من جميع الشرور ، ففرح بذلك أولئك الجنود وقالوا هذا المنى والمقصود ، فأسرع عليهم الأقوام وكانوا على تهيئة فى الانقسام فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان ، وأسرعت الدول تسير على عجل تريد من علو الباطن الدخول حتى يفوزوا بالمأمول ، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة وكان علو الباطن مراده وقصده ، فسابقهم إليه قبل الدخول ولم يكن لهم إلى التمكين فيه وصول فلم يكونوا من مأمولهم على حصول ، وأخرجهم المسلمون منه قسرا ونحوهم عنه قهرا ، وقتلوا منهم رجالا وأخذوا فرس ديوان ، وكان لعريعر خيال وقتل من المسلمين سلطان بن عدوان وهو يدعى ابن نعران وبنى عبد العزيز فى ذلك ما هدم وأحكم بناؤه وردم ، وأقاموا على ذلك أياما قلائل كل يوم ينصبون

للحرب الحبائل ، ويعملون الآراء والفكر فيما يقع بالمسلمين من الإضرار والضرر ، وقد أقاموا من الأيام مدة فى أعظم ضيق وحرج وشدة ، وقد بلغ الضرر منهم حده والـكل منهم يتحسر ويتندم على مجيئه الذى تقدم ويسوف ترياق الأسف والحسرة ويعض أنامله من الندم حيث أجمع على المسلمين أمره ، وأضحى عريعر ذلك الجبار مما شاهده وعاينه وصار يدعو بالخيبة والعثار والويل والدمار على من عليه أشار بذلك المسير والتسيار ، فـكانوا فى المنزل فى غاية الذل يقاسون من الظمأ والعطش شدائد لبعدهم عن المياه والموارد وكل يوم تغيب شمسه وتطلع تطلب نفسه الهروب وتنزع ويروم الرحيل والترحال لما وقع به من الوبال ، وتأتيه شياطين أولئك الأعوان وتثبطه على الإقامة بذلك المـكان مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول ولفمع الدين وأهله آمل ، فيلين لهم بعض اللين وينخون أيضا بنى عمه عليه فيأتونه للراضة ويستكين حتى نفخ الله تعالى سحره وطاش وأراد العجلة والانحياش ، فأتوا إليه وتلببوه وحاولوه بطنا وظهرا وقلبوه ، فلم يروا فيه وجدا ولم يجدوا به وردا ولـكنهم أدركوا منه تسييرا ومعدا وحدوا له فى ذلك حدا وذلك بعد ما أتوا إليـه عتاة أهل الحريق وزينوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف المسبا والطريق ونحن لك القادة وسترى منا لك الإفادة ، فراض إلى قولهم وقصد معرفة فعلهم ، فلما توثقوا من راضته شرعوا فى الرأى وإفاضته ، واستقرت المشاورة والمعاودة ، على أن غدا تـكون بيننا وبينهم المناهدة ونصدقهم الحرب والمجاهدة ، ونتفرق عليهم ثلاث فرق ، ونظموا رأيهم ذلك حين انتظم سواد الغسق وأخذ الرأى جهده من الحدق ، فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب ، فأسرع بذلك من وعاه وهو سالم بن جمهور أثابه الله خيرا وجزاه ونقله إلى عبد العزيز ونماه ، فلم تستنر بالضياء جهات الأرض حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقائهم الغرض ، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الـكبار تروم الحصن والجدار ، وأخذت القنبرة والمدافع فى لفح الشرار واستعظم الأمر واستطار ، وزاغت القلوب والأبصار ، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر ، فصارت المهاشير ومن معهم على الزلال وكافة بنى خالد وأهل الحسا ذوى الضلال نحروا جدران سمحان وأهل الحريق وابن دواس

وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان ، قصدوا قرى قصير وصار قصدهم في ذلك المسير وا كتنفوا جميع البلدة والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضيه حده وراموا في ذلك أمرا إدّا ، وكل قد حارب ربه وتعدّى ، فلم ينل كل منهم رشدا ولا حاز مفخرا وسعدا ، ولا نال من مراده مطلوبا ولا حصل من سؤله مراما ولا مرغوبا بل رجع كل منهم خائبا مرهوبا خائفا وجلا مرعوبا ، وقتل منهم نحو الخمسين وهربوا عن المدافع مدبرين ، فلو يلو أحد منهم إليها ولا عرجوا تلك الساعة عليها ، لما عاينوا من الإرعاب (وصب عليهم ربك سوط عذاب) ، وكان عيد بن تركى في المقتولين، وكان والده يديم عليه البكاء والحنين، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين ، وانهزم رئيس المدافع بعد ما قطع الله يمناه وتنحت يده قدر ميل في الفلاة ، ولم يحصل له بعض ما تمناه ، ثم لما ولى عنهم الارتياع كروا على مدافعهم بالارتجاع ، فلم يجرد بعد هذه المرة ومذاقتهم لتيك المرة ومقاساتهم تلك الأهوال المرة قواضب قتال ، ولم تسدّد للرمى سهام ولا نصال بل باءوا بالخزى والوبال وشتات الشأن والحال وهموا في غدهم بالمسير والارتحال ، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين . قال المصنف :

نفوس الورى إلا القليل وكونها ... إلى الغى لايلفى لدين حنينها
فسل ربك التثبت أى موحد ... فأنت على السمحاء باد يقينها
وغيرك في بيـد الضلالة سائر ... وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعـة سالك ... وسنـة خير المرسلين تبينها
فـكن صابرا إن حلّ أو جل حادث ... فعاقبة الصبر الفتى يستزينها
وإياك أن تبدى لخطب مخافة ... ولا جزعا من حادثات تشينها
وإن شمت من سحب الحوادث بارقا ... فلا تخش لو يزجى إليك هتينها
فـكم فرجت من شدة إثر شـدة ... وكم محنة مرت فسرت سنينها
وكيف نفوس المخلصين ينالها ... هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريعر ... محزبة غث الورى وسمينها
وجاءوا بأسباب من الـكيد مزعج ... مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
وأبدوا أمورا يذهب اللب عندها ... ويسقط من بطن الرداح جنينها

وأقبل قادة الضلالة والردى وساداتها تبغى الهداة تهينها
وتبغى لأهل الدين فى الأرض وقعة يغنى بها فى كل قطر مهينها
وهتك حمى البطحا ومن حل سوحها وسلب غوان ماتبـــدل عينها
وراموا أصول الحق والدين والهدى يريدون أن يجتث منها متينها
وهـدم دعامات المحجة بعـدما أشيد ذراها واستقر رصينها
وتغيـير منهاج تألق نوره فابصره غرب النواحى وصينها
ولـكنهم حادوا عن الرشد وابتغوا مناهج آباء تغـير دينها
ومن يعش عن ذكر الإله تضله شياطين لاينفك عنها قرينها
فخانت لهم نجد لما قد أتوا به ولم يبق فى الإسلام إلا أمينها
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة على الدين بالبلوى فبان كمينها
لقد زاغت الأبصار ساعة أقبلت بنـو خالد أظعانها وظعينها
ولـكن مولى النصر ثبت أهلها كما هو فى دفع الأعادى يعينها
فقام بها عبد العـزيز مشمرا وساعـده فى الحروب متينها
فآبت قلوب الناس من بعد طيشها وقرت عيون واستسرّ حزينها
فآضوا وقد راضوا يقينا وجردوا قواضب عضب ليس ينبو سنينها
وقـد وطنوا للموت والله أنفسا لنيل الرضى والعز هان ثمينها
وليس لهـا إلا التصبر واللقا من الله جيش والثبات كمينها
فنالوا عظيم الفوز والعز والمنى وما نال هـذا بالنفوس ظنينها
وآبت جيوش الفسق بالخزى والردى وليس لهـا إلا الشنار رهينها
أبى الله أن تعلى على الدين راية فتربو ضلالات ويسمو مهينها
وأن يطأ الفساق فى ذلك الحمى ويهتك من تلك العوالى حصينها
فلا زالت البيضا يسمو منارها ويزهو محياها ويصفو معينها
بحكم إمام المسلمين وعـدله تحاط نواحيها ويحمى عرينها
ولا برح المولى معزا وناصرا سعود الذى يهوى العلا ويزينها

وفيها طلب دهام بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد فأجاباه إلى ذلك المقصد واتفق على ذلك منهما الرأى والنظر وكان ذلك من أدق الفكر ، فهودن مجانا وأقام فى الهدنة زمانا يقصر عن السنة عدده بل نحو عشرة أشهر أمده . وفيها فى ذى القعدة قتل محمد بن فارس وولده عبد المحسن وذلك أن أولاد زامل أخيه وأناسا من جماعته تحققوا الردة منه وفيه فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر الخطير ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير ، فنهوهم عن ذلك وأبوا ولم يسعفوهم على ما طلبوا بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام وأن عقد الهدنة قوىّ الإحكام ، فلم يجد فيهم ذلك التهديد ولم يبالوا بذلك الوعيد ، ولا أثر فيهم ذلك الكلام بل أثخنوهما بالكلام وسددوا لهما من الردى مصيب السهام وأوردوه وابنه حياض الحمام فى مجلسه الذى لايرام ، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار فنهض من ساعته فى المبادرة والابتدار إلى منفوحة مع جماعته وقد وصل الخبر بذلك إلى الدرعية فى ساعته ، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين فى السير إلى منفوحة مسرعين مخافة أن يسرع إليها دهام بمن معه من المبطلين . وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ إلى ابن دواس يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال طلبوا ذلك منا وعالجونا عليه قبل لما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا عليهم المقال إلا أنا ذكرنا لهم أنا لاننفيكم بل نذب عنكم ونؤويكم ، فإن كنت تريد على الهدنة البقاء فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشقاء وان كنت تريد النكث والحرابة فاسلك منهجه وأسبابه ، وجاءه الرسول وقدقرب إلى منفوحة الوصول ، وجرى بينهم من القتال فصول ، وقتل من أهلها رجلين تلك الساعة وقتلوا منه واحد ، حين مد لدخولها باعه ، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب وعرف فحوى الخطاب بادر إلى بلده بالانقلاب ، فلم يصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب ؛ ثم إن عبد العزيز بعد ماخرج من منفوحة سار إلى قصر الغذوانة وأقام فيه أياما يصلح شانه ، ثم خرج منه وقصد مكانه .

ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها فى ربيع الأول اعتدى دهام بن دواس وأبدى الخيانة والإبلاس ، فجمع زيد بن زامل وغيرهم فعدا على الصبيحات وأخذ منها طرشا كثيرا ، وخرج أهل منفوحة فاقتتلوا معه وقتل منهم ستة أو سبعة وقتلوا منه نحو ذلك وكان لهم عنه أقوى منعة وثارت بينه وبين المسلمين

بعدها الحرابة وهو الذى فتح من الشر بابه ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه ، وفى ذلك من السر المصون والغيب المكنون مالا تحيط به الأفهام ولا تدركه أفكار الأنام ، بل تقع التقادير والأقدار وتصدر إرادة الجبار على غير ما يجول فى الخلد والأفكار وما لا يتخيله المتفكرون ولا ينتجه المتفرسون ليتذكر أولو الألباب ويقفوا بالتسليم والاحتساب لما دبره رب الأرباب، ويحصل لهم الأجر والثواب إذ كانوا لأحكامه وإبرامه يسلمون (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فكانت هذه القضية وصدور هذه الخيانة الردية سببا لخروجه عن بلده بالكلية ومبدأ لذهابه وأنموذجا على عذابه .

وفى منسلخ ربيع الأول توفى الأمير محمد بن سعود رفعه الله إلى جنات الخلود وآمنه يوم الفزع والورود وسقاه من حوض محمد المورود . وفيها بايع عبد العزيز أهل الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام وأقبل على المبايعة والمعاهدة والمتابعة جميع الخاص والعام من سائر الأنام ، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصى منهم والدان وتتابع على ذلك الحضر والبدوان ، والشيخ رحمه الله تعالى هو رأس ذلك النظام والمحكم للعقد بالإبرام ، وكان يتلو عليهم أحكاما وموعظه وتعليما (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)وأسقط حرسه الله تعالى جميع المظالم وأبطل كافة المغارم وارتفع عمود الحق واستقام وانتظم أعظم انتظام وتأود غصن المحجة البيضا وأقبلت الدنيا على رعيته فيضا وملئت قلوب العدا مما شاهدوا من سيرة الهدى حسرة وغيظا وشهرت رايات الإسلام فى الأقطار وسارت بالفتوح الركبان فى سائر الأمصار وطارت قلوب أهل الضلال أى مطار ، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينا وتسليما وجدوا فى الدين والتوحيد تفهما وتفهيما (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) .

وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الرياض ، وذلك أنه حرسه الله تعالى سار بمن معه إليها وملك بروج جسان وأدرك منها نيلا ، فلما تبين الصبح وانتشر الناس بلغ الخبر دهام بن دواس فأرسل سريعا فى الحال رجلا من جماعته خيال إلى سبيع وكانوا قريبا منه فعاجلوا بالمجىء والإقبال وبادروا فى سرعة الامتثال ، فلم يشعر المسلمون إلا بخيلهم فى اقتبال ، ثم خرج ابن دواس مع جماعته لما علم مجىء سبيع من ساعته وقصده الخديعة والمكر بالمسلمين (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فحينئذ أمر عبد العزيز

المسلمين بالظهور والخروج والنزول عن تلك البروج ، ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعا إليهم يريد أن يناوشهم الحرب ويشغلهم حتى تقدم سبيع عليهم ، فعند ذلك سدد الله تعالى عبد العزيز وثبته وحماه من ذلك المكر وجماعته وصارت بينهم جولة قتال قتل فيها من المسلمين عدة رجال ، وأقبلت خيل أولئك البدوان ، فابتدرهم من المسلمين فرسان وحمى بينهم الطعان ثم بعد ذلك انفصل الفريقان وكل قصد له مكان ، ولم يدرك دهام من المسلمين مارام . وفيها غزا المسلمون العودة وأميرهم عبد الله بن محمد فلم يجر بينهم قتال ثم رجع إلى حريملا فغزا إلى شلية من سبيع وهم بالعرمة فصبحهم وأخذ إبلهم وخيلهم وما معهم من الغنم والأمتعة . وفيها أتى برد عظيم لم يعهد مثله فمات الزرع والعشب . وفيها جرت وقعة تسمى وقعه العدوة ، وذلك أن المسلمين عدا منهم على الرياض ستون رجلا فخرج وله زيد بن سليمان عجلا مرتدا من الدرعية ، فأخبر أهل الرياض بالقضية ، فلم تأتهم تلك العدوة إلا وهم مجتمعون لها فى ندوة ، فعدوا على صياح فارتفع عند ذلك الصياح ، ووقع بينهم الكفاح ؛ ثم انهزم المسلمون والخيل لهم وراءهم متبعون فقتلوا منهم ثمانية رجال وخمسة أسروا فى الاعتقال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فساروا إلى الرياض وأعدوا فى الليل الكمين ، فلما انتشر ضوء الصبح شعروا بالمسلمين فبادروا إلى القتال ولم يكن لهم عنه بدّ ولا احتيال ، فلما حميت نار الحرب واستقر الطعن والضرب وظهر عليهم كمين المسلمين انهزموا جميعا مدبرين ، وقتل منهم ستة رجال وانقلب المسلمون راجعين . وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة فوصل المسلمين الخبر فأسرعوا إليهم بالنفر . فلم يستقر دهام فى تلك النخيل حتى جاءه مجيء المسلمين بالتعجيل فولى على عقبه هاربا لبلده راغما طالبا .

ثم دخلت السنة الثمانون بعد المائة والألف ، وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز ثرمدا وأتاها بعد أن هدأ الأنام ، فكمن حتى استكملت الخروج للمرعى جميع مابها من الأغنام فاستاقها ذوو الإسلام وفزع من فى البلد من الأقوام حتى وقع الاختلاط والالتحام ، وجرى بينهم القتال وضاق المجال وخرج الكمين فشدت عليهم فرسان المسلمين ، فعند ذلك ولوا مدبرين : وقتل منهم نحو العشرين ، منهم محمد بن عيد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان ، وقتل من المسلمين فواز التمامى وابن غدير وتسمى هذه الغزوة غزوة الصحن عند أهل ذلك الوطن ، لأن القتال وقع فى مكان

يقال له ذلك ، ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبدالعزيز بالجيوش إلى منفوحة ؛ وفى أثناء ذلك الطريق وافق ركبا لابن دواس فقتلهم منهم محيسن بن قارى المعلومى على التحقيق ، ثم دخل عبدالعزيز منفوحة بالسرور والابتهاج لإرادة عقد الدخول ببنت زامل الزواج . وفيها فى الفطر الأول سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين فنزل بالبنية من الرياض فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض ، فقتل منهم المسلمون أربعة رجال ولم يبرزوا للطعان فى مجال ، وقتل من المسلمين مرشد بن حصين .

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعدالمائة والألف وفيها ارتفعت الأسعار والأثمان ونفق الزاد فى جميع البلدان وبقى الناس فى مقاساة البأس ، وبلغ الأنام من غلاء الطعام هم وضنى ، وحزن وعنا ، حتى بلغ الصاع جديد ونصف ووزنه ونصف بجديده . وفيها غزا المسلمون العربان ، فلما سار المسلمون إليهم سبقه النذير عليهم ، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان ، إلا بعد ما أخذوا الأهبة للطعان ، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين ، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين ، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام وأخذوا بعض الإبل السوام أطبقت عليهم خيل المطران وفرسان أولئك العربان ، فاشتد بينهم الطعان ، ولم يكن لهم إلى الفرار من إمكان ، فثبت الله أهل الايمان وتخاصوا من شر ذوى الطغيان وقتل بينهم بعض رجال من المسلمين دوخى الصيخى وابن ربيع ورجعوا على اعتجال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم هذلول بن فيصل ومعه سعود بن عبد العزيز ، وهذه أول غزوة غزاها فساروا يريدون العودة فأتوا تلك البلاد وقد هجع العباد وقد حكم على المقل الكرى ، وما شعر أحد بدخولهم وما درى ، وقد أعدوا لهم فى مكان كمينا من الشجعان وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد الفزع والظهور يعقبونهم على تلك القلعة والدور ، فلما تبين ضياء النور وأدبر ظلام الديجور أغار المسلمون على أطراف البلدة ، وكل من جيشه وكمينه عرف قصده ، فبدرهم بالقتال من أهل البلدة ذوو النجدة فلم يأخذ المجال حده حتى دخل الكمين البلاد فقتلوا نور بن سعدون وأناسا من أهل الفساد ، فلما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر رجعوا للقلعة فإذا هى عنهم فى منعة ، وقتل المسلمون منهم رجالا ونودى بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال وصار ابن حماد فيها هو الأمير ولم يغير عليه فيها بتغيير حتى صدر على المسلمين منه مايضير ثم رجع المسلمون . وفيها سار عبد العزيز

حرس الله ذاته بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالمشيقيق وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ولكن الله من على المسلمين بالثبات ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، فقتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالى ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على مجيئهم ودخولهم فى الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام ، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه،ولم يبق منهم أحد حتى أهل مراه ، فدخلوا فى الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه ، وبايعوا أهل الإسلام ؛ واستمرت عليهم تلك الأحكام. وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطئ جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مرتدا قبل ذلك الحال فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسا فطاب بها عبد العزيز نفسا لكونها خيلا بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة ، ثم سار عبد العزيز حرسه الله تعالى فى طريقه ذلك مجدا ، وكان فريق من اليمن على المربدع له قصدا، فصبح الفريق بالغارة وأخذ عليهم إبلا ثم طلب أثره ورجع إلى بلده سالما وللمال غانما . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين إلى الرياض وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز ، لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك ، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك ، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة ولكن كل أدرك بالرمى مطالبه فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال ومن الخيل أربعا ، وقتل من المسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعا منهم مبارك بن سبيت وزيد بن سعيد وابن رشيدان ، وأقام عبد العزيز بقصر الغذاونة أياما يغير على الرياض ورجع مكانه .

ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف . وفيها استمر غلاء الزاد وبرح كافة العباد من المعيشة فى مكابدة ونكاد ، وتسمى هذه سنة سوقه لأن السعر بلغ حده وطوقه . وفيها غزا سعود بالمسلمين ، وهو أول غزو تأمر فيه فأغار على الزلفى وقتل ثلاثة رجال ثم رجع بلا إمهال . وفيها سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين إلى سبيع وكانوا حينئذ على الحائر فلم يزل يجد السير إليهم حتى قارب الهجوم عليهم فسبقه عليهم النذير لما اقتضته الإرادة الإلهية الأزلية من التدبير ، فلم تقبل عليهم المسلمون إلا وهم للقائه مستعدون ، فحين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل ، فالتحم الفرسان وحمى بينهم الطعان ، والتزم الثبات كل من الأقران حتى نصر الله تعالى

المسلمين وأعان ، فشد عليهم المسلمون الحملة، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة ، فانهزموا جميعا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعا فأقاموا به محتمين وكان أهله إذ ذاك مرتدين ، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والخيل والإبل ورجعوا فائزين بغاية الأمل . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المقصود ، فأغار على فريق من اليمن بعد ماقاربهم واستكن ، فلما صبحتهم منه الغارة لم يثبتوا غير ساعة فلزموا الانكسارة وتبعتهم إلى بيوتهم الخيول ولم يكن لهم سـواها وصول ، وقتل منهم رجال ولـكن الله أراد لهم السلامة ، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه إلابالتئام بعض العربان عليهم وإقبالهم إليهم ، واستحر الطعن فى أعقابهم ورجعوا من حيث مآبهم ، وأقبلت بعد ذلك العرب المـكسورة واجتمعوا على المسلمين فـكانت بينهم وقعة مشهورة ، فاحتمى المسلمون وسلموا ، وقتل منهم سبعة غفر الله لهم ورحموا : منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر ، ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها غزا سعود بالمسلمين وركابهم نحو المائة على التخمين ، فأغاروا على عنيزة وخرج أهلها مجتمعين وكانوا ذوى عدد من المئين ، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال ، وأبدى المسلمون فى ذلك اليوم المجال من النجدة والإقدام وفرط البأس والالتزام ، مابهر عقول أولئك الأقوام وأدهش أذهانهم والأفهام حين رأوا فعلهم بعـد المخالطة والالتحام ، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام، وقتل المسلمون نحو العشرة وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال .

ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض ، فوافق فى ساعة خروجه من غير ارتياض خيلا كثيرة لدهام على الدرعية عادية ، وقد أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية فأطبقت عليهم خيل المسلمين مبادية ، واستقر بينهم المجال ساعة ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة ، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يعرفون مطرود الفريد وابن الرابع وحسن الجعفرى ودوخى بن مروان ، ورجع عبدالعزيز فلم يسر إلى ذلك المـكان . وفيها غزا عبدالعزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها ، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها أمر من هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول وقصد ما يريد من محل فأناخ بالمسلمين على

المجمعة وكان المسلمون عليها مجتمعة وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبدالله وقويفل ابنا عثمان وهما أخوا حمد رئيس المجمعة ثم إن عبدالعزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من الدول وتبعه حين فرغ من أمر المجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان ، وكان ذلك فى أثناء شهر رمضان فجدّ سائرا فى ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وقد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم ، فأناخ عندها فى ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن يزيل النور من الظلام أوجاله ، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا فى ذلك غاية الحال ، ولكن الله الكبير المتعال ، سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمسلمون يقتلون فى أثرهم باستعجال وهتك المسلمون البلد فى ذلك المجال ودخلوها فى تلك الحال ، وأخذوا جميع ما بها من الأموال ثم نودى فيها بالأمان بعد ما قتل من أهلها رجال ، وأقام بها عبدالعزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيهم أمر عظيم من المخافة فرغبوا فى الدخول فى الإسلام والانقياد لمنير تلك الأحكام ورفض ما يعبد من الأوثان والأصنام ، وأقبلوا على عبدالعزيز فى تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام ، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية ليقسم الغنيمة فيها بالسوية ؛ وفى أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبنى خالد كبيرهم بطين هنالك ، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا لا طاقة لنا بأهل الدين، وكان هذا من رأيهم أجمعين ، فتركوا المسلمين ومنازلتهم بعد ما حققوا مشاورتهم (وكفى الله المؤمنين القتال) وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان من سبيع بأرض ضرما مقيمين فى ذلك المكان ، فجرى بينهم قتال وطعان وحمى الحرب بين الفرسان وساعد أهل البلد من الحضر أولئك العربان وشمروا للقتال مع تلك البدوان ، فهزم الله تعالى أهل الطغيان وقتل منهم تلك الفرسان ، وأخذ المسلمون منهم أموالا كثيرة وخيلا نحوست شهيرة . وفيها غزا المسلمين ركب فصادف الشريف منصور فأخذ مع ركب معه وأتى به مأسور فمنّ عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفدا فرجع بعد ذلك برخصته من شريف مكة فى الحج لذوى الهدى ، فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة غير خائفة وقضت ركن الإسلام وأدت المناسك على التمام فى ذلك العام ، ورجعت بالحشيمة والإكرام .

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين يريد آل ظفير ، فأغار على المحمرة منهم فى ذلك المسير وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير ، ولكن أخذوا عليهم إبلا كثيرة وصارت بينهم مقاتلة شهيرة قتل منهم بعض رجال ، وانصرف المسلمون بتلك الآبال. وفيها غزى عبد العزيز بالمسلمين وأقاموا فى الحائر مجتمعين ، ولم يخرج إليه من أهلها أحد ، فشرع فى قطع النخل واجتهد ، فلما عاينوا ذلك أهل البلاد طار منهم اللب والفؤاد ، وحين شاهدوا هذه القضية عظمت عليهم الرزية وأحاطت بهم البلية ، فلم يجدوا سوى الاستسلام منهجا وإظهار الانقياد والإسلام معاذا وملتجا فطلبوا من عبد العزيز فى الإسلام الدخول فأجابهم إلى ذلك السول وأسعفهم بالمأمول ، فبايعوه على الإسلام والتزموا فى الأحكام بالقيام ورجع عبد العزيز بمن معه .

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى يريد منيخ فلما وصل حريملا بمن معه من المسلمين ذكر له غزو لآل ظفير مجتمعين وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحى ووهق بن فياض فجد فى ساعته فى الانتهاض وحث السير فى أثرهم بعد تحقق أخبارهم ، فأدركهم فى أرض غيانة وأسرعت إليهم بها فرسانه ، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه فعض المسلمون عليهم الساقة ، وأسروا بعض أولئك الرفاقة وقتلوا منهم رجالا منهم وهق بن فياض وشتتوهم حالا ، فلم يسلم من القتل والإسار إلا من طلب الفرار ، ثم رجع المسلمون. وفيها أرسل الشيخ وعبد العزيز إلى والى مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كاتبهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيها وعالما من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة ، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز الشيخ عبد العزيز الحصين وكتب معه إلى الشريف رسالة ، وهذه نسختها وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله فى الدارين وأعز به دين جده سيد الثقلين إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاة الأمور ، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل

إليكم ويحضر فى مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماء مكة ، فإن اجتمعوا فالحمد لله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، والواجب على كل منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إلى قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته فلابد من الإيمان به ولابد من نصرته لايكفى أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك وأولاهم أهل البيت الذين بعثه الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن غلمانك من جملة الخدام ثم أنتم فى حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز المذكور نزل على الشريف الملقب بالفعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحي بن صالح الحنفى وعبد الوهاب بن حسن التركى مفتى السلطان وعبد الغنى بن هلال وتفاوضوا فى ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إلينا من التكفير بالعموم . والثانية هدم القباب التى على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب فهو الحق والصواب كما هو مسطور فى غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم فى النوازل فقد نص عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذى فعله الأوائل ولا يجادل فى جوازه إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقناع فرأوا عبارته فى الوسائط وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار إسراع وتفوّهوا بأن هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام المعظم ، وانصرف عنهم عبد العزيز مبجلا مكرم . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معكال وخرج أهلها فجرى بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدار تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهام بن دواس قدسار وظهر عاديا على أهل عرقة وليس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا فى ذلك الشأن التقوا جميعاً قريبا

من ذلك المكان فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان ، فلم يلبثوا ساعة للطعان بل انهزموا إلى تلك البلدان فكان أول قتيل منهم دواس بن دهام ثم جد فى أثرهم أهل الإسلام وهم فيهم يقتلون حتى قتل منهم عشرون وآخرهم ابن لدهام واسمه سعدون ، وكان الذى باشر قتل دواس عبد العزيز أمير الناس صرف الله عنه كل باس ، فرجع دهام بأعظم الباس مرتديا من الذل والخزى أضفى لباس ، متجرعا من الهم أصفى كاس ، فلم تزل له بعد هذه عين قريرة ولا حالة من المعاش سريرة ، بل كلما غفت العيون أبدى من الأسف المكنون مالا يعرف ولا يقاس ، لاسيما على مفارقة سعدون ودواس ، فنودى عليه بلسان الحال من بعيد (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد). وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين حتى نزل الرياض وخرج أهلها مسرعين ولم يكونوا عن القتال منثنين وطال القتال بينهم فعجل الله لبعض أهل الباطل حينهم وشد عليهم المسلمون فأسرعوا يجهدون ، وقد قتل منهم أربعة رجال منهم ابن رومى الذى فى ذلك المجال .

ثم دخلت السنة السادسة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز بن محمد بالمسلمين فلم يبرحوا فى ذلك السير مجدين يريدون آل حبيش وكانوا نازلين بأرض صبحا ؛ فلما قاربوهم كمنوا حتى يحققوا أمرهم مراما ونجحا ويستعدوا لملاقاة أولئك الفرسان طعانا وكفحا ، فلما انجلى الديجور وعم ضياء النور وفرغوا من الصلاة صبحا شنت عليهم عاديات المسلمين صبحا فأخذوا عليهم آبال وفزع أهلها للقتال وراموا لها فكاك ولم يكن لهم إلى ذلك إدراك ، بل وقعوا فى هوة الأدراك ، وقتل منهم أناس ورجع المسلمون بإيناس . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد من الرياض الإبل والغنم السارحة ، فلم تزل همته على الجد فى السير بارحة حتى وصل إليها بعد الهجود فكمن كمينه هناك سعود ، فلما خرجت السوائم للرعاية بدت غارة المسلمين إليها بداية فالتجأت إلى البلد الإبل وخرج الفزع إليها بالعجل ، فتقابل كل من الفريقين واقتتل حتى صدتهم فرسان المسلمين فانهزموا مدبرين ، وقد قتل منهم سبعة منهم مرخان بن فريان وعبد الله السارى . وفيها غزا عبد العزيز فسار بأهل الدين يريد أهل الرياض المسرفين ، فوصل لذلك قريب السحر فقضى قبل الصبح من التعبئة الوطر فلما بدا الصبح مسفرا منيرا وقضى الصلاة تبدى مغيرا وارتفعت الأصوات فى البلاد وخرج بعد الاستعداد من يريد القتال والجلاد ، فلما عاينوا أهل الإسلام جللهم الرعب والإحجام فلم يحصل

لهم بعد الالتحام فرط إقدام بل مكثوا فى القتال زمان مرتدين ثياب الهوان ، فلما شد عليهم أهل الإيمان انهزموا من غير توان وقتل منهم مرزوق المطيرى ومحمد بن فائز وقتل من المسلمين على بن محمد الأمير . وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى فى رمضان . وفى آخره مات ثنيان بن سعود أسكنهما الله تعالى دار الخلود وكان لهما بهذا الدين المنهج المحمود .

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين متع الله تعالى به سنين ، فنزل بالرياض وألقى رحله فى تلك الغياض ونازل أهلها مدة من الليال وكل يوم يجرى بينهم قتال ، واستولى المسلمون على بروج وجدوان فأسرعوا إلى تهـديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ وقتل من أهل البلد رجال وبات أهلها فى غاية الأوجال يسامرون فى الدياجى السها مما حل بهم ونزل بساحتهم ودهى وقد عرتهم الذلة والدهشة وغشيتهم الرجفة والرعشة لاتهدأ لهم قلوب ولا عيون وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون ، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والانذعار ولـكن إرادة المولى غالبة على العباد وليس يجرى إلا ما اختاره وأراد ، فانصرف عنهم جميع المسلمين وأخر الفتح إلى حين ، وقد قتل من المسلمين اثنا عشر رجلا نالوا من الشهادة أملا منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيتان وكانت هذه الوقعة فى صفر ولم يشرق بعدها لدهام عز ولا سفر بل همّ بالرحلة والسفر والجلاء عن ذلك الوطن الذى ثوى فيه وقطن وحل به وسكن ، فأخذ فى تدبير النقلة والارتحال مما داخله من الرعب والأوجال وخالط قلبه من الخوف والإذلال ، فبقى أياما وليالى لايحسن له حال ولا ينشرح له بال مخافة على أهله والعيال وأسفا على ذهاب تلك الأموال وأسفا على فراق الحلة والبعد عن تلك المحلة ومعاناة الجلاء والنقلة والأرض به راجفة وريح الهروب عليه عاصفة ، وهو يصبر نفسه ويتصبر ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر ، وينادى بالويل على نفسه كل ساعة وهى إلى الفرار نزاعة لاتروض إلى البقاء والاستقرار ولا تميل إلى المـكث فى هاتيك الديار حتى نادى عليه منادى الذل والصغار إلى متى التصبر والاصطبار والحلول والقرار وحتى متى تقدم فى ذلك رجلا وتؤخر الأخرى والجلاء هو الأولى لك والأحرى ، وصاح به قلاع الحصون إلى متى هنا السكون

فقد آذن ليل الباطل بالزوال وأعلمت سحب الشرك بالارتحال وتقشعت غياهب الزيغ والضلال ولاح نور الهدى والهداية وانجلت دياجى الضلالة والغواية وتلألأ عمود الصباح وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح وغدا البلاء على الباطل وراح وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون (ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون) فلما حان من شمس الباطل غروبها وآن لأهلها جلاؤها وهروبها وأن تثبت فى روضـة الرياض قواعد الدين وتمحق دولة المفسدين ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتمكين وتعلو كلمة الحق على المبطلين وتمحى آثار ذوى المكر والمعتدين (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) جمع جميع أعيان بلده وأخبر بحقيقة عزمه ومقصده وأنه يريد الهروب والجلا ، وأن فؤاده ملئ رعبا ووجلا فصاحوا كلهم عليه وأقبلوا بأجمعهم إليه ، وقالوا ما حملك على هذه الأفعال وما الموجب لها من الأحوال أهذا انما مكر وخداع حتى تعرف منا الصدق بإجماع أم حدث بك من الجن انتزاع فاستعذ بالله من الشيطان فلن تراع ، فقال دعوا عنى هذا الهذيان فليست الرياض لى بأوطان وليس عيالى فيها بسكان وما شاء الله كان، ولم يرعو من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال ، ولم يستطع إلى ذلك سبيلا ولا وجد من قلبه عليه دليلا بل انتفخ سحره ولبه وطاش فؤاده وقلبه وتعاظم منه فى الحشا (ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء) فانفضوا من حوله سراعا وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعا فازدادوا ذعرا وارتياعا وتحققوا أنهم منها مخرجون وأنهم له متبعون (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) فتردوا رداء القنوط والإياس وكل ساعة ينتظرون حلول النقمة والباس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما انتصف ربيع الثانى خرج عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها وقـد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعتزام ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام ، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالى وأيام ، ولم يكونوا بما فى الغيب مشعرين (ادخلوها بسلام آمنين) فلما وصل حرس الله مهجته وأيد عزه ودولته فى مسيره ذلك إلى قريب عرقة انبلج له عمود الأنس والسرور وانسلخ مدلهم ذلك الديجور وطلع له طالع السعد وبرق له بارق الفخر والمجد وتبـدى له فى أفق ذلك الطريق لوامع المسرة واللطف والتوفيق ، وكان بذلك جديرا وحقيق وناداه لسان المبشر والبشير

إلى م تسعى وتسير ؟ وجميع عداك فى تدمير وإلى كل بلد فى مطير ، فأرخ ذيول الهنا فقد جاءك القصد والمنى وزال عنك النصب والعنا ، فسعيك إن شاء الله مشكور وأنت على ذلك مأثور ، وقد ضوعفت لك فى هذه المدة الأجور وصارت لك العقبى على ذوى الفجور ، والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور ، فقد خلت لك القصور وتأهبت إلى لقائك الصدور ، وقد أقفرت تلك الدور ممن كان بها يتعدى ويجور ، وقد حقت كلمة العذاب على الفاسقين ، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فحمد الله تعالى على هذه الأنعام وشكره على هذه المواهب الجسام والعطايا الوافرة العظام وقال وهو خاضع لربه مستكين حامدا لله رب العالمين (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فسار يريد ماهيأ الله تعالى له من مكان وما خوّله من تلك الأوطان وشيعه فى ذلك الطريق الأمن والأمان وحفه فيه الأنس والتهان ووصل إليها قبل غروب الشمس بأكمل فرح وأنس وطيب قلب ونفس ، فدخل تلك البلد فإذا دهام قد ولى منها وشرد ، وذلك أن دهام بن دواس لما حاق به من ربه الباس وقرب أن يسقى كؤوس الأحزان ويلقى المذلة والهوان وتكون الدائرة عليه لأهل الإيمان جمع كافة ماله من أعوان وما أراده من الشان فكل بقى متحسرا حيران يعض أنامله ندمان ، فخرج هو وأولاده وأعوانه وغالب أهل البلد شأنهم شأنه ولم يبق فى البلاد إلا القليل مخافة من فعلهم الوبيل وقصـدوا جميعا الدلم ونوى سكناها وعزم وجدّ فى الطريق ومن معه ومات نحو أربعمائة من الخلق ممن تبعه لأن جلاءهم كان فى القيظ فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة الغيظ فصلتهم لواعج القيظ وجمرته وحرقتهم عواصفه وحدته . هذا والمسلمون قد جدوا فى أثرهم المسير ينقذون بالماء كل ضعيف وفقير ويقتلون كل شيطان مريد وكل ذى بأس شديد حتى وصلوا إلى الدلم المعروفة وقطعوا تلك المفاوز المخوفة ونادى عبد العزيز فيها بالأمان إلا من كان مشهورا بالسوء بإعلان ، فعند ذلك ظهر من كان مختفيا وبان ، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص وصالح المهشورى وبراك بن حميدان ومحمد بن سلمان ، ولم يقتل غيرهم إنسان ، وأرسل عبد العزيز إلى أهلها الذين ثاروا وخرجوا مع دهام وساروا يدعوهم إلى الرجوع فلم يكن أحد عنه بممنوع إلا من تميز بالشر والفساد وتوغل فى طريق العناد وتسربل

بالبغى والإفساد ففاءوا إليها وآبوا ، وقد ربحوا فى ذلك وماخابوا وسكنوا بها فطابوا ، وكانت جميع تلك الأموال والنخيل ذوات الأغلال فيئا من الله ذى الجلال لكونها لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت لبيت المال من غير ارتياب وحسن تملكه لها وطاب ؛ وأقام بها عبدالعزيز أياما ونصب فيها أميرا وإماما وكتب الشيخ لعبد العزيز فى تلك الأيام رسالة أرسلها إليه فقدمت فى الرياض عليه وقال فيها : أحب لك ما أحب لنفسى وقدأراك الله فى عدوك مالم تؤمل ، فالذى أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصرى كان إذا ابتدأ حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وأحسنت معافاتنا ومن كل ماسألناك ربنا أعطيتنا فلك الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

خاتمة

يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب ويرتدع بها كل عدو محارب ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب ، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب

وهى أن الله القادر الحكيم والآخذ الشديد الأليم أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين ويبذل جده فى حرب ثلاثين من السنين والأعوام لايكاد يهنأ له طعام ولا تستغرق عيونه فى دجى الظلام بلذيذ المنام إلا أنه أظهر الاستعانة وأبدى الاسكانة فى ثلاث سنين للدخول مع المسلمين وأقام فى بلده الأحكام والشعائر ولكنه يتربص بأهل الدين الدوائر فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام فى توقيره وإكرامه وقعد وأظهر له فى الاسلام الغبطة والرغبة وإن كان قد ملئ من بغضه قلبه ، وإذا رأى أحدا من جماعته مبديا التوحيد والديانة أخفى له الذلة والإهانة وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من السنين فى عشرين والذى قتل من الفريقين فى هذه المدة أربعة آلاف فى الحساب والعدة ألف وسبعمائة من المسلمين نالوا الكرامة ، وألفان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة ، قال المصنف :

كشف الحق ظلمة الاغلاس ومحا الدين جملة الأرجاس
وأزال الصباح ديجور ليل طال ماساعد الأسى فى احتباس
فظلام الضلال والشرك ولى وضياء الرشاد والرشد راسى

وتجلت غياهب البغى لما أذن الزيغ والردى بانتكاس
ورياح القبول والنصر هبت فالأعادى قلوبهم فى ارتجاس
ومنادى السرور أضحى ينادى بالهنا والمنى بغير التباس
وليالى الهموم ولت سريعا وتقضت بلا قنوط ويأس
زانها الصبر فى اللقا فاستنارت بضياء السعود من غير ياس
وطيور الافراح بالفتح غنت فوق أفنان غصنه المياس
حين أم الإمام بالفتح ساع مخبر عن جلا بنى دواس
فاستزاد الإسلام حوزا وفوزا وسرورا وعاد باستيناس
ومضى الهم والعنا وتجلى يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس
كم بدا من أبى سعود سعود وفتوح ومفخر للأناس
قد علت رتبة الشريعة لما شاد أركانها بأقوى أساس
وسما منهج المحجة سمكا واستبانت معالم فى اندراس
وتبدى الهدى فأضحى سناه ساطع النور لامع النبراس
وأضاءت بذاك بلدان نجد ومضوا بعده بغير احتراس
وأتت بعد ذا الفتوح وأضحى طالب الدين فى مزيد التماس
فاستقرت قواعد الدين فيها واستمرت سكانها فى اقتباس
وأتى التوحيد يتلو جهارا سورة الفتح لانتصار الناس
وبدا الدين وجهه مستنيرا حين ميطت براقع الأدناس
خلد الله فى النعيم إماما أظهر الدين بعد طول ارتكاس
وغدا معلنا بدعوة حق والورى فى مناهج الخناس
أوضح السبل للأنام وأحيا ميتا غيبوه فى الأرماس
وجلا الوقر عن مسامع قوم والعمى عن بصائر فى انطماس
ساعدته عصابة الحق حتى لبسوا للحروب أقوى لباس
عصبة لاتهاب هول المنايا كلهم فى اللقاء صعب المراس
عزروا الدين بالقنا والقواضى وأزالوا عنه قذا الأنجاس
بذلوا للجهاد فيه نفوسا روضوها الموت بعد شماس
كم تجلت لهم خطوب شموس فجلوها بكل لدن وقاس

أيد الله نصرهم وعـلاهم ببقـاء الإمام فى إينـاس
وأدام الإله نصر سعـــود ناصر الدين لابـــنى العباس

وفيها وقع الطاعون فى بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد وتزايد أمره وتفاقم وجل الخطب وتعاظم ، وكل يوم يموت من البشر ويدفن فى تلك الحفر مئات من الأنام وطال ذلك عليهم ليالى وأيام حتى فنى أكثر أهل البصرة ومن والاها من قرى المجرة ويذكر أنه مات فى ذلك الطاعون مائة الألوف من جميع البلدان متفرقون . وفيها أرسل عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى زيد بن زامل رئيس الدلم بنبذ العهد والأمان وليس هنا إلا الدخول فى دائرة أهل الإسلام والإيمان ، فلم يثن إلى ذلك الشأن منه عنان ولا التفت إليه مختالا بما لديه وسعى فى حشد الناس والأحزاب لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه ويعده على مجيئه الأموال ويمنيه ويضعف أمر هذا الدين ويوهيه فلم يرعو إلى ذلك المقال وقصده زيادة الشرط فى المال والتوثق قبل الشروع فى الحال .

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها أيضاً أرسل زيد بن زامل إلى رئيس نجران يدعوه إلى ذلك الشان ، ويحثه على القدوم فى ذلك الزمان وتعجيله قبل طوارق الحدثان ، فلان إلى ذلك فؤاده لأن طلب المـال هواه ومراده وغارت لنيل المال عيونه وحارت فى ذلك أوهامه وظنونه وصارت أنامل يده ينادمها عثنونه فتأمل ساعة وفكر ثم أجمع عزمه ودبر وحرر مقصوده وقدر وحقق مطلوبه وقرر فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبذول ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة المحصول حتى يكون بعـد ذلك الحصول وينجح السير والوصول وينجز لكم المرام والسول فأرجع إليه بما راض جأشه عليه وأن ذلك يتمثل لديه فوقع بينهما المشارطة وانبرام العقد والمرابطة ، وحصل التقارر بعد المعاودة والمفاوضة على قريب من ثلاثين ألف زر تعجل بها المقابضة وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يرسل إليه أرهان حتى يرسل إليه الذى استقر واستبان : فأرسل إليه الرئيس رهنا من جماعته وأعيان قومه وخاصته وعجل بهم له فى ذلك العام رغبة فى تعجيل الحطام وأداء ذلك الشرط والالتزام ، فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام جدّ فى تحصيل ذلك المال واستيفائه من الرعية بالإذلال وأقاموا على ذلك ليالى وأياما لاتذوق عيونهم فى الدجى مناما ويعانون من ذلك جهدا وسقاما وضيقا وإلزاما ويرتجون لهم مآبا (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)

فلما نض له ذلك المال أرسل به فى الحال لقصد نجح المرام بقدوم أولئك الطغام . وفيها نزل عريعر مع بنى خالد وعنزة على بريدة وأعمل فيها مكره وكيده وأقام بها بعض أيام وهو يحاول فى أهلها بالخديعة والإبرام وتليين الجناح لهم فى الكلام ، فجاشت إلى ذلك قلوبهم وحاطت بهم ذنوبهم فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج إليه والمواجهة حتى يكون الخطاب مشافهة فاغتر بذلك وظهر وسار إليه وابتدر ؛ فعند ذلك حجر عليه وأسر ، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها ولعل ذلك من شوم ، وكان ذلك على حين غفلة بلا تثبت ومهلة وبئس هذه الفعلة وما أقبحها من خصلة فجالت فى البيوت أولئك الأعراب وكسروا لتلك الأبواب فلم يجد أهلها من ذلك مهربا ولا ألفوا للنجاة مطلبا وشمر راشد الدريبى لذلك إزاره وقصد فى ساعته قصر الإمارة وكان قبل ذلك منه جاليا وذلك البلد منه خاليا وفر من يخاف من المسلمين على نفسه من المبطلين وتفرقوا فى البلدان حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان، فكاتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها ونفروا هاربين عنها وهم آل عليان على أنهم يقبلون عليه ويقيمون عنده أحسن الله قصده فأسرعوا إليه المجىء والإقدام وقابلهم بغاية الإكرام ورعا لهم تلك الذمام وأقاموا فى نهاية الاحتشام وأقام عريعر فى ذلك المكان بعض أيام وليال ، ثم شمر فى المسير والارتحال فسار منها وظعن عنها ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير ، ولم يزل عنده فى حكم الأسير حتى جاءه قضاء العظيم الكبير وحان أن يسقى ذلك الكأس المرير وينفذ فيه الإرادة والتقدير ويتجرع كأس الحمام بعد ذلك العز التام ، فنزل به فى أرض الخابية السام فخر من ذلك المقام السام وضمه ضيق اللحود وصار أكلة للدود بعد ذلك القنا والقنابل ومسايرة الجيوش والجحافل ، وهذه سنة الله فى جميع المخلوقات والعبيد ومفاجأة الحمام بغتة لذوى البأس العتيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد) . وفيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين يريد الدلم ، والسعد قد قارنه وألم ، فسار حتى قرب إليها وشارف الهجوم عليها فأناخ على حين غفلة من الناس وقد هجع أهل الأندية والأحراس ، فعبأ عند ذلك من الكمين ماأرادوهيأ أهل الغارة من أولئك الأجناد فلم تستقر الشمس طالعة حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة فوافت كثير أغنام فاستاقها على التمام وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة وكان استرداد تلك الأغنام قصده ، فناوشهم المسلمون القتال والكل قد بذلوا فيه طاقة الحال حتى ظهر

الكمين عليهم وبدا فصاح بهم صائح الذل والردى ، فانكسروا ولكن بعد ماجهدوا وجدوا فانهزموا مدبرين وما ألووا على الساقة وما ردوا ، وقتل المسلمون عشرة من رجالهم ودخلوا بلدهم بكسافة بالهم وتشتيت حالهم ، وقتل من المسلمين رجلان عوض بن ذيب وراشد بن مطيع ، ثم بعد ذلك ارتحل سعود ، فلما وصل إلى الحاير جهز سرية من المسلمين وأمر عدامة بن سويرى عليهم أجمعين وأمره أن يقصد الزلفى ويأخذ ما يجده هناك ويلفى ، فسار من ساعته ومن معه عدامة فوافاه ركب من أهل الزلفى أمامه فشن عليهم الغارة ولم ينج أحد منهم بنيارة ولا أواه حين شمر فيه إزاره فكل منهم تجرع حمامه وكان الموت غايته ومرامه وكانوا نحو العشرين فقتلوا أجمعين .
وفيها وفد أهل حرمة والمجمعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام فعاهدوا على ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام ، غير أنهم طلبوا منهما عدم المطالبة بالجهاد حتى يتوفر أهل تلك البلاد وكان مرادهم الإمهال سنتين ثم يشمرون بعد ذلك من غير مين ، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة ساعداهم على الموافقة والطلبة ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة بعد ما أدرك كل مطلوبه . وفيها وفد محمد بن رشيد الهزانى وأعيان أهل الحريق يريدون الإسلام الذى هو أسهل طريق ، فقدموا على الشيخ وعبدالعزيز سلك الله بهما مسلك التوفيق ، فبايعوا على الإسلام والتزموا القيام بجميع الأحكام ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الخرج ، فجد المسير حتى إذا قارب الضيعة بعد الهجوع أناخ يهيئ الجموع ويعبئ أهل الغارة والكمين ، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن نظام ، فعند ذلك شن الغارة على أهلها وأخذوا من الأغنام ، فخرج عند ذلك أهل البلاد وناوشوا المسلمين الجلاد حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا جميعا مدبرين ، وأقاموا فى البلاد محتصرين ، وقد قتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلا ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا . ثم إن المسلمين أخذوا فى قطع الأشجار والنخيل فقطعوا من ذلك ماليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدى . ثم ارتحل عبدالعزيز بالمسلمين ونزل بالدلم ونوى حصار أهل زميقة وعزم ، فأقام عليها للحصار وأشرف أهلها على الدمار وخرب من نخلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم انصرف راجعا إلى بلاده بعد نيل مراده واستأذن الغزاة فى إعطاء تلك الغنيمة آل عليان

فأجابوه بطيب لسان وجنان ، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال منهم فهد بن سلمان رحمهم الله تعالى . وفيها سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان ومحاصرتهم كافة فى البلدان فأقبل معه من سائر الأعراب مالا يقدر على عده حساب ولا تحصره الألباب ، وقد انضم إليه والتأم كل جلف وطغام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها فى الافهام ، وكل من بلغه ذلك المسير والتسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصا سكان الفيافى والقفار فأقبلت معه وبعده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق عادية وجدّوا لأهل التهيئة سيرا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) وساعده فى ذلك الأمر والشان كل رئيس وحاكم شيطان من أهل نجد وغيرهم من الحضر والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه المضىء فى الديجور جميع أهل المعاصى والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال ولا يحصره لسان المقال ، وبارزوا فى ذلك الكبير المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال ، فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال ، وأرسل له بطين بن عريعر من النقود ما ناف عنده على المقصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص وأظهر له من أحمال الطعام من الحسا وأشخص ، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من الزاد فزال عنه الجوع والهم والأسى ، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والزاد وهو مقيم على الحائر من تلك البلاد وكل يوم يجرى بينه وبين أهلها القتال والجلاد، وقد قتلوا منه فى تلك المدة قريبا من أربعين رجلا فى العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك البلدة كل رعب وخوف وشدة وزعم من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن من قصده خسر وخاب وما أطمعهم فى المجىء معه والاقدام إلا ماصدر عنه قبل ذلك العام وما عرفوا مافى ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمسرة وما انطوت عليه من الحكم والأسرار ما لا تحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعقة عسل فرجعوا بخيبة الأمل وظنوا أن المسلمين أكلة جزور فآبوا بالثبور والعثور ، وكان عبدالعزيز حرسه الله تعالى فى تلك المدة والإقامة قد أرهف حده واعتزامه وصقل جده واهتمامه فى تجهيز الجيوش والأمداد فى كل قرية وبلاد ، فأرسل إلى الرياض مددا فأقاموا بها أمدا وخرج سعود بلغه الله المقصود بالمسلمين فعمد إلى ضرما وأقام فى نواحيها وغاراته تراوح الأعادى وتغاديها وتباغت البوادى العادية وتفاجيها ، فأغار هو وجنده المنصور على اليمن ذوى الكفر والفجور وكانوا بأرض العرمة يسيمون

وفى شعابها تلك الأيام يقيمون ، فلم يرتفع بعض الأيام للشمس سنا ويجل تلك الأعراب الباغية من عيونهم وسنا إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا ويحل لهم الكرب والعنا فشنت عليهم فرسان المسلمين الغارة ، وكل شمر للقتال إزاره وجرى بينهم ذلك اليوم طعان وقتل من كل الفريقين فرسان ، ثم رجع سعود بمن معه إلى ضرما وانهزم أولئك اليمنان عن رعى ذلك المكان ،فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحائر وأقاموا مع ذلك العدو الجائر حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح فسار عنها ولم يحصل مما دام على نجح ، وقصده هو ومن معه وساعده من الحضر والبدو وتبعه بلدة ضرما وكان سعود قد سار عنها وظعن منها فلم تأت تلك الأقوام وهو فى ذلك المقام ، بل وضع فى البلاد من الرجال عددا يكون لأهلها عونا ومددا ويزدادون بهم همة وجلدا ، فلم تنزل بهم أولئك الجيوش الرعاع وتحف بتلك البروج الرفاع وتملأ فجاج تيك البقاع إلا والمسلمون قد استعدوا للدفاع وأخذوا من الأهبة شأنها وحصنوا تلك البلد بروجها وحيطانها ، فجد ذلك الرئيس الشيطان وأتى من الحرب ببكر وعوان ولم يبق جهدا من نفسه ومن معه من الأعوان فنهد فى ثانى يوم نزوله عليها وقرب جميع أجناده إليها وأبرزوا من الاجتهاد وطلائع الصبر فى الجلاد سيما النجدة والقوة والشجاعة والفتوة ماظنوا أنه يرهب أهل البلد ويرعب ذوى البأس والجلد ، ولكن الأحد الصمد ثبت أقدام أهلها حين شد القوم فى حملها وتوغلوا بين أشجارها ونخلها ، فأنزل الله عليهم السكينة والثبات ، فلم يكن لهم ولله الحمد إلى الذل التفات بل صدقوا لعالم الخفيات وخالق البريات والسرائر والنيات ، فرموا أولئك الأشرار بصيب البنادق بين النخل والأشجار فكانت شهب الرصاص كأنها عليهم مرسلة أو من فوقهم منزلة فخرجوا هاربين سراعا ولم يدركوا نفعا ولا انتفاعا ولم يستطيعوا حينئذ دفاعا ، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرة وأوقعوا بهم جراحات غزيرة وأسقوهم من الأسف كأسا مريرة فانهزموا عنهم وارتحلوا منهم بحالة ضريرة وذلة واضحة شهيرة ، فلم تكن بعدتيك لجميع الأعداء عين قريرة ورجعوا كلهم خائبين قد أسفوا على ماقدموا أجمعين ، وأصبح أهل الإعانة مختزين وعلى بذل المال متندمين وودوا لو أخروا إلى حين وصاروا ممن خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ؛ ثم بعد تمزق هذه العساكر المجرورة وتشتت هذه الجيوش المرعوبة المكسورة وتفرق تلك الأجناد المذعورة قصد كل قبيل قبيله ونحى كل

ذى جيل جيله وعمد كل ذى وطن إلى وطنه وحنّ كل ذى سكن إلى سكنه،فنقلوا قبائل العجمان وحملوا معهم على سريره رئيس نجران ، وقد أرهقه المرض والأسقام وأضنت جسمه مواد الآلام،وكان ذلك الرئيس فى الشر قرين إبليس،وقد فتن أولئك الهمج من الناس مما يبدى لهم من حساب الرمل والتخمين والأحداس ، وافتتن أولئك البوادى وساروا له بالأموال الروائح والأغادى،فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف أن ذلك الرمال لأسرار الغيب حافظ عارف وعلى ما يحدث من المكونات محيط واقف فكانوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريره فى المجال وقصدهم بذلك الاستنصار ورفع ما يخفهم من الآصار فمات فى أثناء انصرافه وشاهد جزاء سعيه وإسرافه تحسى عليه مرارة الحزن جميع أصهاره وأسلافه وفقد تلك الكهانة والتنجيم كافة خلانه وألافه ، وفاجأه وارد الحمام قبل وصول بلده وما فاز بمرامه .
وفيها غزا سعود بالمسلمين فأغار على الضبيعة ولم يخرجوا إلى قتال ، فكان الرمى بينهم من بعيد وقتل من الكل بعض رجال فقتل من المسلمين موسى بن حماد وعبد الله بن غانم ثم انصرف المسلمون منهم ورجعوا عنهم . وفيها مات مشارى بن سعود وكان له فى الجهاد مقام محمود . وفيها أيضاً غزا سعود متع الله تعالى به المسلمين فسار يريد بريدة ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين فجد إليهم المسير ؛ فلما وصل إلى قرب البلد ولم يشعر به من أهلها أحد لكونه نزل ليلا بساحتهم وكان وقت هجعتهم وراحتهم فلم يستقر به القرار فى أرض تلك الديار حتى عبأ جيشه وكمينه وقام ينتظر الصباح وحينه ، فحين أسفر له منير ذلك الضياء وفرغ من صلاة الصبح وقضى نهض فى إنجاز مادبره ومضى ، وكان ولله الحمد له فى ذلك السعى رضى ؛ وذلك أنه شن الغارة عليهم صباحا ، فلم يخرجوا إليه كفاحا ولم يجدوا دون الحصار فى البلد صلاحا ولا ألفوا دونه مراحا مع أنهم لم ينالوا من ذلك فوزا ولا نجاحا ؛ فأقام المسلمون على البلد أياما وكل يوم يقع بينهم قتال ومرامى ، فلما أعيا المسلمين أمرها ، وجهد أهل البلد حصارها وحصرها ، ولم يبالوا بما نالوا من الضرر والإضرار ومنازلة تلك الجموع والحصار اقتضى رأى سعود أن يبنى تجاههم للمسلمين حصنا يكون لهم ثغرا وأمنا ، فأمر ببنائه فبنى فى تلك الأيام وزيد فى بنائه بجودة الإحكام ووضع فيه عدة من أهل الإسلام أميرهم عبد الله بن حسن ثم رجع سعود ومن معه إلى الوطن وأقام أهل ذلك القصر

فيه وكل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه وبقوا أياما لاتسرح لهم سائمة ولا تبقى لهم عين نائمة وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة ، فلم يجد أميرها راشد الدريبي من الأسباب إلا بعثه إلى جذيع بكتاب يستعينه ويستنجده ، فلم يكن إلى ما يريده يسعده فرجع منه الرسول بخيبة المأمول ؛ فلما جد به الحصار والضيق وضاقت عليه مناهج التسديد والتوفيق لم يجد إلى سلامة عمره منهجا ولا طريق ، سوى أخذ الأمان على عمره وحاق به شؤم غدره ومكره فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان وخروجه من تلك الأوطان فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان وبادر إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد فقتل من قوم الدريبي كل من عثر عليه ووجد ، فقتل فى ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الخمسين واستولوا على جميع مافيها من الأموال وتأمر عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال ، وصارت تلك القضية وصدور هذه الموهبة السنية إنقاذا لأهل القصيم ومافيها من البرية من غمرة الضلال الوبية الردية، فأظهروا الإسلام ودانوا بجميع الأحكام ثم بعد مضى ذلك بأيام وليال وفد عبدالله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم على الشيخ وعبدالعزيز لأجل المعاهدة والتسليم . فتلقوا بأتم إقبال، وقبول وفازوا بأعم مطلوب وسول ، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام، وأقر عبدالعزيز كل أمير بلد فى بلده أميرا وزادهم حشمة وتوقيرا ، وأمر عبدالله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن لا يعارضه منهم أحد فيما أراده وقصد ،واستمروا على حالة مرضية سنين ثم تغيروا وانقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتى ذكرها بعد حين. وفيها غزا محمد بن جماز مع جماعة من أهل الوشم فوافاهم بطين بن عريعر بأرض النبقية فقتل غالب أهل تلك السرية ونار باقيهم وسلم ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهدم، وتضعضع أمره وحاله وتشتت عزمه وباله، ونقم عليه لقبح أفعاله إخوانه ورجاله وأخذ سلطانه فى الضعة والانحطاط وحاق به أمر الله وأحاط . وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز فى الدرعية فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية ولا معاودة ولا أخذ أمان ولا مفاوضة ولا روية فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه ومفاجأته له وهجومه مع أناس من أعيان قومه فبايعوا على الإسلام فتراضت تلك النفوس التى نشأت فى التكبر والإعظام وألفت فى ذلك منهج آبائهم القدام ، فدانوا بشريف تلك

الأحكام والتزموا بجميعها القيام وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح وعدة من الخيل المطهمة الملاح ، فلم يلقوا بذلك نجاحا ولا جناح ، ولا رأوا به حوبا ولا بأسا ولا رفعوا للإباء والامتناع راسا ، فأتوا سريعا بما طلب وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب وحقق عليهم وحسب فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب وأحضر لديه المقرر المكتوب أخذ منه جزاه الله خيرا بعضا وبعض تركه لهم رفضا مسامحة لقلوبهم وتطييبا وتأليفا لأولئك الأشرار وترغيباً .

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف ، وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن محمد من أهل الحوطة ، وذلك أنه أتى ابن زامل فى بلاده لما أراد الله كرامته واستشهاده ، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة ، فلم ينقد له ولا وافقه بل نفر عنه ولاطابقه ، وأنبه على ذلك الكلام وقال أأنقاد فى بلادى إلى الأحكام ، وينفذ علىّ فى الشرع النقض والإبرام ، وأنا رئيس من فى هذه البلدة من الأنام ؟ فكيف أهان وأسام ويلوى عنقى وأضام ؟ فجرد عليه صارما غير كهام ، وجرّعه كأس الحمام ، وارتدى برداء الغدر وتسربل بالخزى والذل والإهانة ، فلم يحصل له ولله الحمد الإعانة ، بل مزقه الله تعالى وأعوانه ، وملك الله تعالى المسلمين تراثه ومكانه ، واستولوا على ساحته وأوطانه واحتووا على رعيته وحيطانه ، فسبحان من لايعجزه شىء ولا يفوته حى سبحانه ، فلما صدر عنه هذا الغدر والفتك وظهر منه هذا المكر والهتك وبلغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين ، أمر بغزو المسلمين عليه وإرسال الجند إليه ، فجد المسلمون فى الوصول إليه ، فلم يلبث إلا قليلا حتى أحاطت به الجيوش فى النزول ونزل بساحته الجحافل والخيول ، فلم يستقر بهم هناك القرار ، بل لم يقيموا بها شطر نهار حتى شمر للجلاء الساعد والإزار وحاق به مااقترف من الآثام والأوزار ، وماصنع من العلو والاستنكاف والاستكبار ، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار ، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد فلم يغر منها على أحد ، بل أعطى أولئك الأمان إلا أصهار من تعدى وخان وماله من خاصة وأعوان ، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلا ، وأمر عليهم سليمان بن عفيصان واستمروا على ذلك شطر زمان وعليهم سيمة الإسلام والإيمان حتى أراد الله الرحيم الرحمن أن ينحطوا إلى حضيض الذل والهوان ، وينخرطوا فى سلك أهل الضلال والخذلان .

وفيها قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام وتجديدا لعهد الإسلام ، ووفد معهم سليمان بن عبدالوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب ، بل حسن له فى الدرعية السكنى والمآب ، فقوبلوا بالقبول والإكرام والبشاشة ، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاشة ، فدثر حاله حينئذ وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه ، وكان هذا شأنه مع غيره طيب الله فى ضريحه مهاده وفراشه ، فكان ذلك سببا لإنقاذ سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحققه بهذا الشان ، فقام فى هذا الدين بتحقق وجزم ويقين ، وأقر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف ، ووفى بما عاهد عليه وما أخلف ، ومات ولله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى ، فلم يوافه القضا إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى . وفيها وفد أهل اليمامة وأميرهم البجادى حسن ، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز فى ذلك الوطن جددوا للاسلام عهدا ، وأرسل معهم معلما فى ذلك المبدإ وهو حمد العرينى ، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم ، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم ، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية الغدر والفرية وينظمون أحوال الخيانة والردة بلا مرية ، ويدبرون فيها مظلم الأراء ويديرون أسباب التعدى والاجتراء ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين ، حتى اجتمعوا عليه بيقين وتعاهدوا عليه مجتمعين وتجاهروا به غير مختفين ، فلما تحقق منهم ذلك حمد العرينى وابن داعج وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة ، وأنهم يبغونهم بالقتل غدا أو بعده خرجا منهم هاربين وكانا للسلمية طالبين ، ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر ، فأمر المسلمين فورا بالتجهز للغزو ، فخرج سعود بهم وظهر وجد السير إليهم ليلا ونهارا لاينيخ إلا وقت الراحة اضطرارا أو جنوح الشمس اصفرارا ، حتى وصل إلى السلمية فألقى الرحال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال ، وأرسل إلى الدلم والضبيعة ونعجان مرابطية كثيرة من أهل الإيمان خشية معاجلة الردة والافتتان ، وبقى أياما كثيرة يكاتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية ، وبحث حسن البجادى على إخراج أهل الشر من بلاده والأعادى الذين صدرت منهم تلك السعاية ، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكاية ، فوعده الامتثال والإخراج وليس دون ذلك من إرتاج ولا عن جلائهم من إفراج ولكن بعد ما ترحل عن هذه البلدة يعنى السلمية

وتحط الأثقال في الدرعية وكان هذا منه خديعة ومكرا وقد حاق به شؤم فعله قسرا، وما أغنى كيده ومانوى بل حطه في قعر الإذلال والخزى فثوى ، وذلك أن سعودا لما جاءه منه الوعود بأنه ينفى عن بلده اليمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه ولا تبينت له قبل صلاحية واستقامة وبعد ماتشرع في الارتحال تكون منا الطاعة والامتثال رضى بذلك منه وما جال في خلده ماصدر عنه ، وماشعر أن وراءه من الغدر نسيجه ، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة ، فحينما أخذ سعود في الارتحال والمسير شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير ، فلم تنخ له في البطحاء الركاب وتحط الأثقال أولئك الأصحاب إلا والردة قد أحكمت لها الأسباب وولج إليها من كل باب وأظل أهلها مدلهمّ العقوبة والعذاب . وحاصل ماصدر وتحقيق ماجرى وظهر أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه يريد من في السلمية من المسلمين ، وكانوا بذلك الأمر مشعرين ولقدومهم مستعدين وللقائهم متأهبين ؛ فلم ينور الصبح بالإسفار حتى هجم أولئك الأشرار وكان لهم إلى حلل النخل البدار ، وراموا أن يسابقوا المسلمين على القلعة المسورة ، فلم يكن ولله الحمد لهم عليها مقدرة ، فبذل دونها أهل التوحيد المعذرة وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار ، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاصطبار ، وطال بينهم القتال والكل شمر الساعد والأذيال وأنف من المعرة والإذلال ، وبذل في ذلك جده وجهده وتبين فيه أهل البأس والنجدة وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده ، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين وصرف عنهم كيد المعتدين (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) فرجعوا على أعقابهم من حيث جاءوا وانقلبوا بالعار والخزى إلى مكانهم وفاءوا ، وقتل من المسلمين اثنان ورجع أعداؤهم بالهوان . وفيها صاح إبليس بأهل الخرج وتنفس وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس وزين في الارتداد منهاجه وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه ، وأقبل عليهم بخيله ورجله ركضا ، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضا ، وفتح لهم اللعين ذلك الباب وطرح بهم في مفازة الهلاك والعذاب وجمع عليهم من أنواع الذل أسباب ، ثم نادى فيهم بالخراب والذهاب فقال : ليس لى إليكم رجوع ولا إياب ، فقد صارت عقباكم الندامة ، وليس لكم على ملامة . وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال وما وقع بهم من الإهانة والإذلال ، أنهم لما حسنت لهم الردة وحقق كل منهم فيها قصده لم يجدوا قيما ورئيس، سوى قرين إبليس وهو زيد بن زامل، وكان إذ ذاك عن الأمر غافل وبادروه وراموه جاهل، وليس

للرياسة حينئذ بآمل ، فأرسلوا إليه بالقدوم فقد جاءك ما تريد وتروم ، فأسرع إلينا بالإياب فالمنى أتاك بغير ارتياب ، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى ، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى ولا أقدم عليكم إلا إدّا ولكن أرسل إليكم ابنى وهو نائب فيكم عنى ويقف على حقيقة الحال وما صار إليه المآل ، فخرج ابنه يريد الدلم ونوى ذلك وعزم ، فلم يرعهم حتى قدم عليهم وهجم ، فأرسلوا عندذلك إلى آل مرة وكانوا قريبا منهم ليقضى الله فيهم أمره ، وأعلم بذلك أيضا أهل اليمامة فعجل كل منهم مجيئه وإقدامه واجتمعوا يريدون المسلمين الذين فى البلاد وليس عندهم خبر بمن ناوأ وكاد بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد ووقع معهم فى جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد ، فقتل من المسلمين نحو عشرة رجال ونادوا غالب المسلمين من غير إمهال ، وتفرقوا فى بلدان المسلمين وبقى أهل الباطل فى الدلم مجتمعين ، ولما جاء زيد بن زامل ذلك الخبر وتحقق من أهل بلده ماجرى وصدر أسرع إليهم بالمسير والارتحال وقدم عليهم بعد مضى أيام وليال ، وما تصور فى ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال ، ويعجل له الإخراج منها والجلاء والانتقال ، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر إلى إمام المسلمين متع الله تعالى به فى تمكين جهز إليهم سعودا وأصحابه وعجله فى المسير وأحزابه ، فجد السير حتى قدم إليهم هو ومن معه عليهم فأناخ فى بلد السلمية لأجل إخراج من فيها من رعية ، فأقام فيها نحو يومين حتى تجهز للارتحال وتهيأ منها للجلاء والانتقال جميع أهل التوحيد بسكينة وتأييد ، ثم سار مرتحلا بعد ما نال منها أملا ، وخرج معه من غير المرابطية حمائل كثيرة من أهل السلمية بجميع مالهم من أهل وحيوان وأثاث من غير تلبث ولا ارتثاث ولا مبالاة بذلك الوطن ولا اكتراث ، بل هم لما عند الله محتسبون (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه جوده دوالى يريد الخرج وآل مرة الذين فيها ومن ساعد على تلك الردة ومقوّيها ، فجد حرسه الله فى ذلك يريد جميع من هنالك ، وقد اجتمع فى تلك الأراضى جميع من له فى الردة ارتياض وعنّ له إلى بعثها انتهاض ، وقد ملأ تلك الفيافى الفجاج من له فى الباطل والزيغ انتهاج ، واحتسبوا فى ذلك للقتال والمقاومة وتأهبوا للجلاد والمصادمة ، بل هم كل ساعة إليها فى انتظار وليس لهم عنها بدّ ولا اصطبار ، فتقرب

إمام المسلمين إلى الله رب العالمين بالدعاء بالنصر على المبطلين ، وحثّ إليهم النجائب وأعمل فى النص الركائب حتى قاربهم حين الهجود وكانوا عفاة رقود ؛ فعند ذلك عبأ أهل الغارة والكمين حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين ، فلما انكشف غيهب الدجى وزال وجدّ الضوء فى الاشتعال ، وفرغ من سبحة الصبح شرع فيما كان فيه له السرور والنجح فأمر أهل الغارة وغاروا فربحوا فى سعيهم وما باروا وبادروا إلى أمره وما حاروا ، فاستاقوا جميع الآبال وما كان لهم دونها إهمال ، فلما شعرت قبائل العرب والبادية أقبلت جميعها عليهم عادية ، فاختلطت الفرسان والأبطال وكان بينهم أعظم مجال ، وكان المسلمون قد وطئوهم فى مضيق شعب من الشعاب ، فلما نهدت إليهم أولئك الأعراب وعاجلوهم بالفزع والانتداب ، فأمسكوا من الشعب المضيق ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق ، فرمى من المسلمين بعض الناس وكان سببا لحصول الضرر والباس فانكشف أهل الدين وجد فى ساقتهم فرسان المبطلين ، وأخذوا يجاهدونهم ساقة والكل قد بذل فيه الطاقة ، واحتمى أهل الإسلام فى ذلك المكان والمقام وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف وثبتوا لطعانهم فى حالة الانكشاف ، غير أن المسلمين قتل منهم نحو الأربعين على سبيل الحدس والتخمين ، وفك أهل الباطل غالب الإبل ، واستاق المسلمون على عجل ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم . ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى اليمامة ثمانين راكبا فعقروا فيها إبلا ثم رجع كل إلى أهله آتيا ، وقتل من المسلمين المشهورين عبد الله ابن حسن أمير القصيم وهذلول بن نصير .

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود يريد الخرج ، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزوا للمسلمين ، فتأهبوا له فى الاستعداد ونفر منهم كل جرىء الفؤاد ومن مارس الحرب والجلاد ، فخرجوا إلى لقائه قبل غارته واعتدائه ، فتوافق الفريقان وتصادف الجمعان فى أرض السهبا والكل منهم قد روّض على الصبر قلبا ورام لعدوه استيلاء وسلبا ، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهبا ويفك نفسه مما أحاط به داهية وكربا ، فطال بينهم المجال واستحرّ القتل والقتال وقتل من الكل رجال ، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال ورجع كل إلى بلاده ولم يحصل على نيل مراده . وفيها عثر على أهل سدير ومنيخ بنسج أردية

الردة وبرود ، وسعاية فى فتح بابها المرتج المسدود ، وتبين من أناس فيه قيام وقعود ،
وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسج والتدبير ، وحق له أن
ينشد على لسان التحذير :

أرى خلل الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فلما أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بمن قام فيها وقعد ، جهز عبد الله
ابن محمد فى المسير إلى تلك البلد ، فسار فى يومه ذلك ونهد ؛ فلما وصل عبد الله ومن
معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيخ ، أمر على الحسينى ومحمد بن إبراهيم وحمد
ابن عبد الله من أهل حرمة ومن أهل سدير صعب بن مهيدب رئيس الحوطة ومنصور
ابن حماد رئيس العودة وعياله بالجلاء عن ذلك الوطن الذى نووا به إيقاع الفتن ،
لكون تلك الأمور المسطورة والأحوال المشهورة المزبورة جميعها منسوبة لهؤلاء
الجماعة المذكورة ، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية ، فلم تقم أولئك
الغزاة فى الأوطان بل بادروا بالخروج إلى الخرج بإعلان ، فجد عبدالله بن محمد بمن
معه من المسلمين فى ذلك المقصد ففاز بالمكان الأسعد ، وذلك أنه صبح الدلم بالغارة
وأشعل فيهم ناره ، فقتل ستة رجال وعقر عليهم كثيرا من البقر والآبال . وفيها
ثارت للردة فى حرمة ثائرة وأضرمت للحرب نائرة ، وذلك أن ذوى القلوب الشريرة
الفاسدة والأفئدة المغلولة الحاقدة ، والنفوس التى هى للمسلمين فى الحقيقة حاسدة ،
وللحق منكرة جاحدة حصل بينهم تواطؤ وتوافق وتساعد وتطابق على إشعال نار
الردى وإطفاء مصباح الهدى ، فصارت منهم الأيمان والمعاهدة والحلف والمعاقدة
ورئيسهم فى ذلك الغدر وناسج أردية الخيانة والمكر جويسر الحسينى ، فوطأ لقلوب
رءوسا سدير وهم سويد بن محمد وآل ماضى وحمد بن عثمان على الغدر بأهل الإيمان
وأن أهل كل بلد تقتل من المسلمين من بها قام وقعد ، فأعطوه على ذلك ما أراد
وأطاعوا له بالمراد ، فلم يكن لهم ولله الحمد عون ولا إسعاد ولا ظفروا برشاد وخابوا
وآبوا بسخط رب العباد ، فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز ويعاجلوا الفرصة بالانتهاز
أرسلوا إلى كبار المسلمين الذين فى المجمعة أن يأتوا إلى حرمة يعلمون ، فهنا متعلمون
ومستمعة ، وقد انتظم العقد والإبرام وأتقن مرادهم بالإحكام على قتل أولئك الأقوام ،

ولكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللئام ، فلم يجئ أهل الدين والاسلام ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام ، فجاء أهل الدين والإسلام إلى حرمة وهم محمد بن شبانة ومحمد بن عثمان التميرى وكنعان بن عيسى وغيرهم ، فلما كان لهم المجىء والإقدام أرسل جويسر ومن معه من الأقوام إلى أميرهم عثمان بن عبد الله ، وكان فى نخل له يعلمونه بقدوم تلك الجماعة ويودون تعجيله وإسراعه ، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة المجىء والإقبال منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان فتكفلوا لهم بذلك الشان ؛ فلما قدم يريد البلاد وكان أولئك له فى طريقه بمرصاد ، ولقتله فى تأهب واستعداد ، قاموا عليه فقتلوه ونال جويسر وقومه منهم ما أملوه ، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه ، وشمروا إلى المجمعة الأذيال وخرجوا يريدونها بلا إمهال ، وغايتهم قتل من بها من المسلمين وإمساك قلعتها للتحصن والتحصين ، فلم يصلوا إلى فنائها بالأقدام حتى كان لأهل الدين ممن فى البلد إلى القلعة سرعة وإقدام ، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول ، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول ، فرجعوا منها بخيبة السول ، وأرسل أهل المجمعة بعد انقضاء القضية إلى عبد العزيز رسولا على مطية يخبره بما صار ، فعجل إليه التسيار حتى وصل إليه الخبر عن الوقعة ثانى نهار ، فأمر سعودا والمسلمين بالتجهز مجتمعين فجد سعود لنيل المقصود وبادر فى الأهبة فى الحال وخرج على غاية الاستعجال ، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرمة مناخه ومراحه ، فطنب على تلك الهضاب رفيع تلك الخيام والقباب ، وبقى عليها أياما مقيما وكل يوم ينالون من القتال أمرا عظيما ، لاينفكون عنه ليلا ولا نهارا ، والكل يبدى على ذلك الجلد والاصطبار ، وقتل بينهم من الرجال ذوو عدد فى تلك المصابرة والأمد ، فلما جهد الحصار أهل البلاد وأضناهم القتال والجلاد وتحققوا أن سعودا لايكاد ينصرف عنهم بغير المقصود ، وأيسوا من باطل الوساوس والآمال وجزموا أنهم لايحصلون على طائل ولا حال ، طلبوا من سعود الدخول فى الإسلام والإقبال وأبدوا له الندم والأسف والإذلال ، فأسقط عنهم النكال ، وتلقاهم بالقبول وكان لهم إلى مرامهم وصول ، واشترط عليهم أن ينفوا جميع الأشرار وهو جويسر الحسينى فأسرعوا فى البدار فبايعوه على الإسلام والتزموا له جميع الأحكام ، وأمر عليهم ناصر ابن إبراهيم وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه ، ثم لما عزم سعود على المسير

والإقبال عزل رئيس المجمعة ، فأمره وأهله بالارتحال لما صار منه من تلك الأفعال ، ثم لما وصل إلى جلاجل عزل سويد بن محمد عنها فأمره وأهله بالانتقال منها ، وأمر فى المجمعة عثمان بن عثمان وفى جلاجل ضويحى بن سويد ، وسار رئيس المجمعة إلى القصب وأقام فيها وقصد سويد شقرا ، ورجع سعود بمن معه من المسلمين ، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالمجىء إلى الدرعية ، فكانت لهم سكن والكل ثوى فيها حتى مات فظعن . وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون الغارة على الدلم ، فقضى الله تعالى وحكم أن أهل الخرج يوافونهم قبل الإراكة ، فلم يسع المسلمين الانصراف والانفراكة بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه ، فجالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شبهى وأصيب من الخرج عدة رجال ورجع المسلمون بعد ذلك الحال .

ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى يريد الدلم وقد صمم على حصارها وعزم ، فجد السير إليها حتى أناخ عليها وكان وقت لذة الكرى فما أبصره أحد ولا درى ، فتوهل بعض الحلل ونال منها المراد والأمل وبقى ينتظر الصباح حتى يحصل له من مراده النجاح ؛ فلما أسفر ضوءه ولاح وفرغ من صلاة الإصباح نهد إلى الحرب وأشعل جمرة الطعن والضرب وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلل وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل ، وما يشعرون أن أهلها ممتعون إلى حين (وأملى لهم إن كيدى متين) فجدوا إلى تحصيل المطلوب وإدراك المنى والمرغوب، ولم يحيطوا علما بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب ، فأرجف أهل البلاد وأيسوا من أنفسهم فى مصابرة الجلاد وطمع أهل الإسلام فى الفتح لما عاينوا من علامات النصر والنجح ، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين والتقوا معهم فى تلك الحلل فكسرهم الله تعالى وهزمهم على عجل فولوا سراعا على غير مهل فعند ذلك داخل أهلها الذل والخلل وملأ قلوبهم الرعب والوجل حتى إن بعض أهل تلك الأوطان طلب لنفسه الأمان ولكن أمر الله غالب ولا يفوته سبحانه هارب ، وكان من قضاء الله تعالى القدر وحكمه النافذ المراد المدبر أن زيد بن زامل كان ذلك اليوم فى اليمامة عند أولئك القوم ، فلما سمعوا الرمى فى تلك البلاد فزع هو ومن فيها من العباد ونهدوا إلى ذلك سريعا وأقبلوا جميعا وكان

غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد محيطين وبحللهم محدقين وعلى أخذهم مشرفين ، فانصب زيد ومن معه على محطة الجيش المجتمعة من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استصبار ، بل قضاء الملك القهار وقدر ميسر من الأقدار وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللغط والأصوات وعليها المقاتلة والرماة ورام أن يدخل البلد من الباب يظن أن ليس هنالك أحد ، فإذا الجيش بحذائه نازل بقربه وفنائه ، ولم يشعروا إلا بالجلبة والصياح وتشريع أسنة الرماح وإطلاق أعنة الجياد الملاح ، فانذعر الجيش وطاش واندهش حيرة وارتعاش ، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الخمسين وقتل حينئذ بعض المسلمين ، ثم اجتمع المسلمون وتراجعوا سريعا وتلاحقت مقاتلتهم جميعا وقربوا إلى البلاد كافة وخرج أهلها للقتال بعد الذلة والمخافة ، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال وقتل بينهم رجال ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال ، وسار عبد العزيز حرسه الله تعالى ومن معه من المسلمين فأناخوا على نعجان أجمعين ، وبقوا أياما لها محاصرين حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها ببعض الحلل فأخذوها وفر أهلها على عجل وقتل فيها رجال وفاز المسلمون بكثير أموال ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم ، وقتل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذلك . وفيها نزل سعدون بن عريعر الخرج وأرسل لعبد العزيز يطلب الصحبة فوافقه على ذلك وشرط عليه أن لا يقرب البلد إن قصده مكر وخديعة يزين لأهل البلد الردة ، ثم بعد ذلك نزل مبايض فبان قصده فنبذ إليه عبد العزيز عهده ، فأقام مدة ثم خاف من المسلمين فارتحل في القيظ وتوعر في مضماة الدهنا والصمان وتوسط فيها ذلك الزمان فناله وقومه أعظم النصب وتعبوا أشد التعب ومات ماعندهم من الأغنام وكابدوا طلائع الحمام وأوهن الله تعالى كيده ومارام .

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عزم أهل حرمة على الردة ونووا وخلعوا ملابس الدين وطووا ، ونشروا للخيانة والردى علما وسعوا إليها أمما وهيئوا لأسبابها وفتح بابها أمرا محكما وعقدا رصينا في زعمهم الفاسد مبرما وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون رئيس بني خالد بما دبروه فكان على ذلك الشأن واجد وعلى القيام فيه والنصرة له مجد مساعد ، فاستدعوا أيضا أهل الزلفي فكان كل منهم على ذلك مستلفي ولإنجازه كل حين منتظر مشفي ، فلما لباهم أولئك الأقوام وأجابوهم على

المساعدة فى ذلك المرام ، وأوعدوهم على يوم من الأيام ينفذ فيه ذلك الإبرام، ويصدر فيه العقد والأحكام وتراق فيه دماء ذوى الدين والإسلام ؛ فلما قرب سعدون من البلاد وتحققوا إنجاز المراد وعرفوا أنه يصبحهم غدا عمد أهل الباطل والردى فألبسوا أناسا منهم ثياب النساء الغوانى ، وأمروهم أن يسيروا إلى المجمعة من غير توانى، ويصعدوا إلى بروج القلعة حتى يدهموا المسلمين فى البلد ثم تكون لهم فيها منعة فلما بادروا إلى ذلك الأمر وعجلوا لنيل ذلك القصر وصعدوا إلى تلك البروج فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم المجىء والخروج ، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين فسددهم الله تعالى وأعانهم وخذل تلك الطائفة وأهانهم فلم يظفروا بمرام ونقض الله تعالى حبل ذلك الإبرام ، وأقبل سعدون بن عريعر وبنو خالد وأهل الزلفى وأهل حرمة فأناخوا على المجمعة أياما وحاصروها وراموا بها من الفتك مراما ، وكان تلك الأيام حسن بن مشارى مقيما فى جلاجل مع جماعة من المسلمين ، فلما حاصر أهل المجمعة أحزاب المبطلين نهد هو ومن معه إلى المجمعة ليلا فكانوا لأهلها مددا ونالوا بهم نيلا وأقامت أولئك القبائل والأحزاب فى حصار للبلد وإضرار وخراب وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار إذا شاهدوا هذا الإضرار ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار ، فثبت الله تعالى المسلمين وأوهن كيد المعتدين وكان أعظم من امتحن فى ذلك الأمر قبل وبعد فبذل فى ذلك غاية الصبر والجهد ، وأوذى فيه وابتلى وصدر عنه فى القيام ذلك الأمر الجلى أحمد التويجرى رحمه الله تعالى ؛ ولما وصل عبد العزيز الخبر عن ذلك الحال وما دبره أهل الباطل والضلال وما اجتمعوا عليه من الردى أمر بالنفير والمسير على ذوى الهدى ، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طلبة وأمر عليهم عبد الله بن محمد فأسرع إلى ذلك الأمر وأنجد ؛ فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب أن المسلمين فى قدوم وإياب وليس لهم غيركم طلاب ، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال، وشمروا فى الرجعة والانقلاب ولم يظفروا مما راموا بحسن مآب ؛ فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة وكانوا إذ ذاك نائمين ، فعبأ الجيش والكمين ، فلم يسفر بضوئه الفجر وتقض صلاته ذات القدر حتى أخذ كل حزب مكانه وثبت على القتال جنانه ؛ فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد وماحاط بهم من الهلاك والهم والأنكاد

اندعرت قلوب ذوى الشر والفساد وارتعش منهم اللب والفؤاد وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) فأحاطوا بهم من كل ناحية وجزموا عند ذلك بنزول الداهية ، فأقام المسلمون لها محاصرين ولفتحها آملين ، كل يوم ينهدون إلى القتال والقتل ويجدون فى تقطيع الأشجار والنخل ، فقطعوا نخل المويس جملة ولم يكن قطع غير بغير أناة ولا مهلة ، فأيس من الأعمار من فى البلد من الأشرار ونزل بهم الجهد والحصار وأزعجهم ذلك التخريب والدمار ، وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار ووقع بينهم الجلاد والجلد والاصطبار ، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية وآثروا الباقية على الفانية ، وقتل من الأشرار من منيته دانية وهم عشرة رجال كل بالغ حده فى الشر والضلال منهم مدلج المعى ومحمد بن إبراهيم ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبد الله بن محمد رجالا من المسلمين وخيلا فى المجمعة حتى ينال أهلها بذلك عزا وتحصنا ومنفعة وليضيقوا على أهل حرمة المعاش فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش . وفيها فى شهر رجب غزا عبد العزيز يريد السلمية فلما قاربها شعر به من بها من البرية ، وانصرف راجعا بعد ما كان بها طامعا ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة لأمر اقتضاه رأيه واختاره ونهد من ساعته فى ذلك الطريق لإرادة الله له بالتوفيق ، فجد السير والمسير يريد فرقانا فى أرض عروى نجد من مطير ، فصبحتهم فرسان المسلمين والإسلام واستقبلتهم مقاتلة أولئك الأقوام وحمى بينهم الطعان وثبت الله أهل الإيمان ، فشدوا عليهم وصمموا الحملة إليهم فولوا هاربين وأخذوا تلك الأسلاب أجمعين وحازوا من الآبال فوق المراد والآمال ، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إمهال ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال منهم عدامة بن سويرى .

وفيها غزا سعود أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى ، فسار بالمسلمين يريد حرمة ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة فجد السير إليها ليلا ونهارا فلم يجد دونها قرارا حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة بساحة تلك الطوائف المكسورة ، وأقام أياما عليها كل يوم ينهد للقتال إليها ويقع بينهم جلاد وقتال وتقتل بينهم رجال فى كل جولة ومجال ، فصابرهم على ذلك أياما وليال وهم فى غاية من الذل والإذلال ، واستولى المسلمون على النخل وحللها فآيس أهل البلد من رجائها وأملها وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام واحتنك عليهم فضاء ذلك المقام وحاق بهم قضاء الملك العلام

وتحققوا أن البلد يدخل عليها من أقطارها، وقد ذل جميع حماتها وأنصارها ، فلم يجدوا منهجا ينتهجونه ولا عونا يرتقبونه ويرتجونه سوى النزول على الإسلام وحقن دماء أولئك الأقوام وإزالة مايخشى على أهل الدين ويحذر ، فدانوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر فنزلوا وعاهدوا واشتروا من سعود جميع مافى البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا ، فأمر بهدم جميع القصور وإزالة مافيها من الدور وبجلاء آل مدلج كافة فطاروا إلى البلد من المخافة ، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال متندمين ، (فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين) .

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى نصرا وتمكين ، فخثّ الأعوجية والجياد وقصده الزلفى لأجل ماجرى منهم من الفساد ، فشمر إليهم المسير وفاجأهم قبله النذير فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد إلا وهم فى غاية من الأهبة والاستعداد ، فشمروا الإزار والذيل ، للخروج إلى لقاء غارة الخيل ، فانتهزوا لذلك وانتدبوا وأسرعوا إلى مطاعنتها وطلبوا فالتحمت الفرسان واستمر بينهم الطعان وقتل بينهم رجال فى ذلك المعرك والمجال ثم وقع منهم الانفصال ، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعون . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد الله بن محمد ، فسار بالمسلمين إلى الزلفى وقصد فأعجل الركائب فى نيل ماهو طالب فلم يصل لذلك المحل حتى سبقه النذير على عجل ، فكانوا متأهبين للقدوم ، وكل يوم ينتظرون الهجوم ، فلما أغار على تلك البلاد لم يحصل له منها مراد فانصرف عبد الله راجعا ، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض ورجع أهل سدير وأهل الوشم يريدون بلدانهم وإذا سعدون بن عريعر مع جموع بنى خالد لهم مواف معارض ، فأطبقت عليهم تلك الجيوس والجموع ولم يكن أحد منهم مسلما ممنوع ، فجالوا على جميع ذلك الجيش وسلم الله تعالى من له بقية من العيش ، وثارت خيول المسلمين وولى الباقى فرسان المبطلين ، وقتل من المسلمين نحو من الثلاثين منهم حسين ابن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سدحان من كبار أهل شقرا ، وفى ذلك اليوم أغارت خيل لبنى خالد على فريق من المسلمين سبعان فاذا عندهم أناس من أهل ضرما منصرفون من غزو عبد الله ركايب وفرسان ، فحين غارت خيول بنى خالد خرج إليهم كل شهم شجاع مجالد فجالدوهم ساعة وزمانا وأسر المسلمون منهم فرسانا منهم سعدون ابن خالد وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر أضحى لغالبها ناقد . وفيها سار سعود بالمسلمين

يريد الحوطة فجد السير إلى تلك البلاد وأعمل فى ذلك غاية الاجتهاد ، فأناخ وسط الليل حولها ولم يشعروا بذلك أهلها فرتب أصحاب السكين وأهل الجيش أجمعين ، فلم يضىء الفجر بإسفار ويخرج أهل الحاجة للانتشار إلا والغارة غادية وغرر الجياد عليهم بادية والأصوات عالية بعد ما كانت هادئة ، فأسرع الخروج أولئك الأقوام وكان لهم إلى اللقاء إقدام ، فطال بينهم المجاولة والالتحام وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام ، وقتل من أهل البلد فى ذلك المجال خمسة عشر من الرجال ، وقتل من المسلمين بطى المطيرى ، ورجع المسلمون إلى بلادهم .

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المنى والمقصود ، فحث على السير جياده وركابه ، وكانت الدلم مراده وطلابه ، فتوغل فى تلك الأراضى وقد هدأت بلذة الإغماض ، فعند ذلك قام فى أداء أكيد الافتراض من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض ، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة حتى أشعل الفجر مصباحه ، وركض الصبح على الدجى وبدره بعموده وفجا ، فعند ذلك أذن للمكتوبة وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه ؛ فلما فرغ من صلاته نهد إلى تعبئاته وأخذ السكمين مكانه وحرض على الصبر جماعته وإخوانه ؛ فلما أخذت الشمس فى الإسفار كان له إلى الغارة البدار وقبض جميع من فى الدلم من المقاتلة وراموا الجلاد والمقابلة ، فأورث فيهم أهل التوحيد والإيمان مشعل النيران وأرووا من نحورهم أسنان المران ، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم ورعبت كماتهم وأنصارهم ، فولوا عند ذلك الأدبار ، ولم يكن لهم على ذلك الهول اصطبار ، وانهزموا على أعقابهم مدبرين وبرحوا فى بلدهم متحصنين .

وأقام المسلمون أياما فى قتالهم وحصارهم مجتهدين فى حربهم ودمارهم كل يوم يصابحون قطع نخيلهم وأشجارهم ، فقطعوا خضر بن عشبان فى ذلك الزمان فعرتهم الذلة والهوان وعلتهم هموم وأحزان وقتل منهم فى ذلك الوقت والأمد رجال من غير حصر وعدد ، ثم إن سعودا حرسه الله تعالى نوى بناء قصر فى ذلك المكان ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان من يضيق على أهل تلك الأوطان ، وصمم على ذلك الرأى والبنا ، فنال بذلك الرفعة والثنا ، وقد كان بذلك الرأى والده مشير ، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير ، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال ، فكان ولله الحمد سببا لهدم بدع الغى والزيغ

والضلال ؛ فلما فرغ من بنائه وإتمامه وقضى من تشييده وإحكامه ، وضع فيه من الأبطال عدّة ، وجعل فيه خيلا ومن آلة الحرب عدة ، وكان جميع من فيه ذوى بأس فى اللقاء والشدة ، وصبر عند الإقدام ونجدة ، وأمر عليهم محمد بن غشيان وكان ذا شجاعة وحدة ثم انصرف سعود راجعا وفى بلده راغبا طامعا . وفيها غارت من المسلمين خيل من قصر البدع فتوافقت مع خيل لأهل اليمامة ، فجالوا معهم ساعة فقتل المسلمون فرحان بن راشد البجادى وجرّعوه حمامه . وفيها ارتد جديع بن هذال بعد ما ادعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال ، فولى هاربا وفى الضلال راغبا ولنهجه طالبا فأراد الله أن يوافقه مطير فى ذلك السير فناوخه أولئك العربان ، وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهما فباءوا بالخسران . وفيها حزب أهل البغى والعدوان وذوو التعدى والطغيان على قصر البدع الذى فيه ابن غشيان ، وذلك أن هذا القصر لما أسس وبنى واهتم بأمره واعتنى ، واختير من الرجال حماته وفرسانه والمرابطون فيه وسكانه ، فكانوا أولى بأس شديد وإقدام ليس فى اللقاء عليه مزيد ، ومصابرة فى الطعان والإقدام وعدم الخوف من الحمام ، ولم يتبين من أحد منهم فى اللقاء إحجام ، وكانوا فى غالب الليالى والأيام يعدون على أهل الخرج وينالون منهم المرام ، ويقعدون لهم المراصد ويأخذون كل قادم وقاصد من الأقارب فضلا عن الأباعد ويقتلون كل صادر ووارد ، واستمر عليهم ذلك الحال وتجرعوا منهم غصص الوبال ، وأقاموا فى أكسف بال لا يطعمون لذة المنام فى دياجى الظلام ، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد والحرب توقد عليهم غاية الاتقاد ، فلما سقمت منهم الأجسام وضاق عليهم فى بلادهم المقام وحالت وجوههم ذلك الزمان ، وتغيرت منهم الألوان وضوت منهم الأبدان ، وعميت عليهم مناهج الحيل وسدت عليهم مناهج جميع السبل ، ولم يلفوا فى إزالة ذلك القصر سبب استعانوا فى ذلك بأفكار العجم والعرب ، حتى جاءهم شخص من تلك النواحى ممن تسمى بالمعرفة وانتسب ، فشكوا له حالهم ومصابهم ومانزل بساحتهم وأصابهم ، فقال : ثكلتكم الأمهات وعدمتم الترفهات معشر الحمق والسفاهات وأرباب الجهل والترهات ، لم تلدكم النساء للحروب ومكافحات الخطوب وإنما ولدتم للغى والهوى والبطالة ، فلستم مساعير الحرب ولا رجاله ، أغرتكم من هذا القصر أحزان حتى ذهب منكم اللب والجنان ، أغشيتكم منه الذلة والهوان وتشبهتم بالغوانى ذوات الأخدان وتلفعتم بمروط النسوان ؟

فقالوا سبحان الله يا أخا العربان : كيف ينطق بالتأنيب منك لسان وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهذيان ونحن الكماة الشجعان ؟ ولكن قد التقت حلقتا البطان واحتنكت علينا الأوطان ، فعسى أن يكون للراحة منك يدان . فقال :

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج ... سوف أريكم فكرة ليس بها من عوج
وتبصرة وهمة تلق العدا في رهج ... إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج
أبدى من العز لكم فخرا رفيع الدرج ... ففكرتى منقادة وقادة كالسرج
فقد تولى عنكم غيهب خطب مزعج ... وجاكم مرادكم فأصبحوا فى بهج

فقالوا دعنا وهذه الغمغمة واتركنا وهذه الجمجمة ، فبين لنا بالإفصاح حتى نفوز بالأرباح فقال آتونى بأقوى الأخشاب حتى أصنع لكم ما بقى من الرصاص من الأبواب ، وأجعلها مثل الصندوق وأعلاه مطبوق ، والرجال فيه مداريع وبأيديهم المفاتيح والمصاريع ، ويحمل ذلك الصندوق على عجل وأهله فيه قعود على مهل ويدفعونه أولئك القعود فيسير بالدراريج غير مردود ، فإذا وصل إلى السور يفتح ويحصل المراد وينجح فيهدم السور وينقض ويوهى أساسه وينفض ، وترمى أحجاره وتقتل بعد ذلك أنصاره وتدخل فيه الأجناد ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد ، فلما أخبرهم بهذه الحيلة وفاه ، أقبل منهم كل يقبل فاه ، وقالوا (إنك اليوم لدينا مكين) فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين ، فقال : ذلك بعد ما يتم المراد ويحصل لكم الإسعاد ، فعجلوا إلىّ بالأخشاب والأعواد ، فأسرعوا فى الاستعداد وأتوه بما طلب وأراد ، وشرعت الصناع تصنع فى الحديد وأقاموا على ذلك أياما بلا تعديد وهم فى تعب شديد حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان وأبرز كيده من غير توان وقعد فيه أناس متدرعون عتاة مردة وأخذوا يدفعونه ويعطى مقوده وهيئوه إلى السور ومرصده ، فلما توسط فى الطريق عند القصر ومشهده أبى إلا الوقوف ، وكأنه عن المسير مصروف ، فعجل الله لكثير من فيه الحتوف وحاولوا فى ذلك أعظم حيلة ، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة وقالوا قد زال الفرح وجاء الترح إن بقى هذا العجل فى هذا المكان والمحل هبط من فى القصر ونزل فقادوه علينا وأوصلوه إلينا ، فكنا كمن ألقى نفسه فى الهلاك ووضع لإتلافها حبائل وأشراك ، وكان القوم الذين فيه لا يقدرون على رده ومن جاء من الأحزاب قتل قبل أن يصل إلى حده ، فخاروا وخاروا وخسروا وباروا ويوم تعدوا وجاروا ، وبقوا

ساعة وزمانا يعانون هما وأحزانا ، وقد تسربلوا بلباس الإحجام وأبت أن تسير إلى رده الأقدام حتى جرى بينهم عتاب وملام وتنادب وبكاء بدموع سجام،فانتدب له رجال وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال ، ثم بعد ذلك شبوا عليه النار وقالوا لاتستطيع تشاهده منا الأبصار ، فلماغربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام اجتمع أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود وقد تعاهدوا على ذلك بالأيمان والعقود ، فوصلوا إليه بالمحامل والسكل للصعود آمل ، فشرعوا فى الرقى والصعود ، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود ، وبذلوا جد الاجتهاد فلم يشتفوا بمراد ورجعوا وقد قتل منهم خمسة وعشرون وباءوا بالخزى والهون ، ثم لما أعياهم ذلك القصر وعناهم ونكد عليهم معاشهم ودنياهم وحاروا فى أقصاهم وأدناهم ولم يحصل لهم فيه مناهم حدد منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر فى تلك البلاد وطلبوا منه المساعدة والإسعاد ، فأجابهم إلى ذلك المراد فتواعدوا على الخروج معه ، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه ونزل على البدع مع تلك العربان ، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان وهم أهل الحريق واليمامة والحوطة وأهل الخرج فاجتمعوا على سعدون وهم لهدم ذلك القصر رائمون ومع سعدون المدافع ، فاشتعلت بينهم نار الحرب والسكل دون عمره يدافع ، وبقوا يرمون بالمدافع السور ، فلم يقع فيه من الرمى محذور وكان عن الهدم موقى محظور ، حتى تبين لهم الباس وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدرون ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون وقالوا هذا لايكون فبعدك يقع علينا عذاب الهون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اختاروا منهجا فيه تسلكون فاستم بعد ذلك تلامون ، فظعن وارتحل ، وكل قصد ماله من محل وتفرقت ولله الحمد تلك الدول ، وبقى سعدون بمدافعه مهتما وعلى إتيانه بها نادما مغتما ، لايدرى كيف يفعل ويصنع وهو إلى الهروب قد أسرع وعلى الانهزام قد عزم وأزمع ، فهو يجد فيه ويربع فاقتضى رأيه الشنيع أن يتركها فى اليمامة على سبيل التوديع ، فسار وتركها فى اليمامة ، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة . وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين فسار يريد اليمامة ، وأرسل عيونه أمامه وطلائعه قدامه ، حتى أناخ عند البلد وسط الليل وكان له على تعبئة جيشه ميل فرتب السكمين ، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين أغار الجيش على البلاد ،

فخرج أهل الجلاد وتطاعنوا قليلا وصبر أهل الدين صبرا جميلا حتى ظهر كمين الموحدين ، فأسرع أهل الباطل مولين وعلى أعقابهم منهزمين وقتل من أهل البلد دون العشرين منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجارى ، ثم بعد ذلك انصرف عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين فأغاروا على الحريق فألفاهم يحشون مجتمعين ، وكان لهم جماعة معهم مجنبين فناوشوا القتال ثم انهزموا بانجفال وقتل منهم عشرون من الرجال ورجع أهل الإسلام بأحسن حال . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى عزا وتمكين . يريد أسلافا مجتمعة من قبائل العربان من آل ظفير وعنزة مقيمين على ماء ممايض فى ذلك الزمان، فانتضى سنان الهمة والعزم، وجرد صارم الجد والحزم إلى ذلك الأمر والشأن حتى وصل إليهم بعد آن ، فشنت عليهم الغارة الفرسان، وكانوا على أهبة واستعداد للقاء الشجعان ، فجال معهم المسلمون وهم على العزم والصبر ثابتون ولأنفسهم على الموت موطنون ، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام فى ذلك اليوم غاية ولا مرام وانصرفوا عنهم بسلام .وكان هذا أمرا من الملك العلام ليرى خواص الأنام ، ماخفى فى الغيب من الأسرار والحكم والأحكام، فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تمير ، ثم أرسل إلى مدد من أهل سدير فأقبلوا سراعا إليه وقدموا فوراعليه، فظعن بعد ذلك وارتحل وجد يريد تلك العربان الأول ، فأسرع النزول مع أولئك الدول ، فلم يعد إليهم بعد ذلك اليوم إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم فحين رأوا أهل الإسلام قادمين ، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم نادمين فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء والاستخفاف ، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف ، بل جزموا أنهم لهم غنيمة وأنهم مهما شدوا عليهم شمروا للهزيمة ، فكان البلاء موكلا بالمنطق فصير الله عليهم ذلك وحقق ، فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوهم ساعة ثم جدوا فى الفرار لايلوون ، فتولى المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم، وقد قتل منهم فى ذلك الحال فوق المائة من الرجال ، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال وجميع السلاح والأغنام والآبال ، وكان دهام أبا ذراع ممن كان لروحه فى ذلك الحين انتزاع .

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى من كل مكروه وبلغه مايرجوه بالمسلمين يريد الحوطة ، فحث السير إليهم حتى قدم إليهم وكان وقت القدوم والإقدام حين عسعس الظلام ، واستقام غيهب

الإظلام ؛ فلما أناخ وأقام لم يسرع إلى لذة الراحة والمنام بل أخذ فى التدبير والاستعداد لمقاتلة أهل تلك البلاد، فلما قضى من ذلك المراد والغرض، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله وافترض ، بادر إلى القتال وانتهض ، فأغارت الفرسان على طارفة البلد ؛ فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد ، فالتقوا أهل الدين وكانوا من الصبر على يقين إلا أن الله تعالى ليس لأمره رادّ ولا يقاومه سبحانه أحد من العباد، فحين صمم المسلمون عليهم باروا وقصدوا البلد وثاروا ، وقتل منهم فى ذلك الوقت والمجال خمسة عشر من الرجال ، وأقاموا فى بلادهم فى جهد وضيق لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق ، والمسلمون فى تلك المدة قد بذل كل منهم فى التخريب وقطع النخل جهده، فقطع جميع نخل الرحيل ثم كان للمسلمين إلى نعجان ميل فساروا إليها وأقاموا حواليها وقطعوا شيئا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين . وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدلهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم ، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا فى ذلك المرتع الوبئ الوخيم وذلك أن كافة أهل القصيم إلا بريدة والرس والتنومة لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والذلة ، وقضى عليهم فى سابق الأزل بالهوان والمذلة وأن يلبسوا ثياب الخزى والعار ويتدرعوا بمدارع أهل النار ويتحلوا بحلية الأشقياء الفجار، ويسلكوا مسالك الأشرار (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) من شر من أراد بهم الفجور والإضرار ، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصروا على ذلك غاية الإصرار فرجع آيبا بالخيبة والأوزار اجتمعوا على الغدر بأهل الدين وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصا المعلمين ، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم فى ذلك الوقت والزمان يوم الجمعة فى خفى مكان فتفاوضوا الأمر وأبرموه وشدوا عقدته وأحكموه وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود وحققوا الوفاء بالعقود على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسلمين موجود ، فى يوم معين عندهم معدود وزمن مؤجل معروف وقته مشهود ، فحين تم ذلك الأمر وانقضى انصرف كل إلى بلده ومضى ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبره ، إلا أنهم على مايصدر عليهم فى حالة يقين ورضى ، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك الحال والشان حتى يقدم ومن معه من البدوان ، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المنى والسول فبادره بإعطاء البشارة بعد ما أعلمه بالمأمول وأنه سريع الحصول ، فبادر إلى الأمر فى الحال وآذن فى جميع البوادى بالارتحال، فأقبل

بنو خالد كافة وعنزة وجدوا فى السير والإقبال تعجيلا لذلك المرام الذى لم يخطر له على بال ، وقد داخله من السرور والاستيناس ما لا يعرف حده ولا يقاس ، وقال الآن حان للزمان أن يفى فننهز الفرصة ونشتفى وقد قرب أن يطلع لى بأفق نجد نجم العز والفخر والمجد وينتشر صوت صيتى فى الأقطار فأكون حامل راية الشرف والافتخار فتنحط لهيبتى رقاب الملوك فلا يروم أحد لمنهجى سلوك ، ولم يختلج فى لبه أن شمس عزه قد آذنت للغروب بدلوك ، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مفتوك وأنه يرجع من حيث جاء معثورا مقروحا منهوك فسار بمن معه من الحماة والكماة والأنصار يريد أهل تلك الديار حتى ينجز منهم مادبر وصار ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وحين قارب أن يلقى عصى السير والترحال ويحط عن الظهر الأثقال فى أرض تلك البلدان أسرع أهل الشر والعدوان وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان ، فقتل أهل الخير إمامهم فى الصلاة منصورا بالحيل يوم الجمعة وهو للصلاة مريد ، فقطعوا منه الوريد وقتل ثنيان أبا الحيل وقتل آل جناح رجلا من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ، وقتل آل شماس أميرهم على بن جوشان وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشان ومن لطف الله تعالى بأهل بريده وسلامتهم من الشيطان وكيده ، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته أن سليمان الحجيلانى وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة وثبت ذلك عند حجيلان ؛ فلما أقبلت تلك العربان بادر حجيلان إلى قتلهم فقتلوا ولم يدركوا ما أملو ، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام وإظهار المبادرة فى الامتثال والاعتزام من عندهم من معلمة الأحكام ومفهمة التوحيد الذى خلقت لأجله الأنام وهما عبدالله القاضى وناصر الشبلى وقالوا هؤلاء إليك قربة ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه ، وهم منا إليك هدية وليس فى قتلهم علينا ولا عليك عار ولا وزر ولا خطية ولا مسبة عند الناس ولا رزية فجرد عليهم صارمه وبأسه وأسقى كلا من صرف الحمام كأسه ، فلبس من الخزى لباسه ، فقتلهم حين جاءوه صبرا فنال من مولاه حربا ووزرا وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرا ؛ فلما استقر فى تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة مع تلك الجيوش وأسلاف الهائلة المنيعة لبس أهل الشر

والفساد وأهل الشقاق والنفاق والعناد من أهـل تلك الأوطان والبلاد ملابس السرور والفرح ، وزال عنهم ما كان فى قلوبهم من الهم والأسى والترح ، وجاءت منهم جموع وأجناد وأنصار وأمداد . كيف لا وهم الذين قدحوا فى ذلك الزناد وأوروا جمرة الفتنة أعظم الإيراء والإيقاد ، وأرووا شبى المواضى من ثغور أولئك العباد (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ولما نزل بذلك المحل عجل الله لأناس من جماعته الأجل ، فبادروا إلى بريدة فى الإسراع وراموا ههنا حصول الأطماع ، فلم يؤب إليه منهم إلا الأقماع فداخله الرعب والارتياع حين أرسل إلى بريدة بريد الخيانة ، فأرسلوا إليه تلك الرءوس وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس فتبشط غيظا وغضبا وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إربا إربا ويوقع فيهم من الفتك والهتك أمرا عجبا ، وشمر إلى أهلها فى المنازلة وكانت منه إليها معاجلة ، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد ، فضلا عن كونه يرجع عنها ولا يفيد ، بل جزم أنها مفتوحة عن قريب وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب ، فآب أول يوم المنازلة بالخيبة والحرمان والقتل والذل والهوان ، وقتل جماعة من قومه فى ساعته تلك لا يومه ثم عاود الحملة يوما آخر على السور ، فرجع منقوصا موتور . وقتل من أولئك الحمر السود وكل من رام الهدم للسور والصعود ، وبقيت قتلاهم لا تنتقل ولا ترفع للدفن ولا تحمل بل بقى غالبهم ملقى مهمل ، غير أنهم صاروا للعاديات مائدة ، فهى إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة وصادرة وعائدة ؛ فبقى أياما حائرا متندما ثم أجمع رأيه وعزمه محققا مصمما أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحما ويلجها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحما ، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدما ، فنهض إلى إنجاز ذلك العزم وإنفاذ تلك الهمة والحزم ، وبادر على تؤدة من الصباح متيمنا بالبكور فى النجاح وحصول الأرباح كما يروى فى الأحاديث غير الصحاح «بورك لأمتى فى بكورها» وليس على راويه من جناح ، فأقبل بكيد عظيم مهول ، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهول ، فصبر أهل الدين وصابروا ، وجد أهل الباطل وكابروا ، وراموا اقتحام البروج والسور ، وهدم تلك الحصون والقصور ، والهجوم على أهل تلك الدور فثبت الله لأهل الحق القلوب ولم يكن أحد منهم بمذعور ولا مرهوب ؛ فرجع ولله الحمد مذعورا مرعوب مهزوما مغلوب وما أغنى عنه ذلك الكيد شيئا وكانت له الذلة والمقتلة فيئا ؛ ثم بعد ما صدر منه ما صدر

وجرى منه ماتبين وظهر ، عض من الغيظ الأنملة ، حيث لم يرجع بما كان أمله ، وبقى على أفعاله السالفة وقضاياه التى هى للشرع مخالفة ، متحسرا متأسفا متندما متحيرا متحسفا؛ فتفاوض مع أولئك الرؤسا الذين هم لايزالون عنده جلسا ، فيما يدفع عنه الهم والحزن والأسا واتفق الرأى السديد الجامع ، والأمر الذى هو للمراد قاطع ، وللعدو مذلة قامع ، وللمقاتلة مزعج رادع ، أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع ويأتى لها بحكم ومدافع ، فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع ، ويصير لك معاند ومشاقق متابع ولحكمك منقادا طائع ؛ فأجابهم أن هذا هو الرأى السديد وسينجز هذا قريبا غير بعيد ، فشرع فى أسباب ما كان لهم به مجيب وإنجاز ذلك الأمر الذى هو فى زعمهم صائب مصيب ، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان من أنواع الصفر جملة ، وأنجزوا له فى قريب مدة ومهلة فلم تمض من الأيام مدة حتى اتفق عنده من ذلك عدة وشرع فى صبها الصانع فكان فى إحكام هيئتها طامع وأقام يعالجها فى إحكامها أياما فلم ينل من ذلك مراما ، بل حاز ذلة وخيبة وآثاما ، وأطال فى ذلك الأمر مكثا ومقاما ، وكلما صبها أبت وكلما أفرغها فى القالب خبت ، فلم يتم لها حال ولا استقامة ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه ، وعرف فى باطنه إن لهذه شأنا وإن لم يفه بذلك لسان ، وكل يوم أو غالب الأيام يجرى قتال وجلاد مع أولئك الأقوام وأهل الدين والهدى لم يبالوا بمقام أهل الردى بل هم كل يوم من الحزم فى مزيد ومن البأس والنصرة فى تجديد ومن الله تعالى فى إعانة وتأييد ، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد ؛ وفى أثناء تلك الإقامة بنى قصرا وأنجز إتمامه وجعل فيه عدة من الرجال وذوى الباس فى المجال وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل فانتدب المسلمون إليه ليلا فنالوا من مرادهم نيلا ، وقد أعلمهم أهل الإسلام أنهم يريدونهم جنح الظلام فعجلوا لهم بالإعلام وبادروهم فى ذلك القصر فهدم وأزيل وبقى كل من فيه مجندلا قتيل ولم ينج منهم سوى واحد وكان بالخبر عن قومه وارد ، وفى أثناء تلك المدة أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب فأخذوا غنم سعدون وكانوا نحو أربعمائة فى الحساب تسمى تلك الغنم الدغيموات كثير من غنم تلك البريات ، وفى أثنائها أيضا عدا أهل بريدة على بيت من الشعر جعله عبدالله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق النهير مشهورا وفيه آلات

للحرب ورهبة ، فأضحى لديهم مجرورا وقتلوا فيه أربعة رجال ورجعوا فى ضحوتهم فى أحسن حال ، فلما مضت من الشهور مدة نحو خمسة فى العدة وتحقق له من مراده الحرمان والخيبة وأراد لأهله الانصراف والأوبة عزم على اقتحام البلاد والدخول على أولئك العباد ، وقد صنع مترتيسا من الخشب يسمى عجلا عند أولئك العرب يرد الرصاص عمن فيه فلا يضره ولا يؤذيه ، فلما ساقوه إلى مرقب البلد وكان فى ذلك المرقب عشرة من العدد تكلموا مع أهل المرقب ، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقة العجل وجدّ فى الدعاء واجتهد ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال : اللهم انصر من هو منا على حق ، فأمن على دعائه أولئك الخلق ، وصار أهل المرقب عند سماعه من المؤمنين فكانوا هم أهل الحق فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين وحاولوا فيهم نكاية فلم يحصلوا على غاية ، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولا فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ورد كل منهم خاسرا خائبا ذليلا وترك أكثرهم ذليلا ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة وعلى جميع أركانها جائلة ، وإلى تسور الأسوار مائلة ، يساقون بالسيف من أعقابهم فى مسيرهم وذهابهم فازدحموا عند السور والبروج ، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج بل قطعت عندها الخناجر وأعان الله تعالى من بها من محاصر ، وكان له عونا وناصر ، فطار عند ذلك الاقتحام وهول ذلك الازدحام كثير من الرؤس والهام من تلك الأقوام ، وانقلبوا بخيبة المقصود والمرام من ذلك البأس والإقدام ، فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام ، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسيم والعناية والقبول من الله الكريم كما قال سبحانه فى الذكر الحكيم (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان عن ذلك الموضع والمكان بأمر عظيم من الخزى والهوان ، ولما سارت تلك العشائر خرج حجيلان ومن معه مسارعا مبادر ففاجأ بريدة آل شماس وقتل من وجد بها من أولئك الناس ، فأوقع بها النقمة والباس وخرج غالب أهلها ثائرين مع تلك الجيوش السائرين وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام ، فهربوا مع أولئك الأقوام وشدوا فى الانهزام ثم بعد صدور تلك القضية وانصراف العساكر بالرزية ضاق وسيع الفجاج على من ساعد ذلك المنهاج وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج فلم يجدوا عن الدخول فى حوزة الإسلام بدا ولم يبصروا سواه

قصدا ، فأقبلوا على حجيلان يريدون الإسلام والإيمان وأعطاهم الأمان وأجابهم إلى ذلك الشان بعد ماشرط عليهم النكال فكل بذلك دان ، وأقبلوا إليه مسرعين وحدانا ومجتمعين ووفدوا بلدا بلدا ولم يبق إلا أهل عنيزة بعدا . وفيها غزا ركب لأهل بريدة فى أثر سعدون يطلبون الاختلاس من تلك البوادى ويريدون فوافقوا ظهرة مع النفيثى بأرض المستوى فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوى وقتلوا جميع الرجال وأخذوا مامعهم من الأموال ، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال كثير فأمر بأدائه عبد العزيز الجليل منه والحقير فأدى تاما من غير نقص ولا تغيير لأنها كانت أوقافا وأحباس ، فلم يرد أخذها لأولئك الناس وإن لم يكن فيه معرة ولا باس. وفيها ارتداد أهل الروضة لما كان من سعدون إليهم أوضة وأقبل إليهم بالعساكر والأجناد عجلوا بالردى والارتداد وخلعوا ذلك العهد فخابوا وخسروا ولم يفوزوا بقصد فلما ظهر منهم ذلك الحال والشان بادر أهل التوحيد والإيمان إلى قلعة البلد فشمر كل ساعده فيها واجتهد وتحصنوا فيها ، وأقبل سعدون وجموعه فطاف بها هو ربوعه وجد تلك الأجناد مع أهل البلاد فى محاصرة أولئك العباد ، وأقاموا على ذلك أيام حتى حاول فى قطع مائهم أولئك الأقوام ، فلما شعروا بذلك فزعوا وخافوا على أنفسهم وجزعوا فطلبوا لأنفسهم الأمان وخرجوا بعد الاستئمان ، واستولى سعدون وآل ماضى على البلاد ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة ، وكان فيها محمد بن غشيان وأناس من أهل النجدة الفرسان فحاولوا إليهم الوصول فلم يكن لهم إلى ذلك حصول ونالوا من أولئك الحماة ورصاص المجيدين الرماة ماأذهل منهم الألباب وردهم على الأعقاب فلم يكن لهم على الإقامة مصابرة ، ولا على تلك العصابة مكابرة ، فانصرفوا بالخيبة والحرمان وقدقتل منهم أشخاص غالبهم من الأعيان وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام بعد ما كان من سعدون القدوم والإقدام والأمور الهائلة العظام ، وكان إذ ذاك حسن بن مشارى رحمه الله فى جلاجل مقيم فصانهم الرحمن الرحيم عن تعاطى أسباب الجحيم . ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله ما صدر من أهل الروضة وجرى وعلم به يقينا ودرى أمر سعودا أن يتجهز والمسلمين حتى ينقذوا أولئك المحصورين فبادروا فى الأهبة والجهاز وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز فظهر سعود يريد التعجيل إليهم والانتهاز وحين وصل إلى ثادق نزل حتى يتلاحق الجموع والدول ثم يسير بتمام أهبة على عجل فيدرك

عند ذلك الأمل ، فلما بلغ سعدون ظهور العصابة المنصورة وأن ألوية العز عليهم خافقة منشورة ورايات الإمداد مرفوعة على رؤوسهم مشهورة ، حصل له الرعب والإرجاف فلم يكن له عند ذلك صبر ولا ائتلاف بل أخذته الذلة والارتعاش ولم يحصل لأهل البلد منه بعد ذلك انتعاش بل ولى مدبرا وانجاش . فلما ارتحل وشرع فى السير انتدب أهل الإيمان من قرى سدير مع مامعهم من الإمداد مثل حسن بن مشارى وابن غشيان وقومهما من الأمجاد، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد، فخرج إليهم أهل الشر والفساد وطال بينهم القتال فى ذلك المجال وقتل منهم عدة رجال منهم أميرهم عون بن ماضى ثم ولوا مدبرين وأقاموا بعد ذلك منحصرين ثم أقبل سعود بجيوش المسلمين فنزل على أولئك القوم المحصورين فأخذ جميع الحلل التى كانت فى النخل ومكث أهل البلد فى البلد حالهم متحصنين فى محالهم وفى قلعة البلد أناس من آل ماضى ورجاجيل لسعدون بن عريعر ، فطال عليهم الحصار وشرع سعود فى قطع النخل والأشجار، فلما تحققوا بهم نزول النقمة والباس من رب الناس وغلبهم القنوط والياس طلبوا من سعود الأمان واللحوق بأهل الإيمان ، فأجاب طلبتهم ولبى دعوتهم ونزلوا على حكمه وما اقتضاه منير فهمه ، فعاهدوه على الإسلام والتزموا بجميع الأحكام واعتذروا من سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام ، واشتروا منه جميع مافى البلد من الأموال بدراهم نقد ، وهاله فى الحال وأمر بجلاء آل ماضى ومن ساعدهم من الرجال فخرج عنها جميع أهل الشر والفساد وأمر عبد الله بن عمر على تلك البلاد وانصرف سعود راجعا .

ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار سعود بالمسلمين يريد أهل الخرج ذوى الفساد والهرج ، فلما وصل إلى قرية الحائر أخبر فى أثناء طريقه وهو سائر أن آل مرة هنالك فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك وسار بالجيش يريد فريقا من مطير يدعون الصهبة فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه وحث الجياد فى السير لئلا ينتذر فريق مطير وكانوا على المستجدة ، فبذل فى التعجيل جهده فلم يفجؤهم إلا غارة الخيل وكانوا فى سرعة اللقاء كالسيل وشدوا للارتحال فى الاظعان والهروب عن ذلك المكان وبقيت حماة الفرسان مشمرة للذبّ عنهم فى الطعان حتى أعياهم الأمر وعالهم وغشيهم من مرارة المران ماهالهم وكدر بالهم ، ثم مزق الله تعالى

رجالهم وشتت حالهم ، فأخذوا بذلك المكان عن قريب ولم يكن لهم فى السلامة نصيب ، وقتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة مثل خلف الفغم ودخيل الله بن جاسر ، وغنم المسلمون مامعهم من الأموال وانصرفوا فى أحسن حال . وفيها غلا الزاد جدا وبلغ فى الغلاء حدا وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا وكان سببا للفناء والبلا وطال ذلك على أهل نجد وسكانها ولم يروا مثله فى أزمانها وعم ذلك جميع بلدانها فسقموا من الجوع ، وليس إلا إلى الله الرجوع واستمر ذلك سنين وبقوا تلك المدة مستتين وقد حالت عليهم السنين والأحوال وشاهدوا أشد الأهوال ومات من ذلك كثير من النساء والرجال فضلا عن البهائم والأطفال فكان كثير إذا شرع فى الصلاة خر وسقط حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط ووسوس فى عقله واختلط ، فالتجئوا إلى مولاهم فى كشف ما أهم ودفع ما نزل بهم ودهم ، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا وهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه وينجح أمله ورجاه ، فأنزل الله تعالى فى قلب عبدالعزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة ، فأمر جميع البلدان فى تلك السنين والأزمان أن أهل كل بلد ومكان يحصون ماعندهم من المساكين والضعاف ويقيتونهم من الطعام مابه قوام وكفاف ، فامتثلوا أمره وقوله وانتهجوا عمله وفعله وقام حرسه الله فى الناس حين حلول البأس أعظم قيام فأفاض من الإنعام على أولئك الأنام خصوصا أهل الحاجة والأرامل والأيتام وشمر بالإحسان منتدبا وجد فى المعروف والبر محتسبا وكان لأجره من الله مرتقبا ، ولم يزل على تلك الحالة مستمرا حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرا ، فنال بذلك ثوابا وأجرا وحاز مجدا وفخرا . وفيها مقتل زيد بن زامل . وذلك أنه أغار على أهل سبيع وهم إذ ذاك على الرياض فأخذ عليهم إبلا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض . ففزع على أثره سليمان بن عفيصان وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان فجد السير فى طلبه وحث المطى فى عقبه فأدرك ابن زامل مع قومه وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحنية من نجد فشن عليهم الغارة فنال بذلك أعظم قصد ، وقتل زيد بن زامل وانهزم جميع من معه من القبائل وأخذ بعضا من ركابهم وفك الإبل وولوا على أعقابهم ، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان . وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على سرور والى مكة المشرفة خيلا وركابا وكرمه بذلك وشرفه وقصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذى هو أجل

الحطام الرخصة لأهل الدين والاسـلام فى أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذى منعوه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين ، فجاء الأمر منه فى ذلك بالرخصة ، فشمر المسلمون وانهزوا الفرصة فحجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام .

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعدالمائة والألف . وفيها عدا براك بن زامل وأهل اليمامة على منفوحة فسبق النذير أمامه ، فلم يردوا أهل البلد حتى تأهب كل منهم واستعد فحين أغاروا عليهم بادروا فى الخروج إليهم فاعتنقوهم سراعا وأرهقوهم بأسا ووقاعا وجالدوهم فجلدوهم وفرقوا جمعهم وبددوهم وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين ، فأتى سعود بذلك الخبر فجرد عزمه لطلابهم وظهر وجد فى أثرهم فلم يدركهم فرجع وصدر . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الحسا فأعمل فى ذلك العيس وجد فى السير والسرى فلم ينخ ما سوى المكتوبة والتغليس حتى هجم من ذلك الوطن وقرى تلك السكن على قرية يقال لها العيون فألفاهم وقد استولى الكرى على العيون ، فدبر أحواله وشئونه وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونه فلما أن نسخ حالك الديجور شعاع الضياء والنور وفرغ فى صبحته من دعائه وسبحته نهض إلى ماهيأه وأراد ووطىء ماخرج عن الحصن من مساكن تلك العباد وأخذ جميع ما فى تلك الدور والبيوت من الحيوانات والأمتعة والقوت ، وبقى ابن مهنا وجماعته فى الحصن متحصنين وناوشهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم مجتهدين . فلم يدركوا منهم مراما ولم يطيلوا عندهم مقاما ، وانصرف المسلمون عنهم ورجعوا منهم ، وقدقتل ناصر بن عبدالله وعبدالعزيز ديان . ولما أقبل سعود بلغه الله تعالى المقصود من الاحسا راجعا ولأمله طامعا اقتضى رأيه السديد وفكره المصيب الرشيد أن يعبر على اليمامة فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه وساقهم القضاء والتقدير ونفوذ حكم الإرادة والتدبير لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه وأن يحل بأعداء هذا الدين بأسه وانتقامه ويسقى كلا من أهل الشر كأسه وسهامه وحمامه ، فاشتاقت نفوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج ومطالعة أزهار الرياض فى تلك الفجاج ، فلم يستقروا فى تلك الرياض حتى وردوا من المنايا الحياض ، فدهمتهم الفرسان من أهل الدين والإيمان فى ذلك الموضع والمكان فراموا عند ذلك الشجاعة ومد كل

إليها باعه وحسبوا أن لهم بها استطاعة ، فلم يكن لهم ذلك ولم يقدر ودنا لهم أجلهم المحتم المقدر ، فجالت عليهم الخيول وهب على المسلمين الصبا والقبول ، فشمروا عند ذلك للهزيمة الذيول وولوا على أعقابهم مدبرين وقصدوا بلادهم متمزقين وقد قتل المسلمون منهم نحو الثمانين على التحقيق لا التخمين. وفيها غزا سعود رحمه الله تعالى بالمسلمين وقصد عنيزة من بلدان القصيم وحث السير فى ذلك مشمرا لا ينيخ إلا فى الضرورة ولا يقيم ، فلما وطىء فى جنح الدجى من تلك البلد أرضها وقضى من صلاة الصبح سنتها وفرضها أغارت على طارفة البلد فرسانه وطافت بفنائها شجعانه ، فخرج إليها من أهلها كل ذى بأس شديد واستمروا مع المسلمين فى تصدير وتوريد وبذلوا من الشجاعة ماليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم فى ذلك المجال بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره ، وجرى بينهم مع سعود كلام فى الصلح فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم وارتحل منهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود فأخذ إبلا معاويد لأهل الحريق كانت مودعة عند سبيع . فأخذها من ذلك الفريق. وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب وكانت فرقان اليمن له المطلوب ، فألح السير إليهم حتى قدم عليهم فألفاهم فى أرض الرويضة يرعون وألفى رئيسهم فى قصر الرويضة فأخذه وقتله وقرب الله له أجله ، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب وغشيهم من عظم العذاب أعظم سحاب . فلم يكن لهم على المقابلة قدرة ولم يكن لهم فى الرجاء حيلة ولا فكرة ، فولوا مدبرين على الأعقاب وشمروا فى الهزيمة والانقلاب ولكن الله تعالى قضى أمرا وقدر ، واختاره ودبر . وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق وراموا أخذهم على التحقيق أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس من الخيول ، فرجع عنهم حينئذ المسلمون لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون وفك الله أولئك الأقوام بعد ذلك الانهزام ، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعد ما ألفوهم مدبرين وكانوا معهم داخلين ولكنهم تابعين فكانوا على تلك القضية نادمين . وفيها قتل براك بن زيد آل زامل بنو عمه زويمل ومعهم عبد الله بن محمد بن راشد وظنوا أنهم يدركون حكم الدلم والرياسة ، فسدت عليهم تلك المقاصد ولم ينل كل منهم ماهو قاصد وطردوهم أهل البلاد وكانوا ذوى بغى وفساد فقصدوا الدرعية وطلبوا خطة

الدين السوية ولم يكن يردّ عن دخولها أحد من البرية، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى الحساء مرتدين. وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له المقصود فشمر مع المسلمين يريد الخرج فذكر له وهو فى أثناء ذلك النهج أن هنا ظهرة كبيرة وأمما من أهل الخرج والفرع كثيرة ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال مالا يخطر على البال، فأقام سعود ومن معه على الثلما يرصد تلك الخلق المجتمعة حتى أقبلوا يريدون الماء وكانوا إذ ذاك على ظمأ، فشن الغارة عليهم المسلمون فأخذوا السابقين الذين هم للماء مسرعون وقتلوهم قتلة رجل واحد ثم أناخت الظهيرة ورام كل منهم أن يجالد فاستمروا معهم ساعة فى جلاد ووقع المصابرة والاجتهاد حتى تبين لهم أنهم لايظفرون من السلامة بمراد، فعندها طلبوا من سعود السلامة على الرقاب فأعطاهم ذلك وأجاب، ومنح الله تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتمكين، وغنموا تلك الأموال وفازوا بالأجر والإقبال، وقتل فى ذلك المجال نحو سبعين من الرجال منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزانى وسنان بن شاهين وغيرهم مشاهير، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال. وفيها قدم ربيع وبدن ابنا زيد وهما رئيسا المخاريم وجماعة من قومهما على الشيخ وعبد العزيز راغبين فى الإسلام طالبين منهج الأمن والاستسلام، فعاهدوا على ذلك الطريق وكان لهم فى القيام بذلك هداية وتوفيق، فقد هدى الله تعالى بهم أناسا من أهل الشرك وفريق، وصاروا ردما فى الوادى لايروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطيق. وفيها غزا سعود بالمسلمين متعهم الله تعالى بنصره سنين، فجد السير يريد الدلم من الخرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج، فناداه منادى الإقبال بلسان الحال وهو ينص فى تيك البيد الفساح: سر فليس عليك جناح، وقد قدر لك الخير والصلاح، وأعد لك الربح والأرباح وتقدمك النصر والفلاح وهيء لك فى فتح البلد مفتاح، فاطو القفار فى الدجى فعندك من حسن الرجا ضياء ومصباح فسار لذلك وشمر وحث الجياد الضمر فلم يطل لركابه إراحة الجران ولم يلق لخيله رسن ولا عنان حتى استقر فى تلك البلدان ورأت بالعيان ملتف تلك الجنان، فحينئذ ذاق طعم الكرى المقل والأجفان بعد تعبئته الكماة والشجعان وتدبير جميع ما له من شان، فلم يضمحل سواد الظلام وينتشر سرعان الأنام إلا وفرسانه عادية مغيرة وسنابكها للعثير مثيرة فكانت لمن صافقته صردية مبيرة غير مؤمنة ولا مجيرة فعند ذلك علت فى البلاد ضجة العباد وغشيتهم

أصوات الفزع والارتياء والحزن والالتياع ، فأقبل جميع من فى البلد من المقاتلة والأفزاع وراموا عن خلل النخل مجالدة ودفاع ، فلم يجدوا إليه من سبيل ولم يلفوا لهم به كفيل ، فرجع كل منهم خاسئا ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل ، واستولى سعود على جميع النخل وحللها فنالت نفوسهم سؤلها وأملها ، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين فى القلعة من المخافة وسحائب الذلة عليهم مظلة ونوائب الجلاء بهم مطلة وشجعانهم من الرعب مستذلة وأقدامهم إلى الهروب مستقلة لايجدون ساعة من الراحة ، وحزب الدين مشمر فى الحرب صباحه ورواحه وقد أظهروا للتجلد علامه وظنوا أنه يخفف مقامه وحسبوا أنه يكون وسيلة السآمة والتضجر ولايزالون يعللون النفوس بالمحال منه والمأيوس تعلل المسجون بالآمال والمحبوس حتى انقطع منهم الأمل والرجا وعراهم الخطب ونجا وشاهدوا منه مدلهمّ الدجى وناء عليهم بكلكله وسجا ، وذلك أن سعودا لما رأى ما هم به من الحصار وأنهم لايطول لهم مكث ولاقرار اقتضى رأيه وفكرته واستجمع نظره ومشورته أن يبنى قصرا للمسلمين بين النخل وتلك الحلل ويجيد بناءه عن الخلل حتى ينقطع من أهل القرية الأمل وينزلوا إلينا على عجل ، فلما فرغ بناوه وتمّ ونوى سعود المسير ويترك أناسا فيه وعزم ، خرج جميع من فى القلعة اليه وعزموا على البيعة بين يديه ، فحملوا حملة رجل واحد وتقدم كل من هو فى الحرب يجالد ومن هو على الثبات والصبر يساعد ، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر وبأس مجدّ غير فاتر حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر وكان لأهل الدين معينا وناصر ، ولأولئك الفجار مذلا وكاسر فرجع كل منهم على عقبه خائبا خاسر ، وتمنى أنه لم يكن للقتال بارزا ظاهر ، وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركى بن زيد ورجال غير شهيرة يزيدون على العشرين وأقاموا فى القلعة محتصرين وهموا بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل فقال اثبتوا مكانكم والزموا أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان ، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولاحكام العهد رابطة فأخذ لهم من الأمان عقدا وتمم لهم عهدا واشتروا منه مافى تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بمحصور واستقرت بينهم الأثمان فانتقدوها بذلك المكان ودخلوا فى حصن الأمن والأمان وفى دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان وكانت كافة نخلها فى بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد فى الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك

بالسباب لهذا الدين معروفا وبالبغض له مشهورا موصوفا. وفيها تبين ذلك الحال واشتهر وشاع بين الناس وانتشر ، ورجفت قلوب أهل الجنوب وحل من البأس والكروب وغياهب الخطوب مالم يدع لهم قلبا ولم يثبت لهم لبا ، فكل منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولبى فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل اليمامة والسلمية وكافة الخرج على سعود فأحكموا للإسلام العهود واشترط عليهم فى النكال ماشاء من النقود ، فكان جميع ذلك لديه محضرا منقود ، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة مكثرا لحمد مولاه وشكره سبحانه وقصد أهله ومكانه ، ثم بعد انقضاء هذه الأمور وصدور ماهو مزبور وفدوا راغبين فى الإسلام أهل الإفلاج فأتوا الشيخ وعبد العزيز طلبا لسلوك ذلك المنهاج فعاهدوا على الإسلام والتزام جميع الأحكام فحسن منهم ذلك القيام .

ثم دخلت السنة التى هى للمائة ختام وبها يكون الثانى عشر للقرون تمام ، ويتم بها العقد والانتظام . وفيها دبت بين بنى خالد الفتن واستحكمت فى قلوبهم الشحناء والإحن وسعوا فى أسباب الحوادث والمحن، وجدوا فى أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة فأضاعوا شجنة الأرحام وقام فيها ذوو الأحلام فأراقوا بينهم الدما وسلبوا البيض الدما ، وغدا بعضهم للبعض سالبا ولهلاكه مريدا وطالبا ، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج والخلق تجأر إلى الله وتضج وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الوبال ولسان حال القضاء ينادى على أولئك الضلال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وفيها جرت وقعة جضعة بين بنى خالد ، وسميت بذلك لأن المهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والمنتفق ورئيسهم ثوينى فأخذوا من يليهم من العربان فوقعت بينهم النهبة وبدا كل منهم فى الآخر الرغبة فثار سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين وترأس عبد المحسن ودويحس فى بنى خالد والحسا ، فصار ذلك لعز الإسلام ولا علاء كلمة الحكيم العلام أعظم مقدمة وطليعة ولا ستيطان التوحيد فيها ذريعة فلم تكن بعد ذلك قوة تلك الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة وبشارة بالفتح معجلة ونصرة للدين لوقتها مؤجلة ، فأقبل سعدون وقومه وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان فنهاه عن المجىء إلى البلد حتى يقف على ماعند ثوينى من الخبر باستيقان ويتحقق حقيقة الأمر والشان لأن بينه وبين ثوينى قبل ذلك مهادنة ومصاحبة فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة

فلم يبال سعدون لما ناله من الذلة والهون بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك الاقبال منه فتلقاه بعد ذلك عبد العزيز فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدومه وسرعة دخوله البلد وهجومه وكان لصلاته الجمعة خارجا وألسنة التكبير لها ناهجا ، فالتقى مع سعدون عند باب القصر فرجع معه إليه وأمر بتعجيل النزول عليه وهيء له ما أراد ثم رجع إلى طاعة رب العباد وقد حصل له من الكرب ما ناء بالفؤاد وحصل له غاية المساءة والأنكاد حين رأى قدوم أولئك العباد ولكنه لما أتم الصلاة وحصل له إن شاء الله من ربه الصلات أسر بذلك الخبر وأعلن للشيخ الذى هو للتوحيد أسن وأتقن ،وشرح له الحال وبين له أن ذلك كدر عليه البال فجلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام وتلا عليه ماجلا الرين عن الأوهام من الآيات المحكمات العظام كما يفهمه كل ذى قلب سليم (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) فلم يفرغ من قراءتها بالاكمال حتى سرّى عن عبد العزيز ذلك الحال وانجلى عن قلبه الكدر حين تبين له المعنى وظهر ، فلما بلغ ذلك ثوينى تعاظم وتجبر وصعر خده وتكبر ،وأرسل إليه عبد العزيز بألطف كلام يستعطفه فى قبول ذلك الأنام ويبين له أنى لم أنقض للهدنة عهدا ولم أفتل لحبلها عقدا ، ولكن لاأجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدا وأنا لك بما تريد منهم كفيل فلا تخش منهم أحدا لاعزيزا ولا ذليل فلم يجنح إلى ذلك الكلام وأنف من الاستعجاب والاستعظام وجدّ فى الحرب وشمر وأجمع رأيه عليه ودبر فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشان وشرع فى إحكام الأسباب والآلات وتهيئته عددها المحكمات ،وبارز فى ذلك رب البريات ، ونال من ذلك أعظم الرزيات وأقبح الخزى والعقوبات . وفيها غزا سعود نال من مطلوبه كل مقصود فسار بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير مجتمعين ، فحث السير ليلا ونهارا لأجل تعجيل المطلوب وإنجاز المراد له والمرغوب وقصده أسلاف قحطان وكانوا مقيمين بأرض الجنوب فأعنق التسيار إليهم ونص اليعملات عليهم حتى طوى بأيديهم صحف الفيافى والقفار ولم يجد دونها تلافيا ولا اصطبار وسهل له سهلها وحزنها ، وحاط بأولئك همها وحزنها وعجل إليهم الإنذار بما قد كان وصار فأخذوا فى تعداد وأهبة وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة ففرحوا بذلك وطربوا وودوا قدومهم وطلبوا وقالوا لظى الخطوب ونار الوغى والحروب لنا معشر أهل الجنوب ، والهيجاء هى المراد والمنى ونحن لها وهى لنا . أيظن

سعود أننا مثل من لقى من الجنود ومن مارس من البوادى القرود ؟ نحن الشم العرانين الكماة وذوو البأس والنجدة فى الوطيس والحماة وسيعلم ذلك ويعاين ويدرى حينئذ على من هو كائن ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود ونقض كل منهم مذرويه وكان شؤم ذلك القول راجعا عليه فلما صبحتهم تلك الجنود والأجناد أظهروا من البأس ما يذهل الفؤاد وتدرعوا مدارع النجدة فى الجلاد فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة حداد، وأجساما صلابا صلاد، وقلوبا قوية شداد، فخص الله تعالى المسلمين باللطف والامداد وأعاد عليهم عادته فى أهل الفساد فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد وأنفذ فى أعدائه الوعيد فشردوا أعظم تشريد وبددوا أقبح التبديد وصاروا بين طعين وشريد ومقطوع منه الوريد ومزقوا كل ممزق وأجرى عليهم عادته وحقق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وانهزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام على جميع الأمتعة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومعه من عنزة فرقان فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ حضر وبدوان فأم لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه ، فتلقاهم بغارة مزعجة مرهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحينا ثم انكشفوا بعد ذلك انكشافا رهينا وكان كل منهم للذلة موثقا رهينا فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عددا من الرجال .

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف ، وفيها غزا سعود بالمسلمين فنزل أرض ملهم وأقام ينتظر إجماع المسلمين فاتاه رؤساء الروسة من اليمامة وأخبروه أن آل بجادى يريدون الارتداد وقد دبروا إحكامه وأجادوا على أهل التوحيد إبرامه، فشمر من ذلك الحين لإنقاذ المسلمين وحقن دماء الموحدين فوصلها ليلا وأدرك من التمكن منها نيلا فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه فجالوا نظرهم فيه فنظر كل منهم أن ذلك لا يفكه ولا ينجيه فرموا جميعا بأنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء لكى يوافق بالمقصود فأنالهم شطر البغية وأدركوا بعض المنية وألزم عليهم الشيخ وعبد العزيز فى البداية وأجلا عنهم أهل الفساد والإذاية ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا

لسعود الامتثال وشرعوا في المسير إلى عبد العزيز والارتحال ، فلما توسطوا في قلب الفلاة كان في قلوبهم أعظم هناة ، ولووا إلى الحساء الأعناق وجدوا في الوخد إليها والإعناق وصمموا البعد عن اليمامة والفراق،فأمر عبدالعزيز بهدم محلتهم التي تسمى البنة وقد كانت باللهو مرنة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم وأمر سعود عبد الله الرويس في البلاد وبنى حصنا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد وأمر في الحصن محمدبن غشيان وأقام فيهمدة من الزمان.وفيها جر ثويني تلك الجرائر وقاد على المسلمين تلك الجموع والعساكر وتجاوز في ذلك المسير طوق البشر في التدبير ورام أن يغالب الحكيم الخبير المدبر القدير فتطاول في خروجه وعطى وبغى فيه وتخطى ودبر من الكيد والأسباب والشئون مالايقدر على مثله ولا يكون بل يعجز عن تحصيله الآخرون وجزم أهل المعرفة بزعمهم ومن يدعى العلم بفهمهم أن جيوشه لأهل الدين يغلبون وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون (وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون) فسار بتلك الجحافل الجمة الغزار والجيوش التي لايحصى عدتها إلا عالم الأسرار ولا يحيط بها إلا الجبار حافة بتلك المدافع والقنابل الكبار التي لا يقوم عندها حصن ولا جدار ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار ، فلم يزل يجدّ إلى نجد السير والمسير ويستدعى في ذلك أصحاب الرأى والتدبير من كل رئيس بالحرب خبير وجليس سيء البطانة شرير يحلل له دماء أهل التوحيد ويحثه على ذلك ويشير ويدعى مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير ولم يدر أنه قاصر الباع قليل الاطلاع طافح الغور غير غزير وأنه لايملك من ملك الله فتيلا ولا قطمير وأن الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين وفتح البلاد لهم والتمكين(وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) فلم ينثن لهم صارم عزم ولا همة بل جد في ذلك الشأن وهمه حتى أنزل في أرض التنومة جميع تلك الأمة وأحاطت بهم تلك المهمة وغطتهم تلك الخطوب المدلهمة وحلت بهم الكربة والشدة والغمة ، والتجئوا إلى المفزع عندالشدائد وطلبوا حسن تلك العوائد والتحفوا القمص والأكفان وقال كل منهم الموت على الشهادة والإيمان وسنة من لنا من السلف والإخوان ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الذلة والإذعان ونبين عند الله والمؤمنين أننا غير صبر في الطعان ولا عند حلول الرزايا والامتحان ونعوذ بالله من عاقبة الشرك والافتتان وتسويل مكايد الشيطان والاستسقاء من حوض الردى والذل والهوان

فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان وما فيها من الحور والولدان . ولما ثوى فى ذلك المكان والمحل واستقرّ به ونوى الإقامة ونزل شرع فى مجال القتال وأحدقت بهم تلك الفرسان والأبطال وأضرمت عليهم المدافع شرر النار ولم يكن فى قلوبهم منها انذعار لما أفرغ الله تعالى عليهم من النصر والاصطبار وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبت أجلّ قرار وحث أهل المدافع والرماة وندب الشجعان والكماة وحرض ذوى النجدة والحماة وجلب عليهم بخيله ورجله ورام هدم التوحيد بأمله ، فأبطل الله تعالى كيده ومكره وأظهر فيه وفى جنوده بأسه وقهره ، فحاق به سوء عمله فشرب حياض المر والهم بالأسف عللا بعد نهله ورأى عقوبة ذلك عاجلا قبل موافاة أجله واستمرت تلك الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسا ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسا وبقوا أياما فى ذلك المقام كل يوم تحيط بهم خطوب الحمام ويتجرعون مرارة السام ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام عن معاطاة أسباب الآثام وآثروا دار السلام وما عند الملك العلام على هذه الدار الفانية واشتاقوا إلى دار قطوفها دانية ؛ فلما أيس ثوينى من مصادمتهم وتعب من مزاحمتهم واكترب من مقامه هناك واضطرب لبه فقيل (ذلك بما قدمت يداك) مد أسباب الغدر ونسج رداء الخيانة والمكر فأرسل إليهم بالأمان وزين لهم الاستئمان والنزول عن ذلك المكان والخروج إلى سائر الأوطان وحاولهم فى ذلك واجتهد وكان الواسطة بينهم عثمان حمد وكان هو من أولئك الجماعة فظنوا أنه لا يروم بهم مكرا ولا خداعة وإن كان نفسه إلى الشر نزاعة فرضوا بذلك وراضوا بعد ما تحدثوا فيه وفاضوا ؛ ولما استقر ذلك الأمان بينهم دخلوا عليهم القلعة سريعا فعجلوا المسلمين حينهم وقتلوا غالب من وجد ولم ينج إلا من هرب وفقد ونهبت تلك القرية ونال ثوينى من ذلك خزيه وعجل الله تعالى له فى الدنيا العقوبة ولقى من قبيح صنعه وزره وحوبه ، ثم لما بدت منه هذه الخيانة وبدرت وظهرت منه وصدرت ظعن من ذلك الوطن ونزل على بريدة واستكن وناوش أهلها الحرب من بعيد وهم أن ينزل بهم بأسه الشديد ويمكر بهم ويكيد ، فأخذه الله (إن أخذه أليم شديد) فأرجف قلبه وفؤاده وأظهر له من الرعب ما حمله أن يؤم منهزما بلاده وشتت شمله وجمعه وأجناده وأضاع هدرا عليه من المال طريفه وتلاده فولى خاسئا مهزوما مشتتا مبعدا مرجوما ؛ ولما عزم على المسير خرج

من أهل بريدة لنفوذ التقدير نحو سبعة رجال وراموا أن يوقعوا فى آخر الجيش نكال ، فعجلت إليهم من تلك الخيول فرسان فاقتطعوهم قبل وصول الجدران ، وجد السير يريد البصرة وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة وأراه شؤم تلك الأفعال وجعل عاقبته تشتيت الحال ، فحين وصل البصرة وقدم إليها رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها ، وساعده على ذلك المتسلم وكان لأمره مطيعا مسلم وفى خدمته متقدم ورممت باسمه الخطب وأبدى من التجبر العجب فحذر عليه الباشة سليمان فى ذلك الزمان والتقوا عند سفوان مع تلك البدوان فانهزم ثوينى وثار وهدم الله عزه وبار وفل الله من له من أنصار وعمد إلى الكويت وسار وأقام فيها ذليلا يقاسى الهم زمانا طويلا ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام فعاهد على الوفاء بالذمام ثم نكث ذلك الإبرام؛ ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى وصول ثوينى إلى نجد جد فى التأهب والاستعداد وجمعه من الغزاة كل نجد فجهز سعود عليهم أميرا حتى يكون لأهل البلد ظهرا وظهيرا؛ فلما انهزم ثوينى وانصرف وقصد بلاده وانحرف جد سعود فى أثره بالمسلمين وكانت تلك الجيوش منهزمين فلم يبرح حرسه الله تعالى يجهد فى السير الركاب ويجد فى ذلك الطلاب حتى أدرك أسلافا من شمر ، فشن الغارة عليهم وشمر ورئيس ذلك الفرقان وكبير تلك العربان ابن جدى فكان إليه مهتدى فلما غطاهم من الغارة الغبار ركب الفرسان الجياد والمهار وأقبلوا لتلقى الأبطال كأنهم فى قرن وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن وبذلوا فى ذلك مجهودهم ولكن الله لم ينلهم مقصودهم فغلبتهم كلمة الحق ، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق انهزموا وفروا وما ثبتوا ولا قروا ، فقتل المسلمون منهم رجالا كثيرة العدد وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ورجعوا بأحسن الآمال . وفى أثناء خروج سعود فى ذلك الطلاب ظهر عبد المحسن ودويحس وبنو خالد أهل الحسا يظنون أن ثوينى لهم فى انتظار وارتقاب وأن بلدان نجد قد عمها من ثوينى الخراب وأنه مقيم هناك مع الأحزاب لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب ونقله إليهم عدول ليسوا بكذاب أن ثوينى ألزم على أهل الزبير أن لايخرج أحد إلا بامرأته وعياله فى ذلك السير فامتثلوا أمره فى الحال وأظهروا مامعهم من الأموال للتجارة والابتياع ولم يجل فى خلدهم أنهم إليها يعجلون الارتجاع لما يداخلهم من الذعر والرعب والارتياع بل زعموا

أنهم يقيمون أزمانا عديدة فى تلك البقاع ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفا قاع ، فلما ظهرت بعد ذلك بنو خالد وكل على ذلك معين مساعد ، فلم يرع بنى خالد وأهل الحسا وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهنا يؤمون نجدا ويؤملون بها إقامة وسكنا إلا الخبر اليقين والعلم المحقق المستبين أن سعودا قد جد فى السير والتسيار وأن ثوينى قضى عليه العزيز القهار بالذل والانكسار وكتب عليه الهوان والذلة والعار والخزى والدمار . فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار ، واضطربوا غاية الاضطراب وشمروا منهزمين فى الانقلاب، وأرسل الله عليهم رجزا من العذاب، فكان لا يلوى منهم أحد على أحد والكل قد طار عقله وارتعد وارتدى بأردية الموت واستعد وقطعوا الدهنا فى ذلك الصيف والصمان والكل منهم صاد ظمآن ، فمات كثير من أهل الحسا ونالوا مؤلم الهم والأسى وتفرقوا فى ذلك أيادى سبا وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبا . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل ، فاستقر بذلك المكان وأقام فيه مدة أيام وليال ، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول فى الإسلام فى إقبال فقدم عليه فى ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن ، وعاهدوا على الإسلام ورغبوا فى الدخول والاستسلام ، ومن أعرض عن ذلك وصد ، تصدى حجيلان لحربه وقصد ، وتأهب له واستعد وأقبل عليه بالحروب والحرابة حتى يدين للاسلام ويفتح بابه ، وأخذ أموال من امتنع فى ذلك الوقت والحال حتى طاعوا للتوحيد بالاجمال ، فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرحال حتى تلقى جميعهم الاسلام بأحسن استقبال . وفيها وفد هادى بن غانم المعروف بأمه قرملة على عبد العزيز أناله الله تعالى فى الدارين ما أمله ، وكان هادى إذ ذاك فى الاسلام راغبا وللدخول فى الايمان والتوحيد طالبا ، قد انشرح له صدره وتبين فيه حاله وأمره ، وبرق له من الدين بارق ولمع منه له ضوء شارق قبل أن يعرف الحقائق ويسلك فى أبيض الطرائق ، فجاء مرغما لكل عدو منافق ومشرك ضال زاهق وهجر من كان محبا له مرافق ومن كان على الباطل مصادق . ولم يكن ذلك الوقت والحين فى رياسة قحطان من المعدودين ولا من كبارهم المشهورين ولكنه ترأس بالدين وصار له الاقبال من إمام المسلمين لما صدق وتبين على المشركين ونصح فى جهاد المبطلين فصار له تمكن عند المسلمين ، فعاهد حين قدم على الاسلام ولقد وفى العهد والذمام وقام بوظائفه أحسن القيام وبدا له فيه طالع

حسن وجاهد فيه من عبد الوثن ، وأخلص لله فى السر والعلن ، وتنصل عن الضلال الذى ترعرع فيه ونشا والشرك الذى ملأ جميع الحشا (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) .

ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف . وفيها تظاهر كثير من أهل الوادى بالاسلام ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام ، وسبب ذلك الاعلان والاشتهار وتبين تلك الدعوة والانتشار أن ربيعا وأخاه بدن ابنى زيد رئيسى المخاريم فى الشرف والأيد لما وفدا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز وعاهدوا على الاسلام ودخلوا فى حصنه الحريز والتزموا الوفاء بجميع الأحكام والقيام بذلك أتم القيام ، وكان وفودهم قبل ذلك العام ، فنفع الله تعالى به منهم خاصا وعاما ، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدا وهادى ، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادى أصبح كثير من أهل الضلال بل أغلبهم له مبغضا ومعادى ، ولرد قوله ومعارضته بالباطل ممار مبادى ، وأطلقوا عليه أعنة الألسنة وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة المزمنة والطرائق الخبيثة الضالة المنتنة ، فعند ذلك الحال والأمر بنى ربيع له ولأهل الدين قصرا وشرع فى تهيئة بنائه حتى أتمه وبناه ، فلما فرغ من القصر والبنا جهر بالدعوة مجداً معلنا ، وبادر بإزالة ما فى ذلك الوطن من صنم ووثن ، فأشعل فى شجرة نارا وكانت معبدا لأولئك الأشرار يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار ، فلم يرعهم إلا دخان تلك الشجرة وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرقوا وتجمعوا على الباطل بعدما تشتتوا وتفرقوا وانتدبوا إلى عداوة من يتدين بالدين ونهضوا ثانى يوم على ربيع فى قصره مجتمعين وساروا يريدونه ، وهموا بأنهم يذلونه ويردونه وينزلونه من قصره ويهدمونه ويجرعونه الحمام ويسقونه ، فحصروهم فى القصر ثلاثة أيام فصبر على ذلك أهل الاسلام وقطعوا مالهم من نخل وبدا منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلا ولم يدرك أهل الضلال منهم أملا ، فلما أيس أهل الباطل إليهم من الوصول وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول ، وأن المسلمين أكثروا فيهم الجراح ولم يكن على أهل الدين من جناح وتحققوا أن ليس فى مقامهم لهم صلاح وعزموا على المسير عنهم والرواح ، أخذوا حمارا مذبوحا وجعلوه فى ماء أهل القصر مطروحا ، وكان ماؤهم خارج القصر من قريب إلى حد ما يجيد الرامى به ويصيب ، فأنتن بعد ذلك عليهم الما ووجدوا لفقده

ألما وقاسوا منه شدة وظما ، فبادروا إلى الحفير فأظهر الله ماء عين غزير فشربوا منه وارتووا وتيقنوا النصر من ربهم وارتجوا وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فنالوا بذلك الأجر والفوز وحووا ، ولكنهم دفعوا بالتي هي أحسن فأعطوا فرسا من تظاهر بالشر وأعلن ، فقبلوها منهم وانصرفوا ورحلوا عنهم وانكفوا ، فأرسل ربيع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكيد ويعلمه بما صدر وجرى إذ لم يكن به درى ، فأمده بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحا وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادى بأن يساعد ربيع ويقوم معه على أهل الوادى ، فحين أتاه الرسول والمكتوب بادر إلى ذلك المطلوب وسار حتى نزل ذلك القصر وشد الله تعالى به لربيع الأزر ، فحاول جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على ربيع ، وكانت لذلك طالبة وفى إخراجه من قصره راغبة ، فنهاهم ربيع وحذرهم وخوفهم وأنذرهم فلم ينتهوا عن المراد وشمروا فى طرق الفساد ونصبوا راية الحرابة وشمر كل منهم فى البناء ثيابه ، فحين شرعوا فى البنا زادهم الله وهنا ، وقتل المسلمون ذلك البنا ، فحين قتل منهم بناؤهم ولم يدركوا من البناء مناهم بعد ما غرهم الشيطان ومناهم ، ألب عليهم جميع أهل الوادى وتغلبوا وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا وجمعوا لهم كثيرا من الآلات ، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات وكانت صناديق من خشب مطبقة لم يدرك من بها ولم يصب ، وفيها من ذوى البأس رجال وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال ، وتسير محمولة على دراريج يسمونها العجل أهل ذلك المحل ، يرومون إذا قربوا من السور من هدمه بلا محذور ، وكان من به الناس متحصنين بدروع الباس ، وفى كل صندوق ثلاثون من الأبطال ، فساروا يريدون السور من غير إمهال ، فلما قارب الجدار لم يكن لهم إليه تسيار ولا وصول ولا اقتدار ، بل وقفت الزحافتان دونه بعد انكسار إحداهما وانكشاف الأخرى فتبين من فيها ؛ فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة ولم يكن فيهم ولله الحمد منعة . وزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع فرجعوا بالحرمان والخذلان ولم يفدهم ذلك الكيد والشان ، وأخذ أهل الاسلام منهم سلاحا ودروع ، ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع ولا جبانا ولا جزوع ، ثم بعد مضى ليال وأيام أراد الملك العلام على بعض البروج الانقضاض فصار لأهل الباطل على أهل الاسلام ركضة وانتهاض ، فبادروا فى الحال بلا أناة ولا إمهال

وساروا على أهل القصر وراموا بهم وقوع أمر ، فحمى الله سبحانه وتعالى المسلمين وقتلوا ثلاثة من المشركين ورجعوا ولله الحمد مجروحين مقروحين ، ثم بعد ما انقضى زمان وأمد تجمع كل من أهل الباطل ونهد وحزب كل منهم وقصد على أولئك الأقوام وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام ، فوقع عند السور القتال والازدحام وحمى الحرب وحان الحمام وحقن الله دماء ذوى الإسلام ، وقتل من ذوى الشرك والضلال فى ذلك الوقت والحال أربعة من شجعان الرجال ، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج ، فأخذوا منهم الأمان بشرط ما أخذوا منهم من السلاح فى ذلك الزمان والخروج عن ذلك المكان ، فنزل المسلمون منه وخرجوا بعد ذلك عنه ، وقصدوا مبارك بن هادى فكان بإكرامهم مبادى ، ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبد العزيز الإمام فأكرمهم — جزاه الله سبحانه وتعالى خيرا — غاية الإكرام ، وأمدهم جميعا بكثير من الطعام ووفدهم منه بجزيل من الحطام فرجعوا من عنده بأعظم المقام وكان لهم فى الدين أوفر قيام فبنوا لهم قصرا وشاع لهم بذلك ذكر ، وكان مقابلا لاقرية تمرة ، فنفذ الله سبحانه وتعالى بسببه فى الوادى أمره ، فأقاموا فى ذلك القصر مدة شهور وللدين منهم انتشار وظهور وغارات أبدا لاتفارق ولاتبارح بل تفاجىء وتغادى وتراوح جميع تلك القرى والقصور ، فلم يكن لأهل ذاك القصر عن جهاد من حولهم تقصير ولاقصور ، ثم بعد ذلك تقضت أيام وطال لهم فيه مقام ورغب جماعة كثيرة وفئام فى منهج الدين وتجريده والقيام بنصره وتأييده وهم الحنابجة والعمور والولامين ، فأرسلوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدخول فى الدين ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم ويقدمون عليهم ، فأجابوهم إلى ما أرادوا وطلبوا فأنيلوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورغبوا وحاولوا كغيرهم فى إطفائه سابقا وتعبوا ، فلم يحصلوا ما أملوه بعد أن سئموا ونصبوا فعاهدهم على الحق والهدى والتبين فى طمس منار الضلال والردى ، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى وراح فى طرق الشرك واغتدى ، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع وإلى الإجابة لما أرادوا حث وإسراع ، فخرج ربيع من القصر وسار وكان له فى الدراسة عند الحنابجة مقام وقرار ، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد ، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد ولأهل الضلال فيهم تنغيص وتنكيد ورعب ليس وراءه مزيد ، لايطيب لهم فى الوادى سكن ولا تطعم

عيونهم لذّة الوسن ويدعون على من جر ذلك عليهم وسن ، وأرهف المواضى على إظهاره وسن ، وأحمى عليهم الغارة وشن ، فلما طال عليهم الأمد والزمان وقاسوا منه مصايب وامتحان ، ولم يجـدوا لهم نفعا مما كانوا يعبدون ويستغيثون بهم فى الشدة ويدعون ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون ويؤثرونهم فى المحبة على الحق ويرغبون من يكشف عنهم هذا الخطب ويفرج لهم هذا الـكرب، كلا لقد خابوا وخسروا وضل سعيهم وعثروا وأشركوا بالله تعالى وكفروا ، فلم يعانوا ولم ينصروا ، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشان ومن تظاهر بالفسق والعصيان وتفكروا فى الحال والمصير وشرعوا فى إبرام حبل التدبير ، وهيهات قد نفذ القضاء فيهم والتقدير ولـكنه فى إبانه وحينه يصير ، فلم يلفوا لهم إلى المراد سببا ولا ملاذا ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذا إلا إلى الوصول إلى نجران كى يستجيشوا من هناك من العربان ، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال وظنوا أنهم يدركون من المسلمين به منال ، ويطفئوا نور الله الذى ربا فى الضياء والاشتعال وأزال دياجر الإشراك والإضلال . فخرج رؤساؤهم الفجار وقوادهم الأشرار وهما جماهير كبير الرجبان وحويل كبير الوداعين ذوى العصيان ، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبثوا له ما جرى عليهم من أهل الايمان ، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان وندبوه على إغاثتهم سريعا من غير توان وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هـذه المادة ويقطع السير والسلوك فى هذه الجادة ، وتصير أسنة عزمه مشحوذة حادّة وأهل الدين من فرط حـده وحدّته نادة ، فليس والله دون بلدانك والهجوم عليك فى أوطانك لنا فئة مانعة رادّة ولا جنود لهم مصادرة صادة ، فاختر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع والمقدر فى سابق الأزل فليس له من الله دافع ، فتعالى وتقدس من لا تحيط بغيبه النهى ويقف إذعانا لهيبته المخلصون فيما أمر ونهى ؛ فلما سمع الرئيس مقالهم الفظيع وتخويفهم الشنيع سرى إليه الرعب والوجل ومزج شغاف قلبه ودخل وغره الشيطان والنفس والأمل وما رأى من الخول ومن يسير معه حيث سار من الدول فعز ربنا وجل حيث لم يأخذ الظالم على عجل ولا يدعه أيضا همل بل ينتقم منه على مهل فيما قدر له من الأجل ، فنهد إلى تلك الإجابة واستدعى للسير أصحابه وأزمع على ذلك طلابه فـكان ولله الحمد الذل غايته ومآبه ، فسار مجدّا يريد سرعة الوصول

حتى يفوزوا بالمأمول فنزل على الرجبان والوداعين الذين كانوا المجيئه من الساعين، فاجتمع عنده خلق لاتعد ولاتحصى ولاتحسب ولاتستقصى، فحين رأى تلك الأمم سلك معهم ذلك الأمم وارتحل بمن معه ممن نهج مناهجه، فسار حتى نزل على الخنابجة فتراموا معه من بعيد واقتتلوا قتالا شديدا ، فلم ينل منهم ما يريد وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله ويعد من أسباب المكر ما ينتجه الرأى والفكر وكل يوم تطلع شمسه وتغيب يجرى ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب ، ولكن القريب المجيب ثبت أقدام أهل التوحيد وكان لهم معينا ورقيب وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب بل كان صدر كل واحد منهم منشرحا رحيب ، فلما بان له منهم الإفلاس وكان من المراد على ياس رأى أن ليس عليه فى الارتحال باس ، فارتحل ولله الحمد رغما على ذوى الإبلاس وأهل الضلال من الناس ، فلما ذهب رئيس نجران منصرفا وولى ذليلا منحرفا ورجع إلى بلاده متأسفا وجف قلوب قرى الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مبادر فطاب الرجبان من ربيع الدخول فى الإسلام والإيمان ، فأجابهم إلى ماطلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين وكانوا فى الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولانصيب ، ولكنهم يقولون ما برحنا حربا يصاب منا ولا نصيب ، فانقادوا مستسلمين وأذعنوا للدين مكرهين ؛ فلما صدر ذلك عنهم وفد ربيع وجماعة منهم على الشيخ وعبدالعزيز وأخبره بما صدر ، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه معلما للتوحيد والأحكام ، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور ، وللشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور ، واجتمع على ذلك الرجبان والوداعين وخلعوا عرى التوحيد والدين ، ودخلوا فيما كان لهم معتاد وسنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس الغى والفساد وأقاموا على الضلال فى استبداد ، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك ، فجهز لهم سليمان بن خفيصان مع جيش يجاهدهم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك ، فسار بمن معه ممتثلا وقدم عليهم عجلا فصب عليهم من العذاب عارض سكوب وشب فيهم لظى الخطوب ، ودام فيهم القتل

والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعاينوا عقوبة الأفعال عاجلا من غير إمهال ، فبعد ذلك رفضوا وهانوا ورغبوا فى الاسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان ، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبدالعزيز معه فى الحال والرضى بما يريد من النكال ، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضـية ، فعاهدوا عبد العزيز على الاسلام وشرط عليهم فى عقد الأحكام ألفى ريال وألف اتفق أن تسلم فى الحال ، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وسلموه . وفيها غزا سعود بالمسلمين أدام الله تعالى له النصر والتمكين ، فحث سيره ومسراه وكان وصوله عنيزة هو الذى اقتضاه ورآه ، وذلك أنه نمى إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر وتحقق ذلك عنه واشتهر ، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر ، فنزل عليهم بعد أيام وليال ومكث عندهم يستبرئ الحال ويتحقق ذلك على يقين لئلا يقدم على مايريده بتخمين فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) فلما لاحت له شمس التيقن والإيقان من عدول أهل الاسلام والايمان من سكان ذلك المكان وتحقق ذلك الأمر واستبان ، وكان آل رشيد من ذلك النفر والملا أمر عليهم بالجلاء وكل من لهم تابع وفى أسباب الشر طامع وأزال منها كل من يحذره ويخشاه وأمر عليهم علىّ بن يحي لاختياره ورضاه ثم انصرف راجعا . وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بنى خالد، فأقام فى الدهنا يريد أن يتحسس ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس ، فاستقر الخبر أنهم قد أشملوا وثبت عنده فبدا له عنهم ورفض قصده وانصرف . وفيها غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين وكانوا لأهل قطر فى تلك الغزوة مريدين ، فأسرع فى سيره لأجل قضاء الوطر فلم يلبث أن صبح الغارة آل أبى رميح من أهل قطر ، فدهمهم فى تلك الأرض على اغترار فلم يتقدم قبله إنذار وحصل منهم للحرب بدار وجولان دون المال والأعمار ، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار فانهزموا وولوا الأدبار وقتل منهم نحو الخمسين وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب ورجع بنيل المطلوب وآب ، وفى تلك الغزوة صبح سليمان بن عفيصان بلد الجشة من الحسا فلم يشعروا إلا بعد الحرب والهم والأسى وقد ملك عليهم السور وأحاط بهم المكروه والمحظور فانتدبوا للقتال وتداعوا للمجال

ولقاء الأبطال وبذلوا الجد فى الجلاد مخافة الاستيلاء على البلاد واستئصال العباد وطال الحرب بينهم ذلك اليوم وقتلت بعض رجال من أولئك القوم . وفيها أمر شيخ الزمان وعلامة الوقت والزمان وحائز قصب السبق فى الميدان ذو الحجج التى بهرت حين ظهرت والقواطع التى صدعت حين صدحت والبراهين التى قمعت إذ لمعت وسطت على الأعداء لما سطعت ، المزيل عن التوحيد برقعه المبين لذوى الألباب حسنه وموقعه الجالى دجى الضلال والقالى للغواة الضلال ، كاشف غيهب البدع والإشراك القائم فى ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمداهن فيه ولا تارك ناهج منهج البيان والصواب محمد بن عبدالوهاب ـ المسلمين أن يبايعوا سعودا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى عمره وصرف عنه السوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره ومد فى أجله طول الأمد وأنجح له ما أراده وقصد ، فنهض إليه كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعا وأجناس وأعطوه الصفقة المحققة من غير التباس، فاتضح له نهجها واستبان حتى بايع على ذلك كافة أهل التوحيد والإيمان وتعاقدوا على التزام الطاعة بالإيمان فثبتت له عند ذلك الإمارة واستمرت وحققت له بعد والده واستقرت وكانت بيعة معلومة مشهورة متقنة بأحكام الشرع معدودة، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعى والمنهج المرغوب المرعى لاينازعه أعاذه الله من ذلك إلا شرير ظالم ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم إلا وهو متعد غاشم وصل الله تعالى بالائتلاف حبلهم وجمع على المحبة والاتفاق شملهم وأجارهم عن ركوب خطر الاختلاف وانتهاج منهج القطيعة والاجناف وحماهم عن الوقوع فيما دمر أولئك الجموع وأخلى منهم المنازل والربوع وطهر عن الشحناء قلوبهم وأنالهم سؤلهم ومطلوبهم وذب عنهم مادب فى الأمم قبلهم من الحسد الذى أهلك الديار وأهلها ، فلم يبق منهم على أحد وذلك بعد ما عرف أبوه حاله ومسيره وتحقق سيرته واختبره فترجح عنده بيقين العلم والفهم على التحقيق والجزم ما شرف به من الدهاء والحزم وما خول من السياسة والعزم وما تلألأ فى غرته من طالع السعادة وما لاح فى جبينه من بارق السيادة وما عاناه فى رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى حتى رفع الله تعالى به للملة الوسطى عمودا وعاد معينها بعد ما كان آجنا موردا وأورق به غصن الحق بعد ذبوله وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله فرآه أهلا للسياسة وكفؤا لمنصب الرياسة تحمل أعباءها كاهله فكانت إليه آيلة آهلة . وفيها غزا سعود بالمسلمين

فوافق البيعة أسلاف من عنزة مجتمعين وكانوا إذ ذاك بأرض قنى من نجد مقيمين ولم يكونوا أولئك نتيجة سيره وقصده ولكن عرضوا له فى طريقه وجده وغنمه الله تعالى لإسعاده وسعده . فلما رأتهم من المسلمين أولو التقدم والسبق قالوا هؤلاء أتوك وفق وعرفوهم على اليقين والتحقيق وكان هذا الطريق أيمن طريق فقد نالوا منه مرادهم من غير نصب ولا تعب ولا تعويق ، فشن عليهم الغارة المسلمون وأتوا من حيث لايظنون فتبادر من عندهم من فارس وشجاع وانتدب إلى الإفزاع وتسربل للطعان والدفاع و لاحق من عندهم من العدد ولم يبق منهم أحد ومنتهم أنفسهم الغرارة أنهم يقمعون أهل الغارة فطاعنوا زمنا يسيرا ورأوا أن ذلك لايجدى ولا يضير وليس دون الفرار من مصير ولقد صدقوا فى العزم والأفعال ولكن عادة الله تعالى فى أهل الضلال سرعة الخذلان والإذلال فانهزموا على الأعقاب وليس لهم دون الذلة والخزى من مآب وقتل منهم فى ذلك المجال عدة من الرجال وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من أنواع المال . وفيها غزا سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه أهل الإيمان وقد أمره عبد العزيز أن يغزو من الحساء العقير فحث لذلك القصد والمرام والسير ، فأسرع فى ذلك المنهاج وطوى تلك الفجاج حتى وصل إلى ماء حرض فإذا عويس بن غفيان مع غزو أهل اليمامة خارجا من الحسا قد عرض وكانوا نحو الخمسين وقد خرجوا من الحساء مفترين وابلدان المسلمين مريدين . فالتقى معهم أهل التوحيد ونازلوهم منازلة الأبطال الصناديد فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهيد وأبدوا من الاقدام ما ليس وراءه مزيد فأحانهم القوى المتين فقتلهم المسلمون أجمعين كذلك يجزى القوم الظالمين فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح ثم سار لقصده فرحا مرتاح ، فجد السير حتى صبح العقير فأخذ ما فى الخان من الأموال وصعد القاعة من فيه من الرجال فأقاموا فيها متحصنين وأصبح بيوت الجريد به محرقين ،أضرم فى جميعها النيران سليمان بن عفيصان.

ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود بلغه الله تعالى المقصود ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لايحصى لها عدد ولا يحصرها أحد ، وتوجه يريد بنى خالد وكان على لقائهم جاهد فجد إلى مراده السير والسرى وطرد عن عيونه فى ذلك الكرى حتى أراد الله تعالى أن يلتقى الجمعان فى أرض بنى خالد بمكان وكانت جموع بنى خالد قليلة العدد وأكثرهم متفرقون فى أرض تلك البلد ووافى منهم من

العربان والأسلاف قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف ، فلما طلع عليهم سعود وجنوده كان كل منهم الهروب مقصوده ولم يعزموا على إقامة وبقا فضلا عن مقاتلة ولقا ولـكنهم برحوا تلك الساعة يدبرون من الرأى فسيحه واتساعه فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان وناوشوهم بعض الطعان ولم يطل بينهم ميدان ولم تتفق مجاولة طويلة بين الفرسان وكان ذلك لموجب وشان ، وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى أسر له فى ذلك اليوم أن بعض من عنـده من القوم يريد الخيانة لبنى خالد وأنه على ذلك مواعد وتحقق ذلك الإخبار فلم يكن له إلى اللقاء اختيار فسأل الله تعالى ودعاه واستخار فأرشده لخيرته وإرشاده وهيأه إلى إرادته وإسعاده ، فانصرف راجعا إلى بلاده ومر ببلدان أهل القرى فأخذ ماعندهم لبنى خالد من الزاد وقتل عيونا قبل الملاقاة لعبد المحسن ، ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة وعلى فنائهم وإذلالهم حيلة وأى حيلة ، ولـكنها لم يحـكم الرأى لها عقدا ولم ينظم الفكر لها عقدا ولا أحسن إبرامها التدبير بل القضاء والتقدير . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية بعد مابعث إليهم بالجهاز مناديه فأسرع كل منهم إليه مباديه ، وسار حتى نزل خفيسة الدجانى ينتظر من قومه القاصى والدانى ، فلما اجتمعت الجيوش عنده أرسل إلى والده يبين له قصده ويشير عليه بما يشاء ويريد لأن أباه مبارك الرأى رشيد ، فأشار عليه إلى ثوينى بالوصول فعسى أن يحصل منه المأمول ، فسار إلى ذلك المراد يريد أولئك الشداد وجاءته فى أثناء طريقه عيونه حتى تخبره بتوفيقه ، فأعلموه أن جميع الأعـدا وأهل الزيغ والردى كلهم على حمض مجتمعون ، فعجل إليهم لئلا يكونوا بمجيئه يعلمون فلم يجتهر أحد قبل الغارة فكانت لهم هى النذارة ، فلما أقبلت عليهم فرسان الإسلام كان لبنى منتفق إليها بأس وإقـدام وسرعة اختلاط والتحام ، فانكسرت فرسان المسلمين فأمر عليهم سعود أن ينيخوا أجمعين وأخبر أهل الدين والإسلام أن ليس هنا إلا الصبر على ما قدر العلام وتجريد مواضى العزم والهمم ، فعاقبة الفشل والفرار ندم ويحصل بها لفاعله الندم ، فوطنوا أنفسهم على الزحام وعرفوا أنهم على إحدى الحسنيين الغنيمة أو دار السلام ، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة وأقبلت تلك الجموع تصادم كلا منهم فلم يلفوا على المسلمين مقدرة وقد بذلوا دون الهزيمة المعذرة فلما لم يجدوا بدا إلى العز والسلامة

وصرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حمامه فامتطوا الأقدام فى الفرار والانهزام ولم يصبروا على الزحام ، وكل من أولئك الشجعان رضى بالذل والهوان وأرخى له الأرسان وطاع بها قهرا من غير إذعان، فغنم أهل الدين والإسلام ما معهم من جميع الحطام على كثرة أجناسه وأصنافه وفرط تباينه واختلافه من بعض الخيل والأثاث والأمتعة والخيام والصيوان المشهور الأعلام ، ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد وأناله من أعدائه المراد وأراد الانصراف إلى البلاد ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصيرون لقرية واردين بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين لكن أراد أمرا فأراد الله ضده ليخذل الباطل وجنده ويظهر شرف من أراد عزه ومجده، فلما أناخ سعود الراحة فى القائلة كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائلة وبدا له عن ذلك الطريق لما أراد مولاه له التوفيق وأعرض عن ذلك المراد ، فلم يكن له إليه إلمام لما أراد الله له العز والإكرام فلما استقلت به راحلته وثارت وصرف وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت ووجلت قلوبهم من ذلك وطارت ، فبادر إليه صالح أبو العلا وأخبره بتململ أولئك الملا ، وكان أبو العلا هو الدليل فأخذ يلاطف سعودا ويستعطفه ويستميل حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا ليقضى الله تعالى له أمرا ، فلما علم الدليل ذلك الحال واستولى منه صحيح المقال أخذ يشدد ذلك عليه ويعسر المسير إليه وقال له وهو فى ذلك صادق تصل إلى بلادك فى أحسن الطرائق قبل أن تصل إلى ماء الوفرا فاختر لنا ولنفسك الطريق الأحرى ، فلم يجد فيه ذلك الكلام فسار حتى ورد الماء تلك الأيام فشرب من الوفرا ونوى بعدها الحفر وجد فى سيره يريد الورد والصدر حتى إذا توسط وغارب البيد عن لهم أن على ماء الحفر طلبا رصيد وحزبا يريدهم قعيد ، فعلم الله حالهم فلطف بهم وأنالهم وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب فاستقوا من ذلك العذب الزلال فطاب لهم الحال ولكن لم يعد خطتهم ذلك الوابل بل كان لإغاثتهم نازل ولريهم هامل ، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة فساق الله تعالى من أياديه الكريمة وأهدى له من مواهبه الجسيمة ركبا من آل سحبان كبيرهم ابن مفجل فقتلوا أجمعين وكانوا قريبا من التسعين، ثم انصرف إلى بلاده مؤيدا منصورا مأنوس القلب مسرورا ورايات الإقبال عليه خافقة والألسنة بتوفيق الله له ناطقة . وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمسلمين

يريد الاحساء فحث السير لذلك المرام والهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلاد وظهر له منها السواد والقتام ، فأناخ على المبرز حين غطى الضياء الظلام واستحكم الكرى والمنام فى مقتل أولئك الأنام ، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه ويبد من إظلام تقشعه وانتهاضه حتى بدت خيله وحماته وشهرت أصوات البنادق رماته وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان فحينما نهضوا يريدون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة ، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح فى عروج فدافعوا عن الدخول والهجوم ، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم ثم بعد ذلك اجتمع أهل المبرز فخرجوا إلى الفضاء وجالوا مع المسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم ومر بالهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط النهار وشمر للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم المبطلين وأحدقت الفرسان والرماة والأبطال بقرية أهل الزيغ والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحاب الهلاك وحان لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الخبيثة قارض وراموا المسلمين دفعا وظنوا أن البلد تنال بهم امتناعا ومنعا ، فجدوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهتهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفعوا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا التضرع والابتهال إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب فضلا عن كونه يدفع النوائب والخطوب ؟ فلما فرغ سعود من صلاة المسا هب له نسيم الصبا فزال عنه الأسا ودعا ربه بحضور قلب وبال أن يحسن له العاقبة والحال ويمكنه من هؤلاء الضلال ، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له سؤله وحقق له مأموله فنهد إليهم مسرعا ونهض ، وحفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض ، فشدوا على القرية الحملة فانتدبوا إلى الفرار جملة ، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق لكون المسلمين قد ملكوا عليهم كل فج وطريق . فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء فى البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المحتم المقدور وحل بهم الأمر المشهور فدخل عليهم فى تلك المنازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسا وأنزل الله تعالى عليهم بأسا ، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب البهم وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون وهم فى بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا من غير لبس وقتل غيرهم

ذلك اليوم ممن اختفى من أولئك القوم ، وأخذ المسلمون جميع ما فى القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأوانى وبعض الطعام شىء له بال وانصرف سعود إلى بلاده راجعا وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مقيم ، فلما برزوا أراد منهم المسير إلى الفضول مع جميع أهـل المبرز فأبى كل منهم وما أحرز بل أبدى الذل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالحين والذلة ورضى لها بالمذلة. وفيها توفى الشيخ عيسى ابن قاسم وكان بنشر الدين مجدا قائم ولتعليم الناس ملازم رحمه الله تعالى .

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف. وفيها وقعة غريميل ؛ وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى وأسبغ عليه نواله ووالى جميع المسلمين ومن لهم من البوادى والعربان وسار معه بعض بنى خالد الجلوية مثل زيد بن عريعر وقصد بنى خالد وجد فى ذلك الشان وجاءت إلى بنى خالد بذلك الأخبار وأسرعت قبـله إليهم الأنذار فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحسا يريد منهم الدول ويحثهم على ذلك فلم يطع قوله ولم يمتثل وحاولهم أخوه ثواب وخوفهم فلم يجـد فيهم ، فانصرف منهم على عجل بخيبة القصد والأمل فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف يزيدون على آحاد الألوف ، وأقبل سعود بأهل التوحيد فنزل تجاههم بتؤدة وتأييد فتقابلت تلك الصفوف وتقاتلت تلك الألوف وبرحوا أول النهار فى تجلد واصطبار وجولان بينهم وطراد ومناوشة بعض وجلاد حتى بان وقت العصر وحان وأديت فريضتها على سكينة واطمئنان ونشق أهل الدين نسيم الصبا وسبق كل منهم إلى الجلاد وصبا وباعوا على الله ثمين الأعمار آخر ذلك النهار ، فصبر عند ذلك بنو خالد ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد، فلم يكن المولى لهم مساعد فزحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية وأمست رماتهم عن مواقفهم جالية وأمسى المسلمون لأعقابهم تالية وانهزم جميع تلك الأمم ولـكن أقبح فرار ومنهزم، فانحدرت الرماة من رفيع تلك الآكام مشمرة فى الفرار والانهزام، وملك المسلمون محلهم وشتت الله شملهم ولم يبرحوا بعد ذلك النزول والانحـدار فى تشمير الساعد والإزار للانهزام والفرار وكانوا آخر نهارهم وبقية ليلهم إلى أسحارهم فى هزيمة وانكسار وضياع أموال ودمار، لايلوى أحد على ماله وأهله ولا يروم سوى نجاة عمره لقبح فعله وحق للمسلمين ولله الحمد عادة الله ووعده وعمهم فضله وإحسانه ورفـده وتفضل عليهم بتلك الغنيمة

العظيمة فحووا تلك الأموال الجسيمة ولكن سعودا نهج معهم منهج الكرم المعدود وأحسن فيهم السيرة ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة وسابق تلك الجريرة وما راموا من الأمور الضريرة ، فما جار فيهم ولا قطع بل أعطى ومنع ووصل ورفد ولم يعاقب منهم أحد ، وأسدى إليهم المعروف وتطول وأبدى إحسانه عليهم وتفضل واختلف حال أولئك العربان بعد ماحق عليهم الذل والهوان فبعض صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحساء فازداد هوانا وتعسا ، ولم تزل فرسان الموحدين في أثرهم طالبين ولأكثرهم مدركين فلم ينج بما عنده إلا القليل مثل ابن جرذي وغيره فما كان عليهم من سبيل وبعض صار وجهه إلى سيف قطر وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه وبعض من جماعتهم فكل قصد الزيارة ، وصدر واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر ، وأكثر أهل البوادى والعربان اختاروا الاستقرار فى الحساء والاستيطان فشمروا فى طلب الأمان من سعود والدخول فى حوزة أهل الإيمان فأعطاهم ذلك وأنالهم فأدركوا منالهم ، ولما انقضى شأن غريميل كما سطر . وقيل أراد سعود حرسه الله تعالى من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحساء حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين ويزيل ما فيها من بدع البطلين ، ويحقق على أهلها العهود فى الدخول فى الطريق المحمود حتى يستمروا على سنة خير المرسلين ويقلعوا عما كانوا عليه من سنة آبائهم الذين كانوا لهم مقلدين وبآثارهم وآصارهم مقتدين فأبى عن ذلك وتعلل وتضجر وتململ ، فأراد سعود إليهم الوصول حتى يتم المقصود والسول فارتحل من ذلك المكان يريد ذلك الشان ، وفى أثناء ذلك الطريق عن فى قلبه أمر وخطر صرفه عما إليه بدر فشمر للظهور وال نجد فظهر . وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه فشمر لعزمه الساعد وسار بمن معه وساعده وتبعه بريه بعض البدوان ممن صد وأعرض عن الإيمان ، فلما أشرف على بنى هاجر وكاد أن يكون عليهم غائر وجمعهم مشتتا كاسر سول الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان أن يخلعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين ، فلما أغار على عرب بنى هاجر انخذل عنه أكثر من كان معه سائر وصار غالب أهل البادية على من بقى معه عادية ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نحان فكان لهما ثبات على الإيمان ، فعند ذلك اشتد الكرب والبلا على المسلمين من ذلك الملا ووقع بينهم القتال وحمى بينهم

الجبال واستمر الطعان والضرب واشتد الخطب والكرب من آخر النهار إلى هزيع من الليل والأبطال تقحم فى ذلك المعرك الخيل ، فقتل من المسلمين نحو العشرين وأخذوا منهم مثلهم مأسورين وكانت تلك الوقعة تسمى الليلية عند أولئك البرية فبعد صدور تلك القضية طمعت فى الردة النفوس الشريرة وأهل الأفعال الردية، فارتد جماهر وحويل ومن معهم من الأقوام وعدلوا عن مناهج الإسلام. وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز حرسه الله تعالى كتابا وذكر فى أثنائه أنه يريد إنسانا عارفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين ويكون فيه على بصيرة ويقين ،فأرسل إليه عبدالعزيز الحصين كى يشرح له بلسان الخطاب وجه الحق والصواب ويزيل عن محياه النقاب فيبدو عند ذلك لألأ السنة فيدعو حينئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنه وكتب معه الشيخ إليه رسالة بين فيها دعوته ومقاله : ونصها بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام فى البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابعى الأئمة الأعلام ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد جرى علينا من الفتنة مابلغكم وبلغ غيركم.وسببه هدم بنيان فى أرضنا على قبور الصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله ، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ماذكرنا من هدم البناء الذى على القبور كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم أعظمها اتباع الهوى مع أسباب أخر فأشاعوا عنا أنا نسب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام فنحن ولله الحمد متبعون لامبتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتعلمون أعزكم الله أن المطاع فى كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله أن فى ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأشرفتم على ما عندنا بعد ما أحضروا كتب الحنابلة التى عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أعزه الله ونصره امتثلنا وهو إليكم واصل ، فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام ،وإن كانت مسالة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار فى مسائل الاجتهاد

فمن عمل بمذهبه فى محل ولايته لاينكر عليه وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أنى على دين الله ورسوله وأنى متبع لأهل العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة فأكرمه غالب وشرفه واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ المفيدة فعرف مابها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة أبى وكفر وتمسك بقديم سنته وأصرّ وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه ويناظرهم فى أصول التوحيد فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك ، فطار لبه وارتعش قلبه .

ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أدام الله له السعود فسار بالمسلمين وجدوا السير مشمرين وأنضوا الجياد والركاب فى ذلك التسيار والذهاب ، ولم يزل يعنق وينص فى ذلك السير حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميدانى وأسلاف آخرون فى أرض الجريسية مجتمعون وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لايرد الحذر الأقدار فعجلت لهم قبلة وكانوا مع ذلك على مهلة ، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وعجوا ونادوا بالويل وضجوا ، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فخانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الغرار فصبحهم الجند الكرار والحزب الذى هم ليسوا فى اللقاء فرار والعصابة التى هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار . فحاولت تلك البوادى أن يردوا الفرسان العوادى وجالوا معهم فى الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والهلاك الأكيد من حماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفا وخمسين وغنم المسلمون مامعهم من الأموال من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المسلمون بنيل الآمال . وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله تعالى له المآب . وفيها أظهر الشريف غالب كيدا لم يظهره قبله محارب ورام أنه لأمر الله غالب فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يكاد يحصر رقمه القلم فى كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل واد ونهج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد وسارت له الرسل والركبان إلى

جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والكل ساعده وأنجح أمره ؟ فلم يدع بلدا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإعانة إلا أرسل إليها فورا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوى تجبره وتكبره وشيطانه وتمالأ معه الخلق كافة وما كان لهم من الله تعالى مخافة بل جدوا معه وقاموا وسهروا فى منامهم الليالى وما ناموا فياخيبتهم وما طلبوا وما راموا أيحارب رب العزة والجبروت ومن بيده الملك والملكوت ؟ أينادى بالحرابة أصل الإسلام ؟ أينادى على هدم أساسه جميع الأنام ؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد ويتداعى على إزالته بعد التشييد ؟ أينسلون إليه من كل حدب وينسل له ذوو الحاجة والأرب ولا يهاب جناب الرب ويرتقب ، كلا لقد عميت الأبصار والبصائر وانسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر وعدل عن منهج البيان فأضحى محياه غابر وتركت عين الشريعة فكاد نميرها أن يكون غائر حاموا على سلف الجدود والأبوة وبذلوا فيها النجدة والفتوة وتمسكوا فى الحقيقة بتلك السنة والطريقة والتزموها أشد التزام ، فلم ينكفوا عنها على الدوام رخص عندهم فى استقامتها نفيس الحطام وهان لديهم فيها الذل والتسلم والاستسلام بل رخص عندهم ماهو أعظم وأجمل وأفخم وأكمل وأجل وأعلى وأرفع قدرا وأغلى الأعمار وجواهرها وأرادوا المناصب وظواهرها فهانت عندهم الرقاب والأعمار وركبوا لها ركاب الأخطار وطرحوها فى ميدان القمار وألقوها فى ذلك المضمار فكانت عقباهم الخسران والدمار ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله وكل مجازى بفعله ، فلما رأى ما اجتمع فى فنائه ورحابه وما نزل فى أوديته وشعابه وما ضمه إليه تطلاب ركابه من أولئك الخلق والجموع والأسباب والملا الذى طبق وأوسع الفجاج والفلا ركض برجله وتجبر وعلا وشمخ بأنفه واعتلا وزين له الشيطان أملا وسعى إليه عجلا وتحكم فى قلبه أبو مرة ونفذ فيه غيه وأمره وزخرف له مكره وغدره وحقق له فى مرامه سولا وحثه على التسيار وصولا وكان ذلك إلى تسويله حيله ، فأسرع إليه وحرض عليه قبيله فبادروا إلى الخروج وسعى إلى ذلك المنهج المنهوج وأظهر سريعا امتثال الطاعة لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة فكانت ولله الحمد بضاعته أخسر بضاعة فلما آن أن يبدو لظهوره شموس وحان أن يتبين فى جبينه نحوس وينخسف فى أفقه نجم سعده ويكسف بدر توفيقه ورشده ويقف الخلق على ما أملوه من مجده وترجع أبصارهم خاسئة بعد مطالعتهم لبركته ويمنه وجده

ومشاهدتهم فلول صارم عزمه وجده وأفول كوكب عزه ونصره وفقده فقد جزموا وحكموا وفهموا وعلموا أنه يفتح نجد بنجده ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجده والأسرار التي وصلت إليه من جده (سبحانك هذا بهتان عظيم) يشهد به كل ذي علم عليم وقلب على الحق مستقيم ، جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجله في المسير إلى نجد فسار إليها وأمّ ، وانثالت أيضا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل سوادهم إليه نائل وأقبلوا بأجمعهم إليـه عاجل وارتد كثير من أسلم لأجل ذلك التسيار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلدة خلق كثير لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون ، وبدا للشرك دخان وضرام وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس فئام وتبين العناد جهرا والشقاق ونفق والله سوق النفاق بل نجم وقام على ساق ، ولـكن ولله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق ، ولم يبد لشمس مطلوبهم إشراق ، بل شاهدوا من الهم والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق وأسقاهم من صرف الأسف والحسرة كأسا مريرة المذاق ، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق ، وأسر دائم وإفلاق حتى يكون من الثرى تحت أطباق ، فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان فنزل سريعا على قصر في السر يقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام ، فأناخت تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاة وعوله وأصوات وزعقات وجلبة هائلة وضجات ، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشرّافات وراموا الأسباب والسلالم والـكل على التسور عازم ، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيا ونقمات وأعقبتهم هوانا ومذلات ، فلم يدرك منهم فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة ، فانصرف خاسئا ذليلا وأقام في أرض السر زمانا طويلا نحوا من أربعـة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور وفي أثناء تلك المدة المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الربح والفود ، فلما نزل عليه وأناخ حواليه عزم ، وآلى وأقسم بالله تعالى أن لا يبرح عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليمين فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين وينالون منهم التولي والتمـكين ، فدهموا

بالسلالم الجدار محتدين ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التحصين وأتوا ذلك
اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين ولكن أراد الله لهم
النصرة والتمكين وإعلاء كلمة المسلمين ونجاة عباده المؤمنين فظهرت حكمة رب العالمين
وبان خزى المبطلين وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام أن جميع الأنام لا يقدرون
على إيجاد ذرة فضلا عن إيصال مضرة فزادهم إيمانا مع إيمانهم وأقرهم فى أوطانهم ، وقد
قتل من جماعة الشريف وقومه فى المرة الأولى والثانية فى يومه رجال كثيرة وصارت
حاله فى الذل شهيرة ، وفى أثناء تلك الليالى والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل
الإيمان والإسلام أن يجردوا مواضى العزيمة ويصدقوا النية فى الجهاد لذى العطايا
الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التى أرجو أن تكون لكم منحة عميمة
وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين فى جميع الديار وحثهم على سرعة المجىء
والتسيار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقام سعود
فى أرض رحين عند البلدان حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان ثم بعد ذلك أمر
حسن بن مشارى مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المعادية التى هى بالشر مبادية
فنهضوا سراعا ، فلم يفجأ بعض العربان التى مع الشريف إلا بالخيل العادية ، فأخذوا بعض
الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل ، وفى تلك الأيام أرسل سعود حرس الله مجده وخلد
سعده نغيمشا مع جمع من السلمين إلى أهل الوادى لكون أكثرهم عن الإسلام
مرتدين وهم قوم حويل وجماهر ، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر
وأمر فيهم شريفا يسمى شاكر وكان أكبر تلك الأقوام بنى هاجر ، فسار نغيمش لذلك
السبيل ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل ولا مرام ولا تحصيل ، فأسرع بهم
اللحاق وحصل بهما له الاتفاق واستضاءت بقدومه لأهل التوحيد تلك الآفاق فلما قدم
تلك البلاد شمر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهاد فخرجوا إلى اللدام سائرين
ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين ، وكان أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله
وعنده فقصدهم أهل الإسلام فى بعض الأيام وجرى بينهم قتال والتحام والتهبت نار
الطعان وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان فشدوا على أهل العصيان فانهزموا ولم يبق
منهم للجلاد اثنان وبادروا البلاد وقتل منهم ذلك اليوم عشرون فى التعداد منهم من آل
شرى أربعة رجال وقتل من المسلمين ثلاثة ورجعوا بأحسن حال . ثم بعد ذلك وصدوره

بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد مرهف البأس على أولئك القوم وجرد فأوخد وأعنق بذلك السير حتى صبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب بحد السنان وتريش ، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سنابك العراب والأسنة تلمع فى ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبواتر التى تميض مثل البروق فى خلل السحاب أو لمعات النار فى الالتهاب فتلقتهم أولئك المطران وأقبلوا عليهم مجتمعين فى قران كأنهم أجنحة النسور والغربان ، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من نحور أهل الإيمان ، فأبى الله أن يدنس واضح غررهم هوان أو ينال من ضررهم إنسان أو يصل إلى تلك النحور التى هى ممر لألفاظ القرآن من أيدى الأعداء سنان ، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره ، فقتل المسلمون منهم فوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى من الذل والخزى بقى حائرا متندما متفكرا فلم يجد له الرأى ما ينتج له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا الأمل وأنا أخذنا بلدانا فأتنا أنت والأمداد على عجل فقد رعب أهل الوطن والمحل والكل قد جبن وذل فلما جاء ذلك الخبر بادر إلى ذلك وظهر فرجع ولله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المسلمين ونواهم بالقطيعة مما قدر وبذل وسار بمدافعه وقنابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر ولا تعبر تياره الفكر وكانت حاله لكل معبر عبرة من العبر وآية دالة على الوحدانية وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلا عمن شاهدها وحضر وبرهانا لائحا لأهل التوحيد من يأتى بعد ومن غبر ودليلا فاضحا لأهل الضلال والزيغ والغير فسبحان من حجب عقول من شاء عما أبدى من الآيات وأنشأ وطبع على قلوب الضالة عن إدراك المعرفة له وقذفها فى مهواة الدرك الأسفل من الدرك وألقاها تعالى فيه ما أعده لها وأودعها فيه وترك وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختار كل منهم ذلك الطريق وسلك . اللهم لا تهلكنا فيمن هلك واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وفلك . وكان خروج غالب فى شهر رمضان الذى فيه تغلق أبواب النيران ؛ فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارتحل حتى وافى أخاه غالبا على الشعرى فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القرار

فى تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويجرى منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسفط للأعمار وعرض،وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام وثلم الدين والإسلام ولم يخشوا قبيح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادى به لايصدقون(كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأقام غالب وجموعه وجنوده وكل يوم تزجى سحب العـذاب على تلك القرية رعوده ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده وأسبابه وآلاته وكيده على مصداق قوله شهوده ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده لا تفارق نجدا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده ويتم له مراده وسؤله ومقصوده ، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحسوده ويتألم لما ناله محبه وودوده.فرجع ولله الحمد ذليلا متندما هو وقروده وعادت سنانير أشباله وأسوده وأرضت أرانب قفر وبغاث نسوره وفهوده فتبارك الذى بيده الآيات البينات ويرفع الأعلام على انفراده بالألوهية والعبادات ويأبى أهل الزيغ والضلالات إلا إصرارا ونفورا ، صرف سبحانه الأحكام للناس وبين ،وصرف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين،وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولما انصرف الشريف غالب مرعوبا غير مدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجال مشتت الفكر مكدر البال وجاء الخبر سعودا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معيقل مع بعض من المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافه، فبادر محمد لما أمر وجـد فى ذلك الأثر فأغار على فريق من قحطان فأخذ عليهم إبلا كثيرة ففزع عليهم منهم فرسان وجالدوا لردها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفزاع خمسة عشر فرسا بخيبة كريمة ورجع بأوفر غنيمة .

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمـكين والسعود فسار بالمسلمين وأدلج فى ذلك السير يريد شمر وعربان مطير ولم يبرح يجدّ فى مسيره وينتضى فيه عزما ويجرد له همة وحزما حتى أدركهم عند جبل سلمى ولم يفهموا عن مجيئه خبرا ولا علما ، فأناخ فى ذلك المـكان عند ماء يقال له العَدوة وكان عنده عربان يدعون البراعصة والعبيات قد نزلوا حذوه ، فلما قضى من الصلاة شأنه ودعا الله أن ينزل عليه نصره وسكينته ويثبت جنانه وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه وصبح أولئك الأسلاف والعربان وشنت خيله غارة على البدوان ، فعندذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس وكلهم مابين معلم ومقلص

وشاكي السلاح ملابيس ورئيسهم ذلك اليـوم حصان إبليس ، فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده الذل وركنوا وجدوا فى الدفع عن الأعمار والأموال والظعن ، وبذلوا فى ذلك من البأس مالم يبذله أحد من الناس فى سابق الزمن حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوى الضلال والفتن وأجرى للموحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السنن فشمروا فى الانهزام والفرار وجـدوا فى الادبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار فمنح الله تعالى المسلمين جميع أموال الـكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده ولـكنه ركب غيره فماذل ولا انخذل بل أخذ يركب العقول ويملو قلوب الفحول فضلا عن صهوات الخيول وقتل أيضا منهم أبو هايبة وغيرهم رجال وانهزموا بأقبح حال ، ولما قطع الله تعالى وصلهم وجذ حبلهم وشتت شملهم تفرقت تلك البوادى والفرسان تندب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدروكان ، وكانت تلك البوادى ترعى الغنم وقسيم البهم فى فياض أراضى سلما ، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وسلما ، وترد على رغم العداة زلال ذلك الما ، وقد أغراها الشيطان فى نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحد يرومها ويقواها فضلا عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أوردها من الهلاك مهواها وحينئذ وقف عليهم وناداها بدعواها هذا جزاء الغواة ومثواها إنها تهلك النفوس بطغواها .فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كؤوس السم الناقعة وكانت ألبابهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصرة أفواجا وملئوا لها مهامه وفجاجا وهيئوا لها سببا ومنهاجا وانضم إليه ممن حولهم كل ذى عمود وكان إلى تلبية الداعى إجابة وعمود ومبادرة للاغاثة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود ، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود ، فأقبل كل منهم يولى على عدم التولى وبذل المجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والمطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدور ، فأوردهم ذلك البغى الطريق المسدود والذل الذى كان لهم إلى حياضه ورود ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود ، فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطعانهم الشجعان والـكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالذل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان ، وكان

ورودهم على المسلمين مساء قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا المنى والمطلوب وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسرى والليل أمامه وقد نشر على السارى أعلامه ويعمى أثره وأعلامه فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص متاريس ،فساقوها أمامهم وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم فحملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزموهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من المشركين كثير فى تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور فى الشجاعة مالم يصل إلى أدناه دراك ولم يذكر له نظير فى العرب والأتراك ولكن تلقتهم الحماة بالصدور وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والنحور وصدقوا فى الاشتراء والابتياع وقالوا والله لانضيع ولا نضاع فأمسى كل منهم ببذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حفهم مولاهم بوعده ونال منهم غاية قصده وأنزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى فى أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته ، فانهزم أهل الضلال بعد ما أفرغوا الجهد والحال (وما كان لهم من الله من وال) وكان ظلام الليل فى بدو وإقبال وولوا على أعقابهم فى الأدبار وكان ضوء النهار فى إدبار ،وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضله العميم أنال المسلمين من أموالهم مالا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال، فشمر المسلمون فى أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إمهال، واستمر الطلب فى أثرهم أياما وليال والمسلمون فى أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ماحووا منهم من الخيل والأمتعة والغنم مالا يكاد يحصل مثله ويغتنم فالذى اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا منازعة ولا خلاف ولا غلو فى القول ولا إسراف سوى مامات فى الفلاة ، فلم يكن إليه التفات ورجع المسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالإذلال وقتل منهم بعض رجال منهم مسلط بن مطلق الجربى الذى زاد فى الشر وأربى .

ثم دخلت السنة السادسة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود لازال إلى المعالى

فى صعود فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها وأن يدمر أهلها وسكانها ويمزق منها أصنامها وأوثانها ويخزى أربابها وأعوانها. فسار فى ذلك مجدّا ولبغتتهم مستعدا ، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة حتى كان الحظ مراحه ومناخه،فأمست رواحله به مناخه وحطت خيله وفرسانه فيه يمينا ويسارا وخطرخطيه فى فنائه تبخترا وافتخارا وسابق النصر الاقبال إليه وجارى ، وألفى جميع تلك القرى بلا شك ولا امتراء قوما فجارا قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفية وحملوها آصارا وخرقوا الملة السنية فنالوا به أوزارا وأطفئوا مصابيحها السنية ورفعوا للرفض منارا وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلا ونهارا وزادوا فى ذلك غلوا وعلوا واستكبارا ، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارا (وقالوا لاتذرن آلهتكم) وأصروا عليها إصرارا وبارزوا فى ذلك إعلانا وإسرارا من أحاط بالأشياء علما خفية وجهارا واستمرت جياده تجول وتتبارى حتى عرف قصده وحققه معرفة واختبارا فأحاطوا ببيهات بعد ما تلألأ الضوء وزاد إسفارا وكبروا فى نواحيها إعظاما لله وإكبارا فملئت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال ورأوا ذلك القتال مهابة واندعارا وصبروا ساعة تجلدا واصطبارا وهموا أن يحفظوا جوانب البلد فلا يهتك المسلمون منها دارا ، فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكا ودمارا فتسورها المسلمون وهجموا فيها زمرا وأقطارا وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم من آلهتهم أنصارا وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هوانا وخسارا وشربوا منها عبيطا يزيد احمرارا فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلالا وإكثارا واستولوا على جميع مافيها من الأموال التى لاتعد ولاتوصف ولا تحد استعظاما واستكثارا، ثم قصد المسلمون القديح فقدحت فيه زنادهم فأورت نارا ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارا واستولوا على مافيها من الأموال التى لاتماثل ولاتبارى ، فعند ذلك أبدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكسارا، فاستولى المسلمون على العوامية وعنك وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى الفرضة وراموا بها حصارا ، فأحاط بها المسلمون ودعوهم إلى الاسلام فأبوا إلا كفورا ونفارا وأقاموا أياما يقاسون ذلة وجهدا واحتصارا حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة الآف زر فقبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارا ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان ، ومعبودات الشيطان وكنائس الرفض والطغيان فأصبح أهلها عليها حسارا وأحرقوا

تلك الكتب القبيحة بعد ما جمعوا منها أحمالا وأوقارا ارتحلوا إلى تلك الأوطا
فى غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرا وفخارا . وفيها توفى شيخ الإسلام و
الأئمة الأعلام المتبحر فى العلوم النافعة المفيدة والمعانى التى لم تبرزها سوى فكرته المجي
ذو الفكر الوقاد والذهن المنقاد الغائص على درر التوحيد فى قعر البحور الفالق
جواهره الأصداف حتى زين بها النحور المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصر
بعضه الفهم ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق فى العلم المتفنن فى فهم القرآ
والاستنباط فلا يقاس قعر تبوئه ولا يغاص ولا يحاط ، المنفرد فى نشر أعلام التو
القائم فيها لله تعالى بالتجريد المؤيد فيها بالإعانة من الحميد المجيد المسدد فيما يبدى
من الدقائق ويعيد المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضال مضل
الذى بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض
وانتشر قامع أهل الشرك والضلال ورادع ذوى الزيغ والضلال معز أهل ال
والإخلاص والجمع ومذل ذوى الإلحاد والأهواء والبدع من أصبح محيا الدين
وأضحى منيرا وظلام الضلال متقشعا مستطيرا وثغر الحق متبسما تبجحا وتبشيرا وأصب
به السمحاء مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمة على نهجها فى البادية وال
يؤمها الحاضر منهم والباد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرا من العباد وهلك من أ
الله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاحبها ونهجها الق
منها مائلها ومعوجها، ناهج منهج الصواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله
وجعل الجنة مثواه، فلما أراد الله تعالى أن يصب سحاب الرحمة عليه ويوصل تمام جو
وإحسانه إليه ويدنيه من حضرته ويقربه لديه اختار له منزلة الدنو من الحضرة .
يوفيه بفضله أجره ويمحو عنه ازره ، وكان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى فى شه
ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال ، فنقله الله إلى جواره وحض
وقربه إلى حظيرة قدسه وجنته وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته ومحل تفضله وإح
ومبرته وكانت حاله من العبادة فى الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام لا يزال
القرآن فى دجا الظلام ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام والتأنى والتثبت فى تنفيذ الأح
حتى يتيقن ذلك ويحكمه أتم الإحكام، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصده ولا
على ضده عداوة ولا ترده بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه وتبين له فصل

كتب الأئمة الأربعة المقلدة فى ذلك المتبعة لايعدل إن لم يجد نصا من كتاب الله
ة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا إليها ، ولا يعول إن لم يلف قاطعا إلا عليها بعد
ءة والتحقيق للنص وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص. وكان رحمه
الى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى هو الذى إليه بيت المال يجبى ويدفع إليه ذلك
من جميع بلدان المسلمين ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من
مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا وعن كثرة الأكل منه متعففا بل يجعله
ا ومصرفا ولا يأكل منه إلا بالمعروف وليس أحد عنه من ذوى الفقر مصروف
سمحا جوادا كريما لايلفى عنده المال مقيما ، وكان لايرد السؤال إما أثاب عاجلا
د حال فيرجع سائله بنجح الآمال . وتوفى رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهم
زع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل
ر . وقال المصنف يرثيه :

الله فى كشف الشدائد نفزع	وليس إلى غير المهيمن مفزع
كسفت شمس المعارف والهدى	فسالت دماء فى الخدود وأدمع
م أصيب الناس طرا بفقده	وطاف بهم خطب من البين موجع
لمسلم أرجاء البلاد لموته	وجل بهم كرب من الحزن مفظع
ب هوى من أفقه وسمائه	ونجم ثوى فى الترب واراه بلقع
وكب سعد مستنير سناؤه	وبدر له فى منزل اليمن مطلع
بح تبدى للأنام ضياؤه	فداجى الدياجى بعده متقشع
غاص بحر العلم والفهم والندى	وقد كان فيه للبرية مرتع
م جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا	فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
م ذوو فقر وجهد وفاقة	حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
د رفع المولى به رتبة الهدى	بوقت به يعلى الضلال ويرفع
له من لمعة الحق لمحة	أزيل بها عنه حجاب وبرقع
ه غير الفهم مولاه فارتوى	وعام بتيار المعارف يقطع
يا به التوحيد بعد اندراسه	وأقوى به من مظلم الشرك مهيع
ار صبح الحق باد سناؤها	ومصباحه عال ورياه ضيع

سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها ... سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة أحمد ... يشيد ويحيي ما تعفى ويرفع
وينفي الأعادي عن حماه وسوحه ... ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
يناظر بالآيات والسنة التي ... أمرنا إليها في التنازع نرجع
فأضحت به السمحاء يبسم ثغرها ... وأمسى محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامسا ... وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرّت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر ... وأنواره فيها تضيء وتسطع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه ... مصابا خشينا بعده يتصدع
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى ... وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين بيومه ... وظنوا به أن القيامة تقرع
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا ... وكادت قلوب بعده تتفجع
وفاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم يهمع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فمالي أرى الأبصار قلص دمعها ... وليست على فقداه تهمي وتدمع
ومالي أرى الألباب تبدي قساوة ... وليست على ذكراه يوما توجع
لقد غدرت عين تضن بمائها ... عليه وكبد قد أبت لا تقطع
يحق لأرواح المحبين أن ترى ... مقبوضة لما خلت منه أربع
وتتلو سريرا فوقه قمر الهدى ... وشمس المعالي والعلوم تشيع
فما بالها قرت بأشباح أهلها ... ولم تك في يوم الوداع تودع
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى ... وحل به طود من العلم محرع
لئن كان في الدنيا له القبر موضع ... فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
سقا قبره من هاطل العفو ديمة ... وباكره سحب من البر همع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ... ولا زال بالرضوان فيها يمتع

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له السمو والصعود فسار بالمسلمين يطوى المهامه ويتحمل فى ذلك المشاق والمكاره وينضى الاجسام والقلوب فى قطع تلك المفاوز والدروب حتى وطأ بيمنى اليمن أرض الحروب فشرب هو وجنوده من الحناكية وروى وارتوى فعزم أن يصبح حربا ومطيرا على الشقرة ونوى فما أقام بعد ذلك ولا ثوى بل سار حين ألفته منه العيون وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون وأنهم عنه منهزمون وقد ظنوا أن المسلمين لهم لايطلبون فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود إلا والمسلمون من عليهم نهود فكلّ فر بنفسه يجود ولم يستطع الوقوف فضلا عن القعود فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب فشمروا للهروب بين تلك الشعاب وكان المسلمين خلفهم طلاب فشدوا فى أثرهم بالسير والذهاب فلم يبرحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم حتى صاروا شذر مذر وتوعروا الريعان والحجر وتجللوا صلد ذلك المدر فرجع عنهم المسلمون وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون وغنموا غنيمة عظيمة وكانت على المشركين أخزى هزيمة وأخذوا ثلاثين من الخيل وحازوا مجدا وفخرا ونالوا مع ذلك أجرا واجتمع من الإبل فى تلك الغنيمة ثلاث آلاف فقسمت على التسوية والإنصاف وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال ورجع المسلمون بنيل الآمال فى أحسن حال وأنعم قلب وبال رغما على أنوف أناس من ذوى الشر والإبلاس الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم فظنوا أن الطريق الذى عليه الموحدون ضلالة وحمق وبدعة وجهالة وسفاهة محققة مفهومة ووسوسة عند العقلاء معلومة وبالخروج موسومة وستموت بعد موت صاحبها وينطفى منير مناهجها ولاحبها ويندم حينئذ قلب طالبها فلا تلفى لها من الناس داعيا ولا تجد بعده سامعا ولا واعيا فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى وأخزى ذوى النفاق والأهوا وألقاهم بقدرته فى القعر الأهوى وطبع على قلوبهم بطابع البلوى وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى. وفيها غزا هادى بن قرملة مع جمع كثير العدد وليس معهم غير البدو أحد مجدّ فى سيره ذلك واجتهد مع أولئك الأعراب حتى وافق مطير على ماء الحنابج فى ذلك الطلاب فصبحهم على ذلك الماء المورود فالتقته فرسانهم فبذلوا فى الذب المجهود فاجتلدوا ساعة حتى منّ الله الودود بالنصر على المسلمين فأصبح كل من ذوى الشر مشرود وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير وفاءوا بأحسن بشير .

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل

الخرج والفرع وأناس من البدوان فشمر لقصده وابتدر حتى بدت له أعلام قطر فأغار على من بدا منهم وظهر فأخذ ما معهم من غنم وركاب بعد مجالدة وضراب وصدر إلى وطنه وبلاده بعد نيل مراده . وفيها غزا سعود سلك الله به مناهج السعود فسار بالمسلمين يريد بنى خالد وكانوا مجتمعين فشمر فى ذلك وجد السير والسرى ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى من ظهور برّاك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورياسته فى بنى خالد والحسا وولايته وأخـذه لفرقان من سبيع وغيرهم واعتدائه عليهم وغارته ؛ فلما توسط المسلمون تلك الفجاج وتسنموا ذروة ذلك المنهاج ورأوا ما بذلك العربان من الانذعار والانزعاج علموا عند ذلك خبره وفهموا غارته وضرره ، فأحضر سعود غزاة الإسلام ونشر لهم تلك الأعلام وطلب منهم المشورة والإفهام وما يترجح عندهم من المرام هل يقتفى أثر هؤلاء الأقوام أو يقصد أهلهم ومحلهم فليس عندهم من يحول دونه من الأنام فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام أن يعمدوا إلى أهلهم عاجلا فيصبحهم ويرجع آملا فذلك لدينا أولى وأرجح وأسرع للمراد وأصلح فأبى ما دعوا إليه وقال : إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار فهو إنكاء لهم وأسدّ فى الرأى والأفكار وصمم على ذلك الشان بعزم مرهف وحزم باتر وسنان، فلم يثنه عن ذلك رأى إنسان وكان ذلك توفيقا من الله وإحسان ؛ فنهض بعد فكرته فى حينه وساعته بعد سؤاله مولاه واستخارته وجدّ فى السير عازما والملاقاة رائما وقال بعد رفعه أكف السؤال بخضوع وإذلال: يامن لا تخفى عليه خافية فى السر والعلانية مكنا من هؤلاء واجعل مناياهم دانية واجعلهم خبرا بعد عين وأدر عليهم دائرة البلاء والحين ، فعجل مولاه له الإجابة وأدرك منه ثأره وطلابه ، فلما وصل إلى ماء اللصافة وقد انجـلى عن من معه الوجل والإخافة نزل بها يرصد من أولئك القدوم ويتحرى لهم كل ساعة الهجوم حتى أنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة : قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والإمداد وأشرق يمنك فى الآفاق وتلألأ حظك فى الإشراق ولن ترى لأعدائك من باق ، فنهض مسرعا لذلك الندا فإذا المراد قد طلع وبدا فأسرعت من قومه خيل العرب البادية فناوشهم الطعان الفرسان العادية وظنوا أن هـذا غزو لبعض البدوان فطمعوا عند ذلك فى الطعان وراموا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشتيتهم فى البلدان ؛ فلما تناشبت القواضب والحراب وتلاحمت فرسان الأعراب طلع عليهم علم الاسلام وأظلهم من الحمام

غمام وأمطرت عليهم من العذاب سحائب وجرعتهم من كؤوس الردى مصائب وحلت بهم خطوب ونوائب واستقلت عليهم كروب غرائب وسدت عليهم مناهج المطالب وأبدى الله تعالى فيهم أمورا عجائب وصار كل منهم للنجاة طالب وفى سلامة عمره راغب وعن حومة الوغى هارب، فأخذ المسلمون يقتلون فيهم قتلا ذريعا حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستمائة سريعا وأخذوا ما معهم من خيل وركاب وجدوا فى أثرهم الطلاب وهم يأخذون فيهم ويقتلون والمسلمون لهم مقتفون ، والذى غنمه المسلمون من الخيل مائتان مختلفة النوع والألوان، وفى تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز لم يدركوا سعودا فصار لهم إلى بنى خالد انتهاز فصبحوا أهلهم وأخذوا كثيرا من الإبل وحووا غالب المحل وجرى بينهم قتال فرجع أهل الغارة على عجل وقد فازوا بالأمل ، ولما فرغ شأن أهل الشيط وانقضى سار سعود يريد الحسا ومضى وأرسل غنيما أبا العلا ومهوس بن شقير إلى من فى الحسا من الملا وكتب معهما كتبا يدعوهم إلى الدخول فى دائرة الأمان ويطلب منهم الاسلام والإيمان ويرغبهم فى الانقياد والاستسلام لدعوة الملك العلام ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام ويحذرهم الصد والإعراض فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض وكانوا إلى الاجابة فى مبادرة وانتهاض بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض فأجابوا جميعا أولئك الدعاة وكل أطاع بذلك وأحاط به علما ورعاه ، وأسرعوا إلى خط الكتاب وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياب ولم يدخل قلوبهم إذ ذاك ارتياب ولا اضطراب وحثوا سعودا على القدوم إلى البلاد حتى يبايعه أولئك العباد ويمهدهم أحسن المهاد ، ولما أرسل سعود غنيما ومهوسا إلى الحسا أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين وأمرهم أن يكونوا فى طريق الحساء مكمنين حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين ، فلما قدموا ذلك المحل وافقوا غزوا لأهل عمان قد جدوا فى الهروب على عجل فقتلوهم وكانوا يزيدون على مائة رجل وأخذوا ما معهم من الخيل والابل، فلما قدم إلى سعود الكتاب والرسل تم له السرور وحصل وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام وكان قدوم الرسل فى وسط شعبان وقدوم سعود أول رمضان ، فلما قارب القدوم والوصول كان لكثير من أهل الحساء إلى ملاقاته حصول وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول ، فنزل قرب عين نجم وطلع لسعوده فى أفقها نجم وخرج إليه جميع أهل البلاد وعاهدوه على الاسلام

بالانقياد والاعتصام بحبل الله والقيام على أعـداء الله وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام والاهتمام بها أوفر اهتمام وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام ترغيبا لهم فى البقاء على الإسلام وتأليفا لأولئك الأقوام فأبوا إلا الذل والصغار حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار؛ ولما أخذ منهم أوثق العهود وأحكم عليهم فى البيعة العقود وقلد بالبيعة رقابهم وعرف حالهم ومآبهم وأنهم قد طوقوا بها الأجياد ولم يدر أنهم من الخيانة على ميعاد شرع فيما يطلب به شرعا وألقى فى إنجازه بصرا وسمعا، فأمر بجميع مافيها من المعبدات والقبب والقبور التى يستغاث بها وتدعى وتندب أن يزال ما فيها من المحظور وأن يسلك بها سنة القبور وأن تستوى على المنهـج المشهور وأن لايصرف إليها نذور وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرفض والبدع فالتزم أهلها الصلوات الخمس والجمع ، وبعثرت أماكن الزيغ والأهواء والضلال ومعتقدات ذوى السفاهة والاعتزال وذوى الضلالة والإضلال وأمر بإقامة شرائع التوحيد والاسلام وإبطال ماخالف الشرع من الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات فى المساجد ومعاقبة كل متخلف عنها معاند وقتل كل منكر جاحـد ، ونادى على أنواع الربا بالإبطال فلا يسعى فى أسبابها ولاينال وإفساد كل حيلة داعية إليه أو طريقة هادية عليه ،فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل وذوو العقول القاصرة التى لم تدرك المعرفة ولم تنل يتحسرون على مذاهبهم الأول وذهاب أهل تلك الدول ، وأمر بالتدريس فى جميع الأربعة المذاهب وتأييد كل سالك إليها وذاهب،وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه وذكره والتجرد والتجريد فى تفهم التوحيد ، فقاموا فيه بعد ما قعدوا وشمروا فى العلوم واجتهدوا وأقر الأئمة فى مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها ، وقرر العلماء فى المدارس فأصبح كل فى كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهجها مطموسا ولا دارس وأقر الأحباس والسبل،فلم يصل إلى أربابها خلل،وأبطل جميع أوقات الرفضة وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه ، وأبطل جميع أنواع المظالم ، وعفى أثر المغارم فكسد سوق الأخماس وعطلت العشور والأمكاس فاستقامت الحنيفية السمحاء على المنهاج وزال مابها من الاعوجاج، فأسفر وجه الحق بعد ظلامه وتقشع منه كثيف قتامه وانجلى عن بدر السنة متراكم غمامه فأضاء نوره وأسفر واستكمل التمام بعد ما أقمر فصدحت حمائم النصر بألحانها وصدعت بنغمات العز على أفنانها

تغنت فى روح الأنس على أشجارها بأفنانها مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا
سكانها بإزالة المحذور وحلول التوحيد فى أوطانها . ولما أفرغ جهده فى مهد سنن
لحق والهدى ومحق مناهج الضلال والردى وفرغ من إكماله وأسباب أعماله وتم
ه فى ذلك المراد وعزم أن يرحل عن تلك البلاد ، فأشار عليه كثير من أهل البلدان
ن يبنى له حصنا وجدّ كل منهم فى ذلك واجتهد ، وأتوا إليه مرارا عديدة فكانت
قوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة ومشورتهم غير مفيدة واستعانوا عليه بجماعة
ن قومه من ذوى الشأن على إنجاح ذلك البنيان وتعجيله لهم فى ذلك الزمان ؛ فلما
م يجد بدا من ذلك سمح لهم باللسان وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان ،
فاجتمع الرأى والنظر والمشورة والفكر على أن ليس له مكان يصلح ويليق سوى
بيوت آل حميد وما حولها من الفريق فطاع بذلك ودان وهدمت تلك البيوت
فى ذلك الأوان وكل بيت ليس ببيت مال واحتيج إليه أمر أن تدفع إلى ربه قيمته
كاملة وتحضر لديه فلا يضيع ملكه عليه وحث على ذلك قيمه وأوصاه وحذره شؤم
العاقبة إن خالف أمره وتعداه ، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل فى إحكام ذلك البناء
والعمل ، فلم يرد إتمامه عز وجل . ثم ظعن سعود حرسه الله تعالى عن مكانه وارتحل
وقصد قرية أنطاع من القرى ونزل ولما أراد الله تعالى الذل والهوان بأهل ذلك
المكان وحكم عز وجل بدمار ذلك المحل وأن تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين
والذلة لأهل الإلحاد والمبطلين فتح لجميع الضلال والغواة أن يدعوا مسلك الفوز
والنجاة ويلوذوا إلى مناهج البغاة ويجنحوا إلى ظلم تلك الظلالات ويقتلوا أولئك
القوم الهداة والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة ويسقوهم صرف الحمام والردى ويطمسوا
بعد ذلك منار الحق والهدى ويعلنوا بأمور الفسق والردى ، ويحسبون أن الله تعالى
يتركهم سدى ، كلا وعزته لايفوته من بغى واعتدى فسعى فى نسج برود الإثم
والأوزار وهيئوا لها أردية وإزار ، وقام فى ذلك الأزر والآثام أناس كثيرة وأقوام
ينسبون إلى الكرم والإكرام وأكثرهم فساق وطغام ورفضة وفجار وعوامّ ، منهم
محمد بن سعدون ومحمد بن عبد العزيز ومن العتبان مهينى بن عمران ، ومن أهل الهفوف
سعد آل ملحم وابن عفاف والحبابى وعلى بن أحمد وابن حبيل وصويلح النجار
فاجتمعوا فى بعض ليالى تلك الأيام خارجين عن البلد والأنام حين استحكم دجى الظلام

وأناخ بجرانه على العيون بالمنام، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام، وتجارت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام، وتبارت في ذلك المضمار على الإنفاذ والإبرام ولكن لا يدرك ولا يرام إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام، وتوثيق ذلك بالحلف والأقسام والتغليظ في ذلك والإعظام. فحكموا أمرهم بينهم وأبرموا غدرهم وشينهم ولفظوا بنقض العهود في ذلك الميعاد، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإنفاذ، فأسرعوا بعاشر شوال يوم الجمعة في الارتداد وقتلوا كثيرا من أهل التوحيد والرشاد الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد. وتعاطى ذلك الأمر وباشره أهل الشر والفسق والفساد وغيرهم من ذوى الشقاق والعناد فأصبحوا وقد أشفوا من دماء المسلمين الفؤاد فأطفئوا بتلك الدماء المراقة لواعج الحزن الذى أربى في الاتقاد وأوقده الأسف غاية الإيقاد، فباءوا بسخط رب العباد ودخلوا في دائرة أهل الإبعاد ومهدوا لأنفسهم من الهلاك مهاد (إن ربك لبالمرصاد) فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد وطوح بهم في خصلة الطرد والبعاد، فنالوا بعد ذلك أعظم الأنكاد، وقتل غالبهم بعد أمد من الآماد وجلا بقيتهم في كل البلاد فهم كل يوم في عناء وضنا وسقم ومقاساة هموم وأحقاد، ولا يزالون في مزيد وازدياد، وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة حين وقعت تلك الفتنة القبيحة في البلد ضجة هائلة عظيمة، وأظلتها حينئذ خطوب جسيمة وقتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عيدان وهؤلاء يعلمون الناس التوحيد في تلك الأوطان، وقتل أمير المرابطية محمد بن سلمان وقتل محمد الحملى الأمير وحسين أبو سبيت الوزير وسطا في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم ونهبوا بيت أبي سبيت والحملى، وأخذوا ما فيها من المال وباءوا بأقبح الأحوال. ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخاه وصالح بن عياش وأخاه وأحمد بن هديب بأن يحسبوهم في الطرف فأقاموا عندهم مدة، وكان جملة من قتل نحو الثلاثين، وقتل في الهفوف عبد العزيز اليمنى. ولما سمع محمد بن غشيان وكان أميرا على مرابطية من في الكوت من أهل الإيمان أصوات الناس والضجة وذلك اللغط والعجة ركب خيلا مع قومه وابتدر الأصوات وكان مقيما في بيت الباشات؛ فلما عرف الحال وتحققه وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهقه قصد كويت الحصار وكان إذ ذاك لم يكمل له الأسوار فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه، وكان قد أخذ على

ركابه بعض الزاد لأجل التهيؤ فى الحصار والاستعداد ، فأطبق خلفه تلك الأمم حين قصد ذلك القصر وأمّ ، وراموا له وقومه إدراكا ونظموا له عقودا وأسلاكا ، وأسرعوا إليهم ونهدوا وحاولوا فى ذلك وجهدوا وحرصوا على ذلك وجردوا وأخزاهم الله تعالى فما ربحوا ولا سعدوا . ثم بعد ذلك بأيام اجتمع أهل الحسا فى انتظام واتعدوا على السور أولئك الأقوام فخرجوا كأنهم جراد منتشر وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من البشر وحاولوا فيه بأنواع من الضرر وجاءوا بأمور بعضها أدهش وحير الفكر وبهت العقول وبهر ، وأضحى كل من فى ذلك القصر محاطا به محتصر يجزم كل من شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر حتى إن محمد بن غشيان عدا عليهم فى غفلة وقتل أربعة منهم وصدر ، وقتل منهم رجال كثيرة فى تلك الأيام ممن قاتل وحصر ، فرجعوا خائبين ولم يكن لهم عليهم مقتدر (ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر) ولم يفيئوا إليه ولم يقبلوا عليه ولم يكن منهم مدكر (حكمة بالغة فما تغنى النذر) وبقى ابن غشيان فى ذلك القصر أياما ولم يدرك منه تلك الأحزاب مراما وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقداما ، فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقداما ونالوا ذلا وخزيا وهوانا وإحجاما ، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلاما تزيد الموحد لله فى الله إعظاما ، ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد ولم يبق عند محمد وقومه شىء من الطعام ولا رهبة يقاتل بها تلك الأقوام خرج ليلا ونار وسلك سبيل الفرار وخرج من الحصار وجد فى السير والذهاب ، ولم يكن لهم إليه طلاب فشمر إلى إخوانه وبلده وأوطانه .

ولما خرج ابن غشيان وافاه غزو المسلمين من العتبان فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة وهجموا عليهم بين الدور ووقع القتال فى تلك القصور وقتلوا منهم رجالا وأخذوا منها حيوانات وأموالا ورجعوا سالمين ، وجاء سعود حرسه الله تعالى الخبر وشاع الحال واشتهر وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع وقد امتلأت بذلك الأسماع ، فاستشار أهل الدين والإسلام فى الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحساء والإقدام ، فاختلف لسان المقال وتدبير الفكر والبال فى ذلك الشأن والحال فبعض رأى الإقدام عليه وصوبه وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيء مطلبه وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكربه وبأسه وخطبه ونوبه ، فسار يريد نجدا ويجدّ

السير ذميلا ووخدا ، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدا ، ويمكنه من تلك الأعداء ويهيء له من أمره رشدا ورشدا ويوليه إسعادا وسعدا ، فوصل إلى بلاده فى ذلك الزمان وصار مجيئه الحسا بعد آن . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية فسار يريد بنى عمرو وكانت للمسلمين معادية فصبحهم بالغارة ، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره بل جد وصدق فى النيارة ، وقتل المسلمون منهم رجالا وأدركوا من الابل منالا .

ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف . وفيها سار سعود سلك الله تعالى به السنن المحمود يريد الإحساء وإحصارها وتدميرها وفجارها وفساقها وكفارها وأرفاضها وأسوارها وذوى الردة والذين أطاروا شرارها وقتلوا معلمة التوحيد وأضيافها وخطارها ، فأغضبت ملك الملوك وقهارها وأسخطت خالقها وجبارها وغافر الذنوب وستارها ، فأسرع فى السير بالمسلمين وقد اتفق رأى الموحدين على الحصار والمضايقة والمنازلة وبذل الجد فى الاجتهاد والمقاتلة . وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك النازلة فى بلد الكويت نازلة فأقبلوا بعد مدة على الحسا فزادهم الله تعالى حزنا وأسى وبقوا مع أهلها تلك الأيام وهم مستعدون لقتال أهل الاسلام ؛ فلما كان آخر عاشوراء المحرم عزم سعود على النزول وتقدم فنزل على قرى الشمال وكان فى الشقيق ستمائة من الرجال فأضرمت نار الحروب وأحاطت بهم سوء الخطوب فأوقدت أعظم الوقود وأحدقت بهم أولئك الضراغمة الأسود ؛ فلما نزل سعود فى ذلك المكان خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستمائة من العسكر من أهل العصيان ووقع بينهم وبين المسلمين قتال وقتل ذلك اليوم بينهم رجال ، فلما أضاءت شمس ثانى يوم بالنور بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور فسار إليهم أهل الإيمان وأرادوا البروز ، فما كان وبقوا محتصرين فى ذلك المكان وجرى بينهم قتال بالبنادق قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق ، وشرع المسلمون فى قطع النخل حتى منّ الله تعالى عليهم بالفتح والفضل . فلما كان أول الليلة الثالثة حين استحكم الظلام هرب من فى الشقيق من أولئك الأنام وتفرقوا فى القرين والمطيرفى والمبرز والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز ، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين فى ساعة الهروب والانهزام فأرسل أناسا يحفظونها من أهل الاسلام فألفوها من أهلها خالية وأخذوا الأموال التى فيها حالية لما كانت حماتها عنها جالية ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى فى القرين وهموا بالاشتداد

وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة وناوءوهم بطول الاقامة والمصابرة ، فكتب الله عليهم الهوان والذلة ، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والمحلة ، فصالحهم عنها على نصف ذلك فتناصفوا جميع ماهنالك من أمتعة وسلاح وحيوان وجميع أنواع المال وطعام وغيره فاقتسموا على تلك الحال ونحى أهل المطيرفى فى ذلك المنهج، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عرّج، فلما انقضى شأن الشمال فى قليل من الأيام والليال وأطاعت تلك القرى مما حل بهم واعترى وذلت أنصارها وهانت وألقى المقاليد بعضها للاسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجلاء عن الوطن فكل ارتحل عنه وظعن سار بعض الخيل والجيش إلى أهل المبرز فخرجوا جميعا ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز فالتقوا مع المسلمين وجالت معهم فرسان الموحدين وجرى فى ذلك المجال طعان وقتال فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا فى الهزيمة وقتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدير بن عمر وحمود بن غرمول ، فرجع المسلمون إلى رحالهم ومحلتهم بعد ماجدّ الأعداء فى هزيمتهم ، ثم بعد أيام نهد المسلمون إلى أهل المبرز مرة أخرى وتقابلوا معهم عصرا وخرج أهل المبرز للقتال وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال فتداعى الجميع فى ذلك المجال ولم يقدر فيه انقضاء آجال فرجع كل إلى ماله من موضع ومآل ؛ فلما عرف المسلمون من أهل المبرز تلك الحال واختبروا سيرتهم فى القتال سعوا لهم فى تهيئة أسباب الحيلة والخداع باظهار بواعث الطمع والأطماع حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليستمروا المسلمين فى اقتفاء واتباع حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع ويحطوهم عن ذرى تلك التلاع فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع ، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع ويعطفون عليهم كضوارى السباع والنسور الجياع فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع ورعب واندعار وارتياع ، فيشدّ المسلمون عليهم فى الاتباع بقلوب متوجدة عليهم ذات التياع وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع ومواض مصقولة الشبا حدها باتر قطاع ، وأسنة كالبرق اللماع سريعة الانتهاب للأرواح والانتزاع؛ فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال فى الاسراع واجتمع من أهل الحسا مالايقدر عليه ولا يستطاع ولم يطرق السمع فى قتال العرب مثله سماع حتى كادت ألباب المسلمين أن تزيل القناع، فناداها هاتف الاقبال بصوت ملأ

الأسماع قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تراع ، فسكنت وراضت وكان منها لذلك قبول واستماع، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدمت النفع والانتفاع، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياع، وكل ينشد بعد الحوقلة والاسترجاع قول شاعر مقدم شجاع :

أقول لها وقد طارت شعاعا　　من الأبطال ويحك لاتراعي

فصبرا فى مجال الموت صبرا　　فما نيل الخلود بمستطاع

فان الموت غاية كل حى　　وداعيه لأهل الأرض داع

فصد قولهم الحملة فامتقعت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتقاع، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع ، ولم يحصل منهم ولله الحمد مطاعنة ولا نزاع ، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة فى المجال فضلا عن الجلاد والقراع ، فجفلوا كأغنام صاحت بها أسود بقاع ، فصار لهم إلى البيوت معاجلة وانقطاع ، وقتل منهم نحو الستين ذلك اليوم ومثلها فى سائر الأيام فكان بها اقتناع. وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان المشرق ، فلم يكن له إلى المبرز رجوع ولا ارتجاع إلا بعد طلوع الشمس ثانى يوم حين علم حال البلد بتحقيق الاطلاع . ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال ، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضلال وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة المجال ، وأخذ المسلمون مافيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال ؛ ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان المشرق يريدون عليها الإقدام ، فهجموا على مضيق تلك الدروب ، وطاف على الجبيل طائف الخطوب ، فاقتحم المسلمون عليهم وأرادوا الوصول إليهم ، فوقع عند البلاد قتل وجلاد ، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم وارتجف أهل المشرق فى أوطانهم وبقى كل من أهل الإسلام تلك الليالى والأيام يجدّ فى القتال ويجدّ فى الضرام ، فأسرع المسلمون خصوصا العربان وسائر أولئك الأعراب والبدوان يباكرون صرم النخل والأثمار ، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار وأهل الحسا فى مضايقة وبأس ودمار وضيق معيشة وحصار ؛ فلما أراد الله تعالى أن يبرز فى مقام الإظهار ماقضاه سبحانه لأوليائه واختار ، ويسلك بهم الطريق السهل الخيار، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار ، ويستقر قواعد التوحيد فى تلك القرى والأمصار ، فيشتهر ذلك فى سائر الأقطار أتى براك بن عبد المحسن سعودا حرسه الله تعالى ، فأخبره أن أهل الحسا لهم

رغبة فى الدخول فى الدين وإقبال وأنهم متندمون على صدور تلك الأفعال ، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام والالتزام بسائر الأحكام ، فقال ذلك لهم ولا يردون فعساهم لسبيل الحق يهتدون ، وعن مهيع الغى ينتهون ولكن يخرجون للعهد إلينا ويقدمون للمبايعة علينا ، فعاد له بالقول مرارا ، وقال إنهم لايقدرون على مواجهتك خوفا منك وفرارا ولا يستطيعون لرؤيتك اصطبارا ، فلم يرعو إليه وأولاه إعراضا وازورارا وقال لابد أن يسرعوا إلى ذلك المكان إحضارا ، فاستعان براك بكبار أهل التوحيد على إنجاح ذلك الرأى السديد ؛ فساعده أهل الدين والإسلام ، وقاموا معه أتم القيام حتى نجح ذلك المنى والمرام ، واتفق الرأى والانتظام بين براك وكبار أهل الحسا أن سعودا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام ، وفرغنا من الأثمار والصرام أنك تأتينا ونبايعك على الاسلام ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه وننفيه هو وأعوانه ولعل هـذه حيلة وخديعة إذ لم تكن نفوسهم بمجيئه لهم مطيعة ، فارتحل سعود بلغه الله تعالى المقصود حين ألح عليه إخوانه فى ذلك الشأن ، وقالوا عسى أن يكون هذا سببا لهم فى الإيمان ، وجد فى سيره يريد الأهل والأوطان ، وقدنال أبهى الأنس والسرور والتهان ، وأزهى صلات البر والجود والإحسان؛ فلما وصل سعود إلى تلك الديار زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار ، وبرحوا على ذلك مدة أيام ، وقد وجدوا بعد ذلك لذة المنام ، وزال مابهم من الهم والأسقام ، حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام ، يريد ذلك العهد منهم والإبرام ، والوفا بماعاهد عليه أولئك الأنام، وقال لهم هذا وقت الوعد فقد وصل سعود إلى نجد ، وقد حان حين الوفا فاياكم وسلوك طريق الخلف والجفا ، فتصيرون من الهلاك على شفا ، فأبوا إلا الخلف والإخلاف وركوب متن الإجناف ، فلم يحصل بمرامه إسعاف ، وثار بينهم القتال ، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال ، وافترقت قلوب تلك القبائل فكان الله تعالى لهم مذلا وخاذل ، فلم يقبلوا نصحا لقابل ولم يروضوا إلى عذل عاذل ، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل والقضاء النافذ الفاصل ، فانصرف عنهم براك بعد أن لم يحصل على إدراك ، وخرج إلى البادية ثم بعـد ذلك كانت خيله عليهم عادية ، وقدم عليهم فى رمضان وجرى القتال والطعان وخرج جملة من أهل الدين من السياسب مجتمعين وكبيرهم سيف بن سعدون فكانوا للقتال كل يوم ينهدون ، واجتمعوا فى قرية الجشة بعـد أن لم يدركوا فى المبرز حيلة

فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة ، فاجتمع أولاد عريعر محمد وإخوانه وجميع جيشه وأعوانه وأهل المبرز وأهل الهفوف فى بلد الجفر وكانوا مما لا يضبطهم الحصر فمكثوا فيه أياما وأطالوا فيه مكثا ومقاما ، وكل يوم وحين ينهد إليهم براك والبدو والسياسب مجتمعين ، ويقع بينهم طعن وطعان ومجاولة خيل وفرسان وتلاحم ومصادمة واقتران ، وقتل بينهم رجال فى تلك الأيام والليال ، والكل يبدى الصبر فى حومة المجال ، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال وحسن العاقبة للمسلمين والمآل ، فأدخل براك الهفوف باحتيال فطاب له حينئذ القلب والبال وتم له السرور والإقبال ، وهرب أولاد عريعر دويحس ومحمد وماجد وكل من الخاصة مساعد ، وأقبل براك إلى المبرز صبيحة ذلك اليوم ، فتلقاه بالقبول أولئك القوم وأتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام وإنجاح السول والمرام ، فطلب منهم المعاهدة على الدين والاسلام والالتزام بجميع الأحكام ، فعاهدوه على ذلك وحدانا ومجتمعين والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين ، فوفى العهد طوائف وحمائل وآحاد فى الفرقان غير منحصرين والرافضة وكثير من غيرهم دخلوا فى ذلك العهد مكرهين وودوا لو أصبحوا له ناكثين ، ولكن الله ضرب عليهم الذلة بحوله إلى يوم الدين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ؛ ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه وتحقيقه وإحكامه وجريان شرائع الدين فى الحسا وأحكامه كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه ، فسرّ بذلك الاخبار والإعلام وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام على ما حبا أهل الاسلام من هذه المواهب الجسام ، فأمر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يبذل فى الدين جهده ويوفى عهده ووعده ، ويجلى ابن فيروز وأحمد بن حبيل ومحمد بن سعدون فجلوا بعد ما ألزم عليهم براك يخرجون . وفيها غزا محمد بن معيقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل ، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أناخ بدومة الجندل ، فحط فيها رحله ونزل ، ثم أخذ يحاصر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزيغ والافترا ، ويفاجئهم كل يوم بالقتال ويغاديهم بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال ، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بنى سراح ، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح ، واجتمع عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراح ، ولهم تقدم وإقبال وكانوا فى حصار

شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا ، فلم يدنسوا وجوههم بغبار الردة ولم يخطوا . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الخرج والعارض وأهل سدير فشمر ساعده للجد فى السير حتى وصل إلى بلد الكويت بعد الهجوع ، فأناخ بهى مامعه من الجموع ، فلم تنجل الغياهب حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكمين ، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعقدوا للحرب المجال ، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكمين فولوا مدبرين وعمدوا إلى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين وأخذوا عليهم غنما كثيرة وأسلحة ثمينة شهيرة ، ورجعوا إلى بلادهم فائزين والمال والأجر حائزين . وفيها غزا هادى بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد بن معيقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان ، فلم يزل فى ذلك النهج سائر، حتى صبح عربانا كثيرة من البقوم وبنى هاجر ، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر والظلام مجتمع العساكر، فلم يرعهم إلا ركام العيائر والجياد التى كأنها الرياح السوائر ، ولمعان المرهفات البواتر ، والأسنة التى تفتت الصدور والمرائر ، فراموا الجلاد ووطنوا عليه نفوسهم ، فأصبح كل على ماأصابه صابر حتى أراد الله أن يدير من البلا دائر على أولئك المخالفين لأمر عالم السرائر ، فشد عليهم المسلمون فأضحى جواد عزهم منكسرا عاثر ، فقتل ابن شرى المسمى ناصر ، وأرادوا بعده الثبات والتجلد ، حتى دههم ما لايستطيعه الضراغم فى الآجام والحواضر ، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه ثائر، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر وآب جند الضلال خائبا خاسر .

ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود أيده الله تعالى بالنصر والسعود ، وكان عربان الشمال له مرادا ومقصود ، فسار بالمسلمين يطوى منشور البيد بأيدى اليعملات على العنق والتوخيد ، ويؤم مطلع السها والفرقدين،ولم يبال بما حصل لعيسه من الكلال والأين ، ويشكو إليه طول السرى وحلول البرى قلوب الكمت والرواحل ، وتحن إلى الورود من فرط البعد ومداومة الوخد فيملها بزلال المناهل ، وكان لمطالعة القطب لاينفك ولا يزال ولارتعاب النصر والظفر فى ذلك الوجه فى رجاء وآمال حتى لمع ضياء البشرى والسرور فى ساجى ذلك الديجور

وطلع له كوكب الاقبال والحبور وهبت على أعدائه ريح الدبور ، فجاءته طلائعه وعيونه بالنهان بأن القواسم هاهنا وكبيرهم ابن عفيصان وهم عرب من آل ظفير ، فكانوا قبالته ووفاقه فى ذلك المسير فصبحتهم فى أرض الحجرة غارته ولم تسبقه عليهم نذارته بل فجأته بحصول مراده بشارته ، وبغت أولئك السلف دماره وخسارته فلم يستطيعوا مع المسلمين الجولان ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان ، بل ناوش منهم بعض الفرسان وراموا قليل طعان ، ثم شمروا فى الهزيمة من غير توان، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة وجميع الحلة والغنم وكان الإبل نحو ألف وخمسمائة بعير على سبيل التقليل لاالتكثير ، ورجع المسلمون إلى البلاد وقد حفهم الإسعاد . وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان ، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان وأسلم قبل ذلك الزمان فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعباد الأوثان خصوصا البدوان ، فبنى قصرا محكما ثم بعد ذلك تبين فى الدين معلما وجاهد من أهل دينه من لم يكن مسلما فنالوا منه ذلا وهوانا وندما وأسقاهم كؤوسا مترعة دما حتى حاولوا فيه مأثما وهيئوا له أمرا محرما ، فشرطوا لاثنى عشر رجلا كل واحد منهم فى البأس مقدما على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنما وينتقدها بعد الفعل متسلما ؛ فعند ذلك جد كل واحد فيما كان ملتزما ، فأبدوا للغدر والمكر حيلة وسلما فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علما ، وأقاموا أياما يدبرون لما راموا أمما ، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدما ، فلما كان بعض الأيام وشرع فى الصلاة من كان لها مقدما جاء جمع كثير فدلى كل واحد من ذوى المكر له حبلا ورمى ، فصعدوا جميعا السور ونزلوا وحمى الحرب واحتمى، ولعب الباطل بينهم وارتمى وانتخى كل بنخوة الجاهلية وانتمى ، فقتلوا غالب أهل القصر ، فصاروا شهداء رحما ، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه فى حبس الدما ، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالا كثيرة وإبلا شهيرة وانصرف كل منهم محبورا مكرما. وفيها غزا سعود خلد الله تعالى له الاقبال والسعود ، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله ، فجد فى طريقه وقد باراه النصر والاقبال وجاراه التأييد والظفر ، فلم يكن لهما عنه انفصال ولا مفارقة ولا زوال ؛ فلم يزل يدأب السير والترحال ويديم إنضاء الأعوجيات على اتصال حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوه وقربه ومنحه

طلبة أىّ طلبة ، وذلك أنه نزل على قرى تربة بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك المكان، فجرى بينهم مناوشة وطعان ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الحرار فلم يكن عليهم توصل ولا اقتدار ، ثم بعد ذلك أقام سعود فى تلك الأراض ، ولم يكن له عن حصار القرى إعراض ، فاستمر محاصرا لأهل تلك البلاد وكل يوم يصدو منهم قتال وجهاد ومصابرة عند التسور وجلاد ، وكل يوم يحمل أهل الاسلام على الأسوار ويرومون التسور على البلد والانحدار ، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت مايزيغ الأبصار ، وقتل من أهل الدين والإسلام فى جميع تلك الأيام نحو عشرة رجال كان لهم على الشهادة آجال ، منهم محمد بن غشيان وكان يعدّ من الأبطال الشجعان ، وقتل من أولئك قريب من ذلك ، ثم شرع المسلمون فى قطع مالأولئك الأقوام من تلك النخيل العوام ويخربون فيها كل يوم حتى كادت تنفتّ مرائر تلك القوم حين رأوا قطع تلك النخيل الجليلة وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة ، ولم يكن لهم سبب إلى سلامتها ولا وسيلة غير المصالحة عنها وكان ذلك لهم حيلة ، فصالح أهل قريتين سعودا على نخلهم وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم ثم بعد ذلك الحال وانقضاء المراد على الكمال ، عزم المسلمون على الارتحال فساروا على تؤدة وتمهال من غير غلو فى السير ولا إيغال . وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بجمع من أهل الخرج والفرع والبدو ممن يدعى الإيمان ، فسار يجد السير لنيل المراد حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد فأغار عليهم فثاروا فورا وتركوا الجلاد ، فأخذ ماعندهم من مال من أمتعة وغنم وآبال، وقدم بذلك بلد الاحسا وأقام ببيع ذلك فيها وأرسى ، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أمسى.

ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عساكر كثيرة وجنودا غزيرة ورأس عليهم فهيد الشريف ، فنزلت عليه البوادى كل سلف وفريق وسلكوا للشر كل طريق ، وأقبلوا يريدون ابن قرملة وكانوا على ماء يقال له ماسل ، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل وأتوه بعد قتل عيونه على غرة لينفذ الله أمره فدهموه وأهله فى شعب من الشعاب ، وقد ملكوا عليه فم ذلك الشعب فلا يمكنه خروج ولا ذهاب فطاعنهم زمانا طويلا وقتل منهم ثلاثين رجلا وقتل من خيل ابن قرملة نحو عشرين ، ثم انهزم ابن قرملة وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين ولم يقتل سوى رجل واحد من المسلمين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له كل مراد

ومقصود ، فسار بالمسلمين يعتسف من الفيافى السهل والصعاب ، ويطوى من أديم الموامى كل موحشة يباب ، لايسمع بها غير أصوات العرج والذئاب ، يضل فيها القطا فراخه فلا يهتدى ويحير الخرّيت فى مهامهها فيتقنع قناع الموت ويرتدى وتروح على رياضها اليعافير وتنتدى ، لايرى بقفرها أنيس ولايبصر فى لاحبها آثار العيس مظمأة لايدرك فيها مايبل صدى الظما ، يحاكى لون أديمها زرقة السما مغبرة الأفق والأرجا ، يحس السارى بها بما للجن فيها من الغمغمة والزمزمة والأزجا ، فلم يزل يدأب المطى فى ذلك السير الإعناق ، والأباطح تسيل منها بتلك الأعناق حتى قطع بصارم العروتين تلك المفازة وأراد مولاه لمراده إنجازه حتى تبين لهمن سواد الحرة ذلك الحجر وبدر له منها ذلك المدر ، وألقى لها الجران عند أولئك العربان وذوى الضلال والعصيان وكانوا أسلافا كبيرهم ابن محيور من العتبان ، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتام وسجى دياجير الإظلام إلى أن شدت عساكر الظلام فى الهروب والانهزام ، ونادى المنادى بدعوة الإسلام وأذن للصلاة بالقيام ، وقضيت على الطمأنينة والتمام ، وكان الدعاء بعد ذلك ختام ، بنيل التوفيق والمرام ، فأسرعت الرجال إلى الرحال وأطلق الركاب من الاعتقال وأسرعت الأبطال إلى الجياد وتسنموا صهواتها للجلاد ، وشرّع كل منهم سنانه وسأل مولاه الاعانة وجردت القواضب المرهفة ، وشنوا على أولئك العربان غارتهم المرجفة ؛ وشعواءهم المتلفة ، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة وأقبلوا فرسانا ورجالة وجالوا فى الحرب مجاله ، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والباس ، فانهزم ذوو الضلال والإبلاس ، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس وولوا على أعقابهم وتوعروا فى الحرة فى ذهابهم وعجل الله تعالى لهم بعض عقابهم ؛ فشد المسلمون خلفهم فى ذلك الأثر حتى أعياهم مقاساة ذلك الحجر وخشوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر ، فرجع كل واحد منهم وصدر وأخذ أهل الإسلام المحلة ، وشتت الله حزب الشرك وفله ، وأخذ من الإبل نحو الألفين أو يزيد ، ورجع المسلمون بالأجر والمزيد ، وأخذ أيضا عشرة آلاف من الغنم وغنموا أعظم مغتنم ، وقتل ذلك اليوم من المسلمين سبيلا وكان مقداما نبيلا . وفيها غزا قاعد بن ربيع أمير الوادى فسار بجمع من قومه يريد من هو للمسلمين معادى ، وأدلج فى ذلك الزمن وهجر لذة الوسن حتى رأى من بنى هاجر فريق آل ضمن ، فاستقر باله واطمأن وثبت قلبه وركن فصبحهم بالغارة المجيدة فكانت أسنته لهم عاملة

مفيدة ومرهفاته لهم مبيرة مبيدة فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ماعندهم من خيل وإبل وغنم ، وولى قليل من الرجال منهزمين ، وفيها أظهر الشريف غالب جموعا وأجناد وعساكر من كل قرية وبلاد وانضم إليه أهل بلدانه وجميع أعرابه وبدوانه، فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف وأمرهم بمصادمة بوادى الدين ومن هو منتسب للمسلمين ، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر ولا يصدهم عن مرادهم الضجر؛ فلما تحقق عبد العزيز ذلك الخبر وشاع بين الناس واشتهر ، أرسل إلى عربان المسلمين من قبيلة نجد وأعلمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد،وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأظعان على هادى بن قرملة كبير قحطان ، وأمر ربيعا أمير الدواسر والوادى أن يظهر مع جيش من قومه وينزل على هادى، فالكل من أولئك الأقوام أسرع فى الامتثال والقيام لأمر عبد العزيز الإمام ، وبادروا لذلك المهم والاعانة فى دفع ذلك المدلهم ، فلم تمض قلائل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام على ماء بنجد يسمى الجمانية ، فالتأمت به تلك الأمم البدوانية حتى كان آخر الأيام الشعبانية، نزلت تلك الجموع الشيطانية وأبرزت من البأس وفرط الإبلاس واختلاف الأجناس مايدهش العقول الإنسانية،ويرعش القلوب الجنانية ، فلما بدت الغرة الرمضانيـة تلاحمت الفرسان العربانية ، وشرعت الحراب السنامية ، وجردت السيوف الهندوانية ، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال الفرسانية ، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسانية ، فلما طلعت شمس ثانى رمضان تداعى عند ذلك الكماة الشجعانية وحملوا حملة هائلة ظلمانيـة وتصليت تلك القوى الجسمانية ، والقلوب الصلدانية ، وثارت تلك العجاجة الدخانية ، واصطلمت تلك المدافع النيرانية ، فأعلن عند تلك الأمور الهائلة العيانية أهل الدين والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية والاعلان بكلمة التوحيد والوحدانية ، فهزم الله جميع تلك العدوانية،وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية،وتفرق أهل الضلال فى خلال العقبات الشعبانية ، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل ، وأخذوا من الإبل والغنم مالم ينل مثله ولم يرم ، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام وتلك المدافع المجرورة ومنصوب تلك الخيام، وكانت الغنم التى حصلها المسلمون مائتى ألف غير ماقضى الله تعالى عليه بالحتف،وعدد مااستولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفا من غير خطأ ولا زلل ، وقتل من المسلمين رجال وانهزم الأعداء بأقبح حال ، وكان محمد بن معيقل قد

أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددا ، فلم يأتهم إلا بعد مافرق الله تعالى المبطلين عددا وجعلهم فرقا وبددا، وكان قدومه عليهم بعد يومين فاطلب بنى هاجر ولم يبال ، بما معه من الأين ، فأدركهم على ماء يقال له القنصلية.فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين من تلك البرية فشدوا فى الانهزام ، بعد تلك القضية وكان هؤلاء الأعراب شمروا فى الانهزام بمالهم والذهاب حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مربين فعاجلوا بالانهزام مدبرين ، فاجتمعوا على ماء القنصلية وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم، فخابت آمالهم الظنية وحواها كلها ابن معيقل وعزز بها تلك القضية السوية ، وانصرف بنيل أمنية، وفيها غزا مبارك بن عبد الهادى ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر وبادى ، فسار فى عزمه ذلك ومرامه بجد السير والسرى فى جميع لياليه وجميع أيامه لم يثنه النصب ولم يساومه التعب فينحل عند همته وإحكامه حتى قرب من أرض نجران، فلقى هناك بعض البدوان يسمون آل الهندى ، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدى ، فلم يشعروا إلا باهتزاز الرماح وبريق الصفاح ،فانتهضوا جميعا للقتال والكفاح،ولم يتخلف إلا من ليس عليه جناح فتطاعنوا ساعة وزمانا ومكثوا للجلاد حينا وأوانا،ثم انهزموا بأفظع حال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثين من الرجال وأخذوا جميع ماعندهم من المحلة والغنم والآبال وانصرفوا فى أحسن حال .

وفى شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف وبراك وآل الحسا من تحت إمام المسلمين لمعت للفتنة بوارق ووحت للفتنة بوائق،وفاح للشر عرف وشذا ولاح طالع النحس والأذى واستبطن البغى والغدر واستعلن الفحش والنكر وعصفت للخيانة رياح ، وظهر على الفساق البشر والارتياح ، وعلتهم من الفرح نشوة وزادت قلوبهم على المسلمين قسوة ، واستنشق المسلمون المنكر عرفا فلا يستطيع أن يرجع فى المنكر حرفا بل كل يوم ينتظر أن يلاقى حتفا ، فاستمرت الحال أياما وليال وبطانة الشر تعلو أو تزيد وتضمر البطش بأهل التوحيد ، ولكن ليس عن ساحة الصبر من محيد . فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وتهيئة أسباب التمكين لأوليائه والتأييد وهلاك من أراد هلاكه وخذلانه ، وذل من أراد ذله وهوانه ، قدح زنادها وحقق ميعادها فأورت بالشر نارها واستطار لهبها وشرارها ، وسما جهارا منارها وأعلن أصحابها وأنصارها ، وتأزر بإزار الغدر شرارها، وارتدى برداء الفتك فساقها

وفجارها، وبقيت تمور بين أهل الفجور تلك الشهور. هذا والمسلمون من أهل الحسا بين لعل وعسى، وكل تجرع مزارة الخوف واحتسى، وتدرع بدروع الهم واكتسا وكابد حرارة الغم والأسى، وقلوبهم بين رجيف واضطراب ووجيف واكتئاب إلى يوم المنية فى ارتقاب، وفى حطم البلية فى احتساب. هذا وإمام المسلمين عبد العزيز أدخله الله كنفه الحريز، يرسل المكاتيب ويكثر فيها المعاتيب ويعمل الرسل والأرقام فى كل أسبوع من الأيام، إلى براك بن عبد المحسن ويحضه على نفى المسيء والإحسان إلى المحسن، وقد اهتم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام وأن يشيد قواعد الدين ويبيد جملة المبطلين ويزيل من الشرك أصله وأساسه، وينفى دعاته وأناسه، ويقيم على الحق والهدى ويشرد أهل الزيغ والردى، ويبتهل بإقامة السنة ويتبع منهج الرسول الذى سنه، ويأمره بإعلان شعائر الإسلام وإخلاص الدعوة للملك العلام وإيقاع الخمس الصلوات فى المساجد والجماعات، ويبذل له النصح سرا وجهرا ويبين له أنك إن فعلت هذا نلت عزا وفخرا وحويت من مولاك عزا ونصرا وأعظم لك ثوبا وأجرا وقد ألزم عليه فى ذلك أعظم الإلزام، وأمره أن يفى بما عاهد عليه الله حين دخوله فى الإسلام، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام، وما التزمه فى الحجة من الأحكام من نفى أهل الباطل والفجور، وطرد أصحاب الفساد والشرور، كما هو فى صحيفة المهد مذكور، وفى حجة العقد مقرر مسطور؛ فلم تغن النصائح والإنذار، ولم يبادر بما دعى إليه من إزالة الأشرار، وتعذر من الإمام فى عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد عليه أن هذا لا سبيل إليه وقد أعيا الرأى والفكرة، وليس إلى جلاء رؤساء الفتنة من قدرة، لما يؤدى إليه الحال ويترقب فى المآل من الاختلاف والشقاق، وقيام أهل الرفض والنفاق، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد والأفاضل والأمر يؤخذ على مهل، ولم يدر أن الأمر جاءه على عجل، وأن الفتنة قد حزبت أحزابها والبدعة قد نخت كبارها وأربابها، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها وكتب على فساق تلك البلد ذهابها، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها، وبين لهم شؤم الخيانة ومآبها. وما أشقى به أهلها وأصحابها، هذا وأردية البلاء تنسج وتحاك ويسعى فيها كل فاجر أفاك، إذا غسق الليل ودجت الأفلاك، وترامى شرر الباطل فى الأفلاك، وكان الذى يسعى فى نسج تلك الأردية والبرود، وعقد تلك الألوية الضالة عن المنهج المحمود.

من هو فى كل فتنة معدود ، وفى كل مقام على المسلمين مشهود ، رأس الفتنة ورئيسها الذى يثبت على أصلها وتأسيسها ، ويرسى عليه عمودها، وتورق به أغصانها وعودها، وتثبت أوتادها وأطنابها ويفتح بشؤم فكره بابها؛ وذلك لكونه لا يزال سميرا للفساق والفجار وظهيرا للعصاة والأشرار وهو صالح النجار ؛ فكان إذا هدأ الناس واشتد ظلام الأغلاس أخذ بالشر والإبلاس فركب دابته وجدّ وقصد قصر على بن أحمد فأحكم الرأى والمشورة وعرض عليه تلك الأمور المحظورة، ثم سار من عنده وأجمع محكم قصده ونحى على الجبابى وقصد وأحضر ابن عفات واجتهد وظن أنه لم يشعر به أحد لكون هذا السعى والاجتهاد وإعمال المسير والترداد إنما هو فى الليل وفى النهار يظهر المسلمين المناصحة والميل، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله وقبيح ما ينظمه من فعاله وقد أرسلوا الرسائل والكتب وجدوا فى الطلب، وأعملوا المطى بالأرقام إلى عبد العزيز الإمام يطلبون منه النجدة والمدد والعدة ويحثونه على النصرة والانتصار وقد بينوا له جميع الذى صار وما بدا لهم من الشين الذى ضار ، والشر الذى ارتفع له غبار وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن يسعفهم بالمراد والمقصود وكان حينئذ حرس الله مهجته وأدام عزه ودولته منيخا قرب شقرا ، فلما جاءته الرسل من المسلمين ومن والده متع الله به المسلمين وقمع به أعداء الدين، أحضر وجوه الغزاة المشورة فيما يراه وما عزم عليه وأبداه وبين لهم ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا وما خالطهم من الخوف والأسى وقال أريد أن أعجل لهم المدد قبل أن يقع بهم الفتك ممن تعاهد عليه ولا اتعد حتى يكون لهم عونا ويلقى العدو به ذلا وهونا بل ربما يكون مجيئه البلاد سببا لبطلان ذلك العهد والاتعاد ، وتخمد بمجيئه نار الفتنة التى توقد كل ليلة غاية الإيقاد ؛ فأرسل وهو فى ذلك المكان إبراهيم بن عفيصان ومعه مائتا مطية تعجيلا للرعية واستدفاعا لما أعد من البلية وما عزم عليه من الردة الردية ، وكان ذلك رأيا مباركا ميمونا خاليا من شوائب النحس مصونا وحزما شباه مرهفا مسنونا ، وعزما حاز المسلمون به ركودا وركونا؛ فلما أقبلت الرسل إليهم وقدموا عليهم وسمعوا كلام البشير وتحققوا المجىء والمسير، وفهموا قرب مكان الطليعة عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة وأنها ليست لهم بممنعة ولا منيعة إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا ويعجلوا ما عقدوه وأبرموا، وينفذوا ما نوّهوه وأحكموا، ويبدروا المسلمين قبل قدوم المدد المقبلين بما أجمعوا

عليه من الفتك وندبوا إليه من الخيانة والهتك ونصب أعلام الارتداد ورفعها بين العباد وشهرتها عند الحاضر والباد ، قبل تلاحق الإمداد ، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد فى منتن تلك الأقذار ويضمخوهم بهاتيك الأوضار ويدخلوهم فى دائرة الهلاك والأخطار فأبى الله العزيز القهار أن لا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار ؛ فلما آن أن يبدو للقضاء الأزلى آثار ويظهر بعض ما انطوى فى الغيب من الأسرار وحان الحين وحاق المكر بالأشرار ولمع بارق قوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) وأقبل ظلام ليلة الفتنة وسجى واسود فيها محلولك الدجى وأرخى الظلام فيها سدوله فقد الأفق من البدر أفوله حتى أتى أهل الضلال والردى والذين يريدون الفتك والاعتدا من الرفعة والنعائل وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل رئيسهم النجار وأنيسهم إذا انسلخ النهار ، فاجتمعوا عنده وعرف كل منهم قصده ، وعاودوا الرأى تلك الليلة وأبرموا التدبير والحيلة بأن تقتل من فيها من أهل التوحيد كل قبيلة بل سمى كل من المتعاهدين قرينه وقتيله وبينوا التدبير والاحتيال وصمموا على الفتك والهتك والاغتيال وبارزوا بالحرب شديد المحال (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) . هذا والأنذار على المسلمين تتوالى والأخبار تتلى عليهم وتتتالى ؛ فلما أراد حقن دمائهم سبحانه وتعالى وخذلان من ساعد على الفجور ووالى وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتمالا وإلبابه فى الدنيا هوانا وإذلالا ومقاساته تنكيلا ونكالا ، نما ذلك الخبر وفشا ذلك وظهر بعد أن خفى واستتر وتحقق أمير السياسب سيف آل سعدون ما هم له مستعدون وما هم عليه مجتمعون ، فأحضر المهاجرين من إخوانه وأخبرهم بقصته وشأنه ، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين وللخيانة مستيقظين وللغدر كل يوم متوقعين ، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين والموت نفوسهم موطنين ، فاتفق رأيهم وانتظم أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم وبيتهم ، ومن دخل منهم فى الحلف وعزم ؛ فلما أحضروهم كافة ووضحوا لهم سبيل المخافة وما يترتب على ذلك من الآفة وأن أهل الشر والفساد يريدون غدا الارتداد وليس لهم غيرنا مراد وجيوش المسلمين والأمداد تطلع عليهم بكرة أو روحة بالنصر والإمداد فتنالوا بذلك غاية السعد والإسعاد وتدخلوا فى طريق الرشد والإرشاد وترفضوا منهج من نوى السوء وكاد ، ونحى قاصمة الظهر وأراد فكأن ولله الحمد والمنة ذلك

النصح أزال عن قلوبهم الأكنة ، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد مما أجدى فيهم وأفاد ، فكأنهم بعد ما انتضوا السيوف لملاقاة الحتوف أعادوها فى الأغماد وكأنهم انتبهوا من سنة الرقاد ووعت منهم تلك النصائح أذن واعية ، فأصبحت أركان الردة ولله الحمد ذلك اليوم واهية حيث لم يقم من السياسب لهم داعية ، وانحلت عرى ذلك الإبرام ورد الله بكيده من رام . هذا والنجار بعد ماأخذ الكرى والمنام فى ظلام الدياجى أجفان الأنام دأبه الإقبال والادبار وتدبير مايريده فى النهار ، يحيك ذلك وينسج ويدخل البلاد ويخرج ، إلا أنه على شأن السياسب لم يعرج ، وقد أعد خارج البلد فى بستان هناك رجاله وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافيه وزلاله ، وكان الوعد بينهم حين تذر قرنها الغزالة ؛ فلم يلبث الناس بعد ذهاب الأغلاس إلا قدر مابدا من كوة الأفق ضوء السراج ، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج ، وانتشر فى بطون الأزقة والفجاج أهل الفلاحة ذوو الحاج حتى سمعت الجلبة والأصوات ووقع الذعر والانزعاج ، فرجع الناس على أعقابهم ينكصون ، وقد خالط الرعب قلوبهم فهم منذعرون ولم يكونوا بذلك الأمر يشعرون (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لايؤمنون) فتعاظم الأمر وعلا وشاع شأنه بين الملا وأسفر وجه الردة وجلا وزادت القلوب وجلا (وما ربك بغافل عما يعملون — وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون) وزاغت الأبصار والألباب وغلقت البيوت والأبواب ونادى منادى القضاء بالعذاب والذهاب على الذين فعلوا ولكنهم لايسمعون (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) وتوقفت أشرار تلك القبائل ولم يكن غالبهم بما عنده فاعل وهم بين لائم وعاذل ، إلا أنهم للسياسب منتظرون ، وهم من كل حدب ينسلون وبادر قوم النجار لأنهم رءوس الأشرار فقتلوا شخصا واحدا وهو عبد الله بن حسن ، وكان النجار عنده قاعدا وبتثبيطه مواعدا ، فأسرعوا إليهم يهرعون وأقبلوا عليهم يركضون (لا تركضوا وارجعوا إلى ماأترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) وجرحوا ابن كثير جرحا ولم يجعل الله لمرامهم نجحا ، وما أصابوا فى المسلمين قرحا ، وقد عرفوا لو يطلبون صلحا من المسلمين لايقبلون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فعندذلك شمرت تلك العصابة وندب النجار أعوانه وأصحابه ، وشيدوا الحرابة ونهضوا إلى السياسب يسرعون (كأنهم إلى نصب يوفضون) فدهموهم فى الطريق والسكك ووقع بين البيوت

المعترك وصدق الطعن من سلك ولكنهم على الحق معتدون (لاتجأروا اليوم إنكم منا لاتنصرون) فحين أبصروا حرارة الطعان وذاقوا مرارة السنان وحامت عليهم للموت عقبان فى منازلة تلك الإخوان ، وتيقنوا أنهم لما يريدون لايدركون وأنهم أخطئوا مايأملون (سأريكم آياتى فلا تستعجلون) فانهزموا بأقبح الذل والنكاية وقتل منهم واحد هو الغاية ، وحف المسلمون باللطف والعناية لعلهم بأمرهم يعتبرون وعلى ربهم يتوكلون (وإن جندنا لهم الغالبون) وأدبروا يعضون أنامل الندم وولى كل شيطان وانهزم ، ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يرسلون ؛ فأرسلوا يحثونهم على المجىء والتعجيل حتى يفوزوا بالمنى والتأميل ، فلما قدمت عليهم الرسل وأخبروهم بما حصل نهد مقاتلة كل قرية واجتمعوا للحرب بلا مرية ، فلم يرتفع سلطان النهار إلا والجنود تطلب البدار وتروم لأهل المبرز الدمار ، وقد أقبل أولهم وهم النعائل والرفعة والذين حضروا بيعة النجار ، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد وتتابع لهم جيوش وأمداد وكل منهم لصدق الحرب فى أهبة واستعداد وتأهب لوطأة البلاد إن لم يف لهم من حضر الحلف من الفرقان بذلك الوعد الذى كان ويرجعوا عن طريق الخذلان ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد ، وينجزوا ذلك الإيعاد. هذا وقد استعد من أهل المبرز كل فريق وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق فيما يؤتى إليه من طريق ، وشمروا للحرب سواعدهم وأخلفوا مواعدهم بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع وأشد الذب عن المسلمين والدفاع وتبين منهم الصدق على ذلك والاجتماع ، فبقى من عندهم من أهل الفتنة والفجور ينادى على نفسه بالويل والثبور وأبصارهم تمور وأفكارهم تخور ، وليس لهم من أهل المبرز مساعد بل كل عن الفتنة قاعد ، وهواتف البلاء عليهم يدرسون (أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) فحين وضح واستبان ذلك الخلف والخذلان لصالح الرئيس الداعى إلى طريق إبليس ولم يجد ناصرا ولا قبيلا ولا معينا ولا كفيلا وأضحى حائرا ذليلا لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلا ولا منهجا للسلامة ولا دليلا إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان ، وطلب منهم الدخول معه والأمان ، فراح فى ساعته بعد تدبير فكرته إلى فريق العتبان وكانوا ذلك اليوم نعم الإخوان ، جزاهم الله تعالى كل خير ورئيسهم مهوس بن شقير ، فأخذ منهم الأمان على نفسه ومن له من الاخوان ، وكان

هذا من الله تعالى حكمة باهرة وقدرة قاهرة وأمراً قدّره تقديرا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه وتسلية لهم على بلائه لعلهم على الفتنة يصبرون (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) هـذا ولم ينادِ المنادى لصلاة الظهر بالأذان إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدوم ابراهيم بن عفيصان بل هم مع الوقت كفرسى رهان ، فحصل الأنس وطابت النفس وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان ، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان وتم السرور وحصل الفرح والحبور وهبت رياح القبول والتهان وبدت شموس الأمانى والأمان ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل وسائر سفلة تلك القبائل خلف السور مقيمين ولمقصودهم راغمين وعلى مأمولهم عازمين إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار وما جرى من الأخبار فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع والأسنة تبرق وتلمع والبيض تشرق وتسطع فكلّ ولى وانهزم وتندم على ما كان عليه عزم وانتضوا بطون الأقدام ولم يكن لهم غير البيوت إقدام فوطئتهم من المسلمين خيول وخرج معهم من أهـل البلد خيول فجالت على قطعة من الأحزاب الفرسان وجالت عليهم أولئك الرجالة الشجعان فقتلوا جميعا فى ذلك المكان وجرّعوا كأس المذلة والهوان وباءوا بالخزى والحسرة والخذلان ، وكان جملة المقتولين نحو الستين وغالبهم من أهل الجبيل والباقى من بلدان المشرق متفرقين وفات الحملى ومن معه حين أقبلت الخيل عليهم مسرعة وشرد هاربا وثار ولم يجد دون بيته من قرار وازدحموا عند دخولهم الدروازه والكل يريد من الخوف السبق واحرازه ، فلما رأى وجوه قومه وجماعته قبيح فعله وصناعتـه ساروا إليه سريعا وألزموه أن يخرج مع الحبابى وقدومهما جميعا ، وألحوا فى ذلك الأمر عليه وعرف أن القرار لا سبيل له إليه وأن وجوه الفريق والأعيان إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان وأنهم يسلمونهم إليهم ولا يدفع عنهم انسان خرج هو والحبابى وأناس من الأشرار حين أدبر ضوء النهار واشتد سواد الدجا وانقطع منهم الرجا ، ففاجئوا على بن حمد فى قصره واستمدوا من رأيه وفكره وبقوا عنده ثلاثة أيام فى أكسف حال وأشر مقام . هذا وبلدان المشرق ينهب بعضها بعضا ، وتسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضا وتهابق

الشمس فى الطلوع إلى ذلك الحال نهضا ، إبداء للندامة وطلبا للسلامة ومقدمة بين يدى سعود بهذا الأمر المعدود لعله يكون للرضا وسيله وإلى بقائهم فى أوطانهم حيله ولم يروا مسلكا سواه يسلكون ، وفى تلك الأيام المذكورة والأحوال المسطورة وابراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران ومعه جمع كثير وجم غفير من السياسب والعتبان وغيرهم من سائر القبائل والفرقان ، ثم فى أثناء المدة المذكورة طلب الحبابى وابن عفات والحملى ومن معه من الرجال المحصوره من ابراهيم بن عفيصان الخروج إلى العقير والأمان فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس خرجوا من الإحصار والأحباس وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديماس وكان إذ ذاك لم يتسنم ذروة الضلال والإبلاس فقطعوا فى ليلتهم تلك المفاوز والقفار ، وركبوا صبيحتها متن زاخر البحار وامتطوا كواهل فلك السيارة وتيمموا أهل الزبارة ، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال خبرة ولا اشاره حتى فاجأهم بغتة ذوو النياره وشرحوا لهم عن الحسا أخباره وصرحوا لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهبه وآثاره ولم يعلموا أن لله تعالى على عباده غاره وأن الله تعالى يؤيد دينه وأنصاره وينصر أهيله وأحزابه وأصهاره ويريد تبيينه فى أماكن الرجس وإظهاره وإثباته فى الإحساء وقراره ، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون (أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون) ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته وتبيين آثار قدرته واستنارة البرهان والحجه وتقويم واضح المحجه ، قدم سعود مستهل ذى الحجه فنادى لسان الحال مبشرا بالسعود والإقبال ومنذرا لذوى البدع والضلال فأعلن وقال : الحمد لله الذى أطلع شمس الكمال فى مطالع السعود والشكر له على ما أعطى وأنال من الكرم والجود برؤية هذه الطلعة السعيده والغرة المنيرة الرشيده فأناخت بقرب النعاثل ، أولئك الجنود وخفقت رايات الإسلام والبنود وأصبح حبل الحق ممدود وفاز أهل التوحيد بالمقصود ، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود على سبيل الهنا ونيل المنا وإبداء لشكر مولاهم الكريم وإظهارا للثناء والتبجيل والتعظيم (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) ودارت كؤوس الأنس والأفراح وامتلأ القلب بالفرح وارتاح وهينمت فى الأجساد والأشباح حداة النفوس والأرواح على سطح البسيطة بالطول والعرض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) ونصبت بذلك المحل والمكان خيام التوحيد والإيمان

فغنت بلابل السرور على الأغصان ورجعت الأغانى فى الألحان وكررت قول من قال فى غابر الزمان :

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قرّ عينا بالإياب المسافر

وطارت قلوب أهل الزيغ والضلال حين مد فسطاطه وظلاله وأبصروا فرسانه وأبطاله وشاهدوا خيله ورجاله ، وقد كانوا بها يكذبون وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وندموا على السلم حين فات وقالوا ياليتنا نرد وهيهات وتمنوا الموت على الحياة (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فلم يك إلا قدر حط الرحال وتسوية الأحمال والأثقال فتلقاه أهل الكهوف باستقبال ونهضوا عليه يسلمون ونهدوا إليه مستسلمون (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) فقابلهم بالقبول والتوقير وعاملهم بطلائع التيسير ونفى عنهم صنائع التعسير وتلا لسان حاله على منهج التبشير لعلهم بما أشار به لهم يفرحون (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) فأعطاهم إلا من دخل فى الردة الأمان وأدخلهم فى دائرة أهل الإيمان وأخذوا يبايعونه على الإسلام بالإيمان وداعى الحق يذكرهم بآى القرآن عساهم به يتعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ماتفعلون) ثم أقبل أهل المشرق إليه أرسالا وقدموا عليه عجالا وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا وتغيرت وجوههم ألوانا وأحوالا لقبح ما كانوا له يصنعون (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون) وقدموا بشعائر الذل والهوان على الإساءة منه والإحسان إذ ليس عندهم منعة ولا مكان عن القدوم به يتحصنون (لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدّخلا لولوا إليه وهم يجمحون) فشرع معهم فى المبايعة والمعاهدة على المتابعة والمعاقدة والتزام حبل الطاعة والمساعدة وهم على الوفاء له يقسمون (ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون) وأتاه أهل المبرز أهل الايمان والاسلام لأداء واجب السلام وتجديدا لعهد الاسلام فقابلهم بحسن البشر والاكرام جزاء بما كانوا يعملون(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) فلما انقضت أيام العهود وخفّ إتيان الوفود بادر إلى ما هو الأهم والمقصود وأخذ فى تقويم السنن المحمود

الذى به المسلمون يأمنون (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون) وجرد مرهفه المحدود لإقامة القصاص والحدود وأورد الحمام المورود غالب من باشر الردة الثانية فى يومها المشهود فغدوا لكأس الردى يتجرعون (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأردف جماعة من المعتدين وثلة من الفساق المفسدين وزمرة من الرفضة المبتدعين الذين هم عن الصراط ناكبون (إنهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) فأفنى رءوس ذوى الشر والفساد وأراح من شرهم جميع العباد وأزاح باقيهم عن البلاد لاسيما ذوى الشقاق والعناد الذين هم فى الأرض مفسدون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) ودام القتل أياما واستمر ومكث مدة واستقر وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر ويقتل من اطلع عليه وعثر حتى استبرى الحال والخبر وعرف أنهم ليسوا بها يمكثون (ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون) فشاد فى البلاد أركان الإسلام وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان ورفع ناسئة الأعلام التى كان الولاة لها يمكرون (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فبدأ بتسوية تلك القبور وإزالة ماعليها من المحظور وقطع تلك الأوقاف والنذور التى أهل الباطل لها يصرفون (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وأرسى بها قواعد الدين فأمسى أهل الباطل مشردين ، ومحا آثار المبطلين (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ـ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وضربت سرادق الأمن والأمان وأسس قصر التوحيد بأعلا مكان وأحكم غاية الإحكام فى البنيان ونودى عليه بأفصح لسان وأهل الإسلام له منصتون (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون) فحينئذ نبذ الضلال ملته ونعى الشرك حزبه وأمته ، وبكى الرفض أصهاره وفئته لأنهم كانوا له يشيدون(أئفكا آلهة دون الله تريدون) وفقد أهل العزّى عزّاها وجعل الخراب جزاها وأهل اللات لها يتبعون(قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون)ومحقت رسوم البدع والأهواء والإلحاد ، وهدت دعائم الجور والعماد وأورق غصن الحق وماد وبطل ماكانوا عليه يعكفون (ءأله مع الله بل هم قوم يعدلون) وأقبلوا على ماأوجبه الله تعالى وفرضه

ودحض أهل الضلال والرفضة وكل هجر ما كان يدين به ورفضه وضل عنهم ما كانوا يزعمون (ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون) فاندرست ولله الحمد تلك الحقائق وعطلت تلك الطرائق ، ولم يكن لها موافق ولا مرافق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وخرّ عرش الشرك ووهى لما علاه التوحيد ودهى وعرف بطلانه ذوو النهى وشمروا فيما أمر الله به ونهى (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) وجدّ في تعلم التوحيد الضعة والشرفا فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفا (ولم يجدوا عنها مصرفا) و(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) وقرر أصحاب الأوقاف والأحباس وحث أرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس ، فوجدوا عظيم السرور والإيناس واستمر علماء المذاهب يدرسون (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وأقر في أيدى أهل السنة جميع تلك القربات والأسبال بل زاد غالبهم من بيت المال واجتهدوا في القيام بوظائفهم بسرور بال ، فهم لهذه النعمة شاكرون (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون).

ولما فرغ حرسه الله تعالى من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد ومهدها أحسن تمهيد لعل الناس لها يسلكون (فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) شرع ينظر في الرعية بالتغيير والتبديل ، ويدبر أحوال التأديب والتنكيل على سبيل التسوية والتعديل بين أهل الهفهوف وكافة القرى وهم لها يوزعون (فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) وفاز أهل المبرز بحسن الحال والسلامة من الأغلال والنكال وطابت لهم العاقبة والمآل لأجل ما كانوا له يدّعون (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) وشد عليهم في ذلك النكال مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال لأنهم دخلوا في العهد على ذلك الحال لعلهم عن مثلها ينتهون (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) ومكثوا تلك الليالى والأيام يقاسون حرارة الضنك والالزام ، ويبيعون ما عندهم من الأمتعة والحطام لأداء ذلك الالتزام (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وطلب منهم جميع ألوان السلاح ومن أخفى

عليه شيئا فليس له فى بلده مراح ، بل دمه هدر مستباح ،فلم يكونوا لشىء منه يخفون (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ثم أمر بهدم الأسوار والبروج ولا يكون للردة منهج ولا عروج ، فأصبحوا بها يهدمون (أفلا يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون) فهدمت أسوار قراها والبلدان مخافة أن ينزغ بينهم الشيطان أو يطمع بها أحد من العدوان ويحسبون أنهم يمكثون (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرّفنا الآيات لعلهم يرجعون) ولما تم بناء ذلك القصر المحكم المشيد على كل وجه من الإحكام والتسديد والغلظ وارتفاع السمك والتجويد ، ووضع فيه من آلات الحرب والطعام وما يحتاج له المرابطون (ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعد قطعة من خيله وركابه ، وجيشا من جنده وأصحابه خارج عن القصر قريب من بابه ، لإخافة العدوان وأربابه ولتذب عن البلد من أتوا يخربون (وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون) .

ثم دخلت السنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف . سار سعود من الإحسا أماله الله الرتبة القعسا ، لما اشتاق حرسه الله إلى نجد وصبا، وهيج شوقه نسيم الصبا وتواجد لها شوقا وطربا ، كيف وهى الوطن الذى به يستوطنون (ومن آياته أن جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) أمر بإشخاص قوم كثيرة وحمائل ، من ضمة الناس ، وغالبهم أماثل متفرقة من تلك القبائل ، أنهم يحلون فى الدرعية ويسكنون (ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون) ثم أمر بالرحيل والترحال وأن تقدم تلك الأحمال ، وتعجل عن وجه الأثقال ، ثم شدت له الرحال فاستوى عليها وقال ما كان السلف يقولون (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وجدّ فى السير إلى نجد بعد ماحاز ذلك المجد وأكثر الشكر والحمد للمولى الذى له الخالق يثنون (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون) وحين قارب أن يلقى عصى السير والتسيار، ويحط الرحال فى رفيع تلك الديار، وشرع إليها فى النزول والانحدار من المحل الذى لها ينحدرون، قال(رب إنى أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون) وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية ، ثم قصد والده والأهل والذرية، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية ، وطفق عبد العزيز يشوقهم

لما عند الله لعلهم فى الدنيا يزهدون (وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) وفيها وقعة أحزاب ثوينى ؛ ولما استقر بهجر عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم أنوف العدى للهدى أعـلام ، وثبت أصل التوحيد ورسا فى جميع بلدان الحسا غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى وتمثلوا بليتى عسى وعسى ، فهم على تكرار الصباح والمسا لعودة الباطل مرتجون (فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) وشوت قلوبهم حرارة الحزن ومرارة الهم والمحن حين ملك أهل الإسلام ذلك الوطن ، وثوى فيه التوحيد وقطن، وضاق بهم فسيح الأرض فضلا عن العطن ، وعرفوا أنهم متبعون (قل لـكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفا وفرقا، وسفحوا لذلك دموعا وعرقا، وازدادوا ذعرا وغيظا وحنقا وساروا للتخريب عليها وخدا وعنقا وقصدهم لنور الحق يطفئون (يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الـكافرون) وتعاظم ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا فى تغييره شرقا وغربا، وتداعوا عليه عجما وعربا ولم يعرفوا أن للدين ربا (لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ـ بل جئناكم بالحق ولـكن أكثركم للحق كارهون) وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة، والكل أخذ من عظيم الحزن حصة ،حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة ، وودوا لو يدركون فرصة، على المسلمين بها ينتهزون(لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وشمروا ذيول الهمة بالتبديل والانقلاب،وجدوا إلى تحصيلها فى الأسباب والسعى فى بواعث الاجتلاب ، فآبوا بذلك بشر مآب ، وما ظفروا بما يرتجون (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) فملئوا بطون الصحف والأرقام من نفث اليراع والإقدام ، وبث مافى الصدور والأوهام،فزخرف القول والكلام وأرسلوا بها إلى البشاوة والحكام لعلهم فى إزالة الدين يسعون (ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) وأقام فى ذلك الصغار والـكبار واجتمع عليه السفلة والخيار ، وشمر فيه ساعد الجد والازار فباءوا بالخيبة والأوزار مما كانوا فيـه يمترون (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالـكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون) وانتدب إلى هدم ماقد أسس من الدين وبان ، وإزالة ماله من أساس وأركان كل رئيس وعالم شيطان من جميع النواحى والبلدان ، ونمقوا فى الطروس

بيح الفعل والبهتان ، وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنه لايصلح لهذا لشأن ولايقوم باعباء الرياسة ومصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد ن سائر العربان ، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرهم والبدوان، وإزالة ثرهم من الحسا ، ومحاصرتهم فى البلدان سوى ثوينى من الأنام إنسان ، ولايقدر على ماذكرناه إلا هو ذو الهيبة والشان، فأطلقه ورئسه حتى ترى مايسر الأعيان ويقر الناظر له فى العيان ، وتحمد أثر سعيه فى قريب من الأزمان ، وترى أهل الدين من سطوته يهربون ومرادهم على الدين يخربون(واصبر وما صبرك إلا بالله ولاتحزن عليهم ولاتك فى ضيق مما يمكرون) فلما دعا الباشا ماحرروه ووعا ماأثبتوه وقرروه وتأمل مفهوم ماقد حبروه وعرف منطوق ماسطروه وفحوى ما كذبوا فيه وزوّروه ، أمر بإحضار ثوينى عنده فأحضروه وخلع عليه ورأسوه وكبروه وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمروه ؛ ولم يقف الباشا على حقيقة مادبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيروه وحذروه من هذا الذى نفروه ، وما هو والله إلا كذب افتروه وأعانهم عليه قوم آخرون (إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) فحين حظى ثوينى بالرياسة ونالها وحاز من آماله منالها نادى برفيع صوته ، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها ، وأعطى جماعته الأيمان على ذلك وأنالها وهم لأيمانه مصدقون (وسيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون) وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير وحثوه على آلات التسيير وتعجيل الظهور والمسير وحرضوه على أن لايبقى منهم صغير ولا كبير ولا يذر شريفا ولا حقير ، وكان بمسمع من اللطيف الخبير ، جميع مابه يخرضون (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فأقبل متنعما بإزالة الدين من أساسه ، وإطفاء نوره من نبراسه وتغيير منهاجه وانتكاسه ، وقتل كافة أنصاره وأحزابه وأناسه ، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه ، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه ، ورام هذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه ، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد ومعاناته هم الأسر والقياد ، والغم الذى غشى الفؤاد ، فأسرع فى الامتثال

والانقياد وإحكام آلات الحرب والأهبـة والاستعداد ، وحشد الجيوش والأجناد والاستعانةبالأسباب والامداد من كل ناحيةوقطر بلاد ، وكلهم بما قدروا عليه يمدون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وسحب ثوب الخيلاء والتيه وجره ، وأوطأ سنابك خيل جيشه المجرة ، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرة ، التى كان فى ضمنها له الهلاك والمضرة ، والذل والهوان والمعرة .

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأكثر مايجنى عليـــه اجتهاده

فكان والعياذ بالله كالجادع أنفه بكفه ، والباحث عن حتفه بظلفه ، وهذا شأن الذين يستدرجون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وحث السير يريد الفيحا وصولا ،وطوى بأيدى الجياد من المهامه صعابا وسهولا ،وعزم أن يفى بعهده (إن العهد كان مسئولا) حتى يصادف من الباشا رفعة وقبولا ، ولقد تكلف بما ليس والله فى طوقه(إنه كان ظلوما جهولا) وشمخ بأنفه وجر للكبر ذيولا (إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ولكن أكثر الناس لا يتدبرون (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) ولما قارب دخول البصرة فى الاقبال وتبين له منها رسوم وأطلال ، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال وتلقوه بالقبول من أميال وبادروه بالحشمة والإكرام والإجلال وأظهروا من التوقير والخدمة والامتثال ما لا يخطر على البال ولا يحصره فى البيان المقال ، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقا وحسنا ، وتخجل المتأملين فيها ألبابا وذهنا ، ويبهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى فتنقص عند مطالعته مهابة وجبنا ، وتقول ياليت لنا مثله ، وكذا أهل الدنيا يقولون (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) ولم يستقر قراره فى البصرة بل ساعة دخلها أخذ يجهز أمره ويظهر تجبره وبأسه وقهره ويجدّ فى أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة ويحذر الناس سطوته ومكره ويخوفهم لكى يساعدوه ويشدوا أزره .

ولقد بذلوا الجد فى مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال فى خلدهم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهى لمصرعه بيديه قبره ، ولقد كانت حاله لذوى العقول عبرة ولكن أكثر الناس لا يعتبرون(قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

وفى حدود إتيانه البصرة ووصولها وهبوطه إليها ودخولها ومكثه فيها وحلولها أتته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء الذين هم لهذا الدين عدوان وعلى محقه من الأرض أعوان محررات الوسائل للنفوس ومحبرات الرسائل فى الطروس، والصحف التى أجيد فى السجع منشورها والقصائد التى جلى بالبهتان صدورها وأفصح بالعداوة والبغى منشورها وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها فكانت ولله الحمد شؤما عليه قدومها وظهورها لما بالغ فيه من الفحش بهتانها وزورها وتعدى فيه عصيانها وفجورها ومضمون تلك الرسائل والقصائد ومطلوبها من الأمانى والفوائد حثه على سرعة التعجيل لما هو قاصد لكى يفوز بما أملوا من المقاصد ولم يجر على بالهم أن الله تعالى له بالمراصد (وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون ـ قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) واستغاثوا به فى منثورهم ومنظومهم وندبوه وسألوه تعجيل النصرة لهم وطلبوه ولم يخشوا الله تعالى فى ذلك ولم يرهبوه ووعدوه الأجر على ذلك ورغبوه، وتألوا فى نصره على الله فيما كتبوه وليتهم لسوء هذه الجرأة يفهمون (أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وأعنقوا فى سيرهم ذلك ، ونصوا وعموا فى حكمهم له وخصوا وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا وما اكترثوا بمن عليه يجترئون (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار متضمنة لأقبح العار تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختبار ، كيف وقد صرح فيها ناظمها ومنشيها بالاستغاثة بملك جبار وظالم تعدى وجار، والدعوة والاستغاثة حق للواحد القهار كما هم فى محكم التنزيل يقرءون (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه وقدمت البصرة عليه فقابلها بالقبول التام وأبدى من حسن القبول والإعظام مازاد على السول والمرام وأمده بكثير من الحطام ، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والتئام ومعاشرة ومواصلة وانتظام ، فهم على الخلة مجتمعون (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ، وهذا نصها :

أنامل كف السعد قد أثبتت خطا بأقـــلام أحكام لنا حررت ضبطا

وقد أجاب عنها المصنف وأرسل بها إليه :

وهذا نص الجواب

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا   عروس هوى ممقوته زارت الشطا
تخطت فأخطت فى المساعى مرامها   ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكى ضرامها   وسارت فبارت والإله لها قطا
لقد شوّهت ما زخرفته بزورها   كما أنه باليمين قد أحكمت ربطا
وقد جاء منشيها بزور ومنكر   وفحش وبهتان يعط به عطا
وحان به داعى العناد لمهيع   تنكب عن سبل الهداية واشتطا
فضلّ عن الإرشاد للحق واعتدى   وغط أناسا فى طريقته غطا
وجاوز منهاج الهداية راضيا   عن الدين بالدنيا فما نالها بسطا
يحاول تشييدا ورفعا لما وهت   قواعده فوق البسيطة وانحطا
ويسعى بتحريض وتهييج فتنة   تصير إذا شبت لحاء العدا شمطا
وربك بالمرصاد ممن يريد أن   يؤسس ركن الشرك من بعد أن حطا
فلا عجب من يعش عن ذكر ربه   يقيض له الشيطان ينشطه نشطا
لقد خاب من مسعى غدا طول عمره   يصد عن التوحيد من دان أو شطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة   دفاعا لحق فى البرية قد وطا
وصار يذود الناس عما أتى به   أجلّ شفيع فى الجزا للورى يعطى
ويدعو إلى نهج الضلالة معلنا   ومنهاج أهل الزيغ جهرا به أطا
يغالب أمر الله والله غالب   ويندب من لايملك الرفع والحطا
ويرجو من المخلوق غوثا ونصرة   يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا
وذاك من الأقدار ما فك نفسه   ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا
لئن كان يدعوه لتفريج كربة   فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا
فبشراه بالخسران والذل إن سعى   بهضم لهذا الدين أو وافق الضغطا
ومن جرّب الأشياء يكفيه ماجرى   ويلغى أباطيلا عن الاهتدا شحطا
وينظر فى عقبى الخيانة والردى   فكل امرئ خان العهود غدا سقطا
وللشهم فى تلك القضايا مواعظ   يرد بها عنه الغواية والهمطا

وكم دولة كادت وقادت جموعها — فبادت وما فادت وما أدركت مسطا
يريدون إخفاء لما الله مظهر — وإتمام نور الله بالحفظ قــد حيطا
رويدا فوعــد الله لابد واقع — وقد وعد التمـكين من عمل القسطا
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا — فربك قهار له المنع والإعطا
وما ذاك إلا معتـقـد ذو حماقة — توغر فى الإبــلاس واغتر وانغطا
فويل له يوم القصاص وحيث لا — مناص وأهل النار تسرطهم سرطا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم — وعن وصفهم بالـكفر لـكنه الإخطا
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى — وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
وأعلن بالإســـلام والدعوة التى — لها كشط المختار رأس العدا كشطا
وقام بأمر الحـق فى جاهلية — وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
وأطاع مولاه نجوم سعــوده — بآل سعود حين صاروا له سبطا
فسبحان من عم العبـاد بحلمه — وفى هـــذه الدنيا بإمهاله غطا
يكفر قــوم بالـكتاب تمسكوا — وبالهدى والإجماع ما خالفوا شرطا
وما عمموا بالـكفر بل خصصوا به — أناسا من الإشراك أعمالهم حبطا
أفى محكم التنزيل تـكفير من دعا — إلى الله والتقوى وإسـلام من شطا
ءأهل الهــوى والزيغ والفرق التى — تحرّف وحى الله حازوا الهدى خرطا
وهل جاء فى التنزيل والوحى شاهد — بتحقيق إسـلام الروافض قـد خطا
ومن قد نحا فى الدين سنة صحبة — ينادى عليهم أنهم خبطوا خبطا
فتبا وسحقا يالها من مقالة — من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا
لينظر ذو الأحـلام والعـلم والتقى — إلى أى قوم فى الهدى تبعوا الخطا
وفى غربة الإســـلام أعظم شاهد — بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا
وبرهانه العقلى نصرة رهطه — وتمكينهم فى الأرض أكرم بهم رهطا
لقـد رفعت أعــــلامهم بأميرهم — وأبناه أسد الحرب بل بأسهم أسطا
بهم أسفرت شمس الدجى بعد دجنها — وزال ظـلام الشرك من بعـد مالطا
ذوو الحزم والتسديد والعزم والنهى — وأهل المعالى والفخار بهم ينطا
يذودون عن ورد الدنايا نفوسهم — ويسخون فى نيـل المزايا بها سفطا

فقد بذلوا فى ذا النفوس فأحرزوا ... به العز ياطوبى لمن أدرك القطا
وقد ولى الحسا سعود فأسعدت ... مساعيه أهل الخير فانتظموا سمطا
وأبعد أهل الشرك عنها وأبعدت ... مذاهبهم فيها وما أبصروا غمطا
وقرر أرباب الوظائف كلهم ... وما شاهدوا فى كل أوقافهم هبطا
مدارسهم معمورة بعلومهم ... وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا
وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى ... بابطاله الشرع الشريف وما أخطا
نعم هدمت للرفض فيها كنائس ... وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا
وما كان من جور ونكث وبدعة ... ولهو وتابوت وكل الدعا معطا
ولم ينف الأكل من عمل الردى ... ومن كان سبابا لمنطقه مسطا
فليس ترى إلا مفيدا وهاديا ... وعلما وتحديثا بذا تسمع اللغطا
وأمر بمعروف وتنكير منكر ... وتنكيرمن قد قارف الذنب والسخطا
وحثا على فعل الصلاة جماعة ... وتوبيخ من عنها تخلف أو أبطا
فلله رب الحمد والشكر دائما ... على نعم لم يحص نظمى لها ضبطا
لقد من مولانا علينا بمنة ... وخولنا من فضله خير ما أعطى
وصب علينا من شآبيب بره ... سحائب رحمى قد حوينا بها غبطا
بانقاذنا من غمرة الشرك والهوى ... ولولاه كنا فى غياهبها ورطا
عسى الله يعلى فى الجنان محمدا ... ويولى الرضى عبد العزيز الذى وطا
ويحرسه عن كل سوء ونسله ... ويبقى سعودا فى سعود وفى ابطا
أبا عمر هنيت بل هنى الورى ... بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا
إليك القرى والمدن ترنو عيونها ... تمناك ترعاها فتملؤها قسطا
وترتاح من عليا سعود ونصره ... وتغبط نجدا والحسا الآن والخطا
تجهز لها المنصور بالبشر تلقه ... وتفرش إكراما لإقدامه بسطا
فقد طرز الإقبال آيات فوزه ... براياته والنصر والفتح قد خطا
ودم شاربا كأس المسرة والهنا ... بأطيب عيش والعدا تأكل الخمطا
وأزكى صلاة يفضح المسك عرفها ... تعم رسولا فى الورود لنا فرطا
كذا الآل والأصحاب ماخط كاتب ... ونمق فى مرسومه الشكل والنقطا

ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثوينى وحاله وشرح مسيره وتدبيره وتدميره ومآله وذلك أنه لما أقام فى ذلك المكان فى ترتيب الحال وتدبير ذلك الشان ، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان ومن عدة الحرب والمدافع وآلاتها وقاداتها وحماتها ورماتها مايذهل الأذهان ، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان ، ولا أحكمت سياسته من هو فى شكله من رؤساء الزمان وانتظم ذلك فى قليل من الشهور وانقادت له طوعا استدراجا صعاب الأمور ، أذّن مؤذن التعدى والفجور فى تلك الجحافل والمحافل والعسكر المجرور بالارتحال والمسير إلى الاحساء فالنفور والمبادرة بالخروج والظهور وتردى برداء الإعجاب والغرور ، ونسى يوم البعث والنشور يوم يساقون للحساب ويحشرون (كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون) وانضم إليه كثير من سواد البوادى والأعراب ونسلوا إليه من كل فج وباب وتنادوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب (جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب) وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا ببعضه يبخلون (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) وأقبل جميع آل ظفير إليه ، ونزلوا بأجمعهم عليه وكانوا معه ولديه وخلعوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس وجنحوا إلى سنن الإبلاس ، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس حتى أنزل الله تعالى بهم الباس وكانوا عن سبيل الحق يصدون (هم العدوّ فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) فزحفت تريد الحسا تلك الجنود والجموع التى ضاقت منها الأودية والفجاج والوهود ، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التى أصواتها كالرعود ، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود فقضى الله تعالى أنهم يساقون لحياض الحمام المورود ويعجلون لأجلهم المعدود فى ذلك اليوم المقدر المشهود ، وأخذوا من حيث لا يظنون (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يرون مايوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) فلما تحقق عبد العزيز الامام الخبر عن ثوينى بصحيح الكلام واشتهر عند الخاص والعام أنه نشر للظهور الرايات والأعلام رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه وألح فى دعائه وناداه وقال وهو من الاجابة على يقين : يامن يجيب دعاء المضطرين ولا يخيب رجاء المرتجين ويكشف السوء عن المكروبين ، أكفنا بحولك وقوتك المعتدين واصرف عنا شرّ الضلال والمشركين وانزل بأسك بالمجرمين واقطع دابر

الظالمين وشتت شملهم أجمعين واجعلهم فى كل فج ممزقين ، فلم يتم حينئذ دعاءه حتى قوى فى يقينه رجاؤه وغلب على ظنه أن البلا كتب على جميع ذلك الملا وأن الهلاك عليهم قد سطر والإذلال عليهم رقم وزبر وقد فرغ من ذلك وقدر فتلا (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) فحقق له ذلك الرجا وأنجح له ماأمله وارتجى ، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجا والله يحب الدين إليه فى كل حالة يتضرعون (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلا ماتذكرون) ثم بعد التضرع والاقبال والدعاء والسؤال والتذلل بين يدى الله والابتهال أمر سعودا والمسلمين بالتجهز والخروج أجمعين لمنازلة المبطلين ومصادفة المسرفين ، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان من هو داخل فى دائرة الإسلام والإيمان البعيد والقريب والقاصى منهم والدان ، فكل أجاب طلبته ومراده ولبى دعوته وإنجاده ، وخرجوا للطاعة بدارا وللجهاد شوقا واختيارا ، وقد بلاهم الله بذلك اختبارا ، وامتحنهم ليميز الخبيث من الطيب جهارا ، فلقد أبدى الله سبحانه وتعالى فى هذه الحادثة برهانا ساطعا وحكما قاطعا من الآيات والأسرار المطوية الخفيات والأمور المكتومة الخبيثات ، والعقائد التى فى الصدور منطويات والأهوية التى هى قبل مائلة إلى الردّات والقلوب التى هى مملوءة ببغض هذا الدين من البريات وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات والأفئدة التى هى بالإحن على أهل الدين مشحونات من البدو والحضر من غير تعداد ولا حصر ففضح الله تعالى خلقا كثيرة فافتضحوا وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا ربحوا حيث رغبوا فى الردة حينئذ وجنحوا فأوبقتهم الأعمال ، فأخرجوا إلى دائرة العدل والاهمال وزال عنهم الاستدراج والإمهال فانقطعت بهم الآمال فى مفاوز الهلاك والوبال ، ضنوا حين رأوا قوة ذلك العدد والأسباب أن هذا إبان حلول العذاب وأوان الدمار والذهاب، على أهل نجد بل جزموا به من غير ارتياب ولم يعلموا أن هذا هو ورب الأرباب كله على القطع سراب فكم غر قبلهم من قبائل وآل فى البيداء المضلة لمعان الآل ؛ ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال ، وأبرز القواطع على تفرده بالألوهية والعبادة والكمال فى تلك الحال وغيرها من الأحوال، فأبى الا الصد والإعراض أهل الالحاد والضلال وقالوا ليس لنا عن سنن أسلافنا انتقال ولا نبرح على ماكانوا

عليه من سالف الأعمال ، وسابق ذلك المنهاج والأفعال حتى تزول الأرض أو تزال ، فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والانزال فقطع دابرهم باستئصال ، وعاجلهم ذلك قبل حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم ، ونودى عليهم (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان وجيوش أهل نجد اجتمع أكثرها فى شهر رمضان ، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود فى النصف الأول من شوال فى أحسن حال وأكمل بال ، وقد أمر جيوش المسلمين وامداد الموحدين أن يكونوا عند العربان مجتمعين وينزلوا طرف الصمان مباراة لأولئك العربان و كبيرهم محمد بن معيقل ، فكان أهل الاسلام كلما أقبل أولئك الطغام ونزلوا مكانا آخر ، ارتحل ابن معيقل ومن معه وجد فى ذلك وبادر حتى نزل المسلمون قرية ونزل أولئك بناحيتها بلا مرية ، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف وما يليه من غير ارتياب ، فعرف أهل الدين مرادهم وممشاهم فسبقوهم على ذلك وكان عقباهم الخسر ومثواهم . ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع عليه الأمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المسلمين وأجناد أهل التوحيد المجتمعين وقد أعمل المطى والرسائل إلى جميع العربان والقبائل وإلى جميع قرى الإسلام وبلدانه ومن حل التوحيد بأوطانه من أهل الجنوب والشمال ، فانتظم من الخلق والأمم ما لا يحصره القلم ولا يعبر عنه ناطق بفم .

ولما تحقق عنده نزول ثوينى وادى القرايا ، أرسل حسن بن مشارى رحمه الله تعالى مع جندية من تلك البرايا حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال ، فقد كانوا فى كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال ونزوله عليهم تلك الأيام والليالى ، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والإحتيال ولم تتجار خيول أفكارهم للرأى فى مجال ، ولم يفهموا ما ابتداه من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا ماورد فى صحيح المقال « الحرب خدعة » ولله در المتنبى حيث قال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان ... هى أول وهو المحل الثانى
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة ... بلغت من العليا أعزّ مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه ... بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان

فقصر باع الأفهام ، أن تدرك سر التأنى فى ذلك المقام ، وعدم المبادرة بالإقدام وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة ، ولم يتأهلوا للقيام بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخبطوا خبط عشواء بلا يقين ولا جزم وحكموا بما لم يحيطوا به من علم، ولم يكونوا من غامضه على فهم، فاستحسنوا ماليس بالحسن لكون المقدمة لم تنتج لهم المطلوب فى العلن وإلا فالأناة محمودة والعجلة مذمومة مبعودة كما ورد فى بعض الآثار ، ومستحسن الأخبار ، ولقد قال من سبق فى هذا المضمار :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

ولقد دبر فكره فيهم مكايد وأقام لخداعهم رصائد ، ونصب لهم شركا وحبالة تقتنصهم فرسانا ورجالا ، وأحكم لهم من الآراء درعا سابغة وزرداً بيوم الهياج نابغة، وهمت عند المنازلة لكتائب الأعداء رابغة، وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة لم ير قط عن الإقدام لها تأخر ولا إحجام، بل لا تزال للوغى طالبة وفى الجهاد راغبة وللأرواح ناهبة وللمهج سالبة وأراد بهم أمراً أمرا ومن القاصمة كاهلا وظهرا ، فأرسل إلى حسن بن مشارى يأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلا للقتال والمحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال ، فعسى العدو إذا رأى هذه الحال يظنها رعبا وأجفال ، فيسرع فى القدوم والإقبال فتقع المصادفة والمزاحمة وتصدر المقاتلة والملاحمة فلا يطول مكث لتلك الكتائب حتى يرى سواد سوادى آيب ، فتقع حينئذ فى الطعن عجائب ، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب ، فتضحى كماة الأعداء للنجاة طوالب وتلك الأحزاب متمزقة هوارب، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح المطالب ويمسى كل واحد لكأس الذل شارب ولكن صدور ماجرى تدبير من ليس له غالب ، وإرادة من لا يعجزه فى الوجود هارب وخيرة بر وصول حليم غير عجول كريم جواد يحف بالنصر والإمداد ، من أراده من العباد، وكفى بإرادته وخيرته للموحدين وعصبة الدين من خيرة ومراد ، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد ؛ فسبحان الذى قدر الأشياء قبل الإبراز والايجاد ، فوقع فى الكون ظهورها وبدا مستورها على ماشاءه وأراد .

ولما أتى حسن بن مشارى ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد عن الارتحال حتى يتم المقصود، فارتحل تلك الأيام وترك الاقامة فى ذلك المقام وشمر فى السير بعد الرحيل من غير أناة ولا تمهيل ، وسار عن الطف وما يليه بعد ما كان له فيها مراح ومقيل

وقصد ماأمره به الأمير لكونه رأيا سديدا وتدبيرا من أحسن التدبير . فعند ذلك طمع الأعدا وكافة ذوى الردى وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا ورعبا أطار قلبا وذهنا فزحفوا إلى المكان الأدنى فأكسبهم الله ذلا ووهنا ، وأهلكهم بما كسبت أيديهم وأورث المؤمنين المحل الأسنى ودثرهم من أموالهم وأغنى ، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع . فلم يهتدوا لذلك بأفكارهم فألقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم وهذا شأن قائدهم يغويهم ثم يرديهم ، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ماأضمر فى القلوب واستكن فى الجنان وأبرزه سبحانه من أناس فى صفحات الوجه وفلتات اللسان فنطق بالنفاق كثير من العربان لاسيما فى ذلك البدوان ، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق ويكون للباطل اعتلاق وللزور والكذب اختلاق ومالوا إلى طريق الهوى وحاولوا عن الهدى نفورا و (إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا) وثبت الله تعالى أهل التوحيد والايمان وزادهم فيه تصديقا وإيقان (وقالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله) كما فى القرآن وصدق الله ورسوله فأولاهم أسنى مراتب العرفان وأفاض عليهم هاطل البر والإحسان ، وكانت العقبى لهم مع مامنحهم من رفيع ذلك الشان .

وفى حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشارى جيشا كثيرا من المسلمين ، منهم محمد آل على المهاشيرى وفراج وصالح بن عياش ، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم فى الإياب لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام يبين له ماجرى وأنه لم يرد ذلك المرام ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام ، وإنى أريد بالمسلمين اللحوق ولكننى عن ذلك معوق وإن أتانى من المسلمين غزوان بادرت إلى لقائهم من غير توان ، وكتب كذلك إلى سعود قبل ظهوره من البلد وبعده وبذل فيه جهده ، وكتب إلى حسن ابن مشارى تلك الأيام وهو غير خائف ولا ممارى بل رغبة فى الإسلام والإنقياد للأحكام ، فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام لكون الأحزاب به مرجفة ومنه محذرة مخوفة ، فصارت له مكشفة فردت تلك الغزاة منحرفة ؛ وفى هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرة وبادية فأصبحت خيولهم على المعادين عادية وكانوا عنهم مخبرين وعن قدومهم منذرين

فصاروا لهم مستعدين فوقعت بينهم مطاعنة شديدة ، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة بعد ما أناخوا للقتال ولم يتبين فيهم رعب ولا إجفال ، فقتل بينهم رجال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسا وأخذوا عليهم آبال ورجعوا فى أحسن حال .

وفى تلك الأيام أيضا ، أغار نفجان بن سند الندى مع غزو معه على الضويحى فأخذمنهم إبلا كثيرة وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة .

وفى هذه الأيام أرسل سعود رسلا نحو القطيف ومعهم ركب آل مرة لكون الطريق يخيف ، فلما أتوا ذلك المكان وجدوا قوما من العمائر العدوان ففجئوهم على غرة ونفذ الله فيهم أمره وقتلوا منهم خمسة وعشرين وأخذوا السلاح وما كانوا له مجمعين . وفيها وقع مطر عظيم وجرى سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمى وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإبانه ، فزاد ذلك وأربى وأشفق منه الناس مخافة وكربا وتلاطم موجه وزاد وأزال كثيرا من دكاكين أهل البلاد تعاظم جريانه وطما وصعد بعض البيوت وارتمى ، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى وهدم كثيرا من الركايا وأقيمت منه بيوت خوايا ونالت منه بعض الضرر الرعايا وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها فغير من أرباب تلك البيوت حالها ، فاختطوا بعد ذلك لسكناهم خطة وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة ونزل على حريملا برد كثير كبار لم يعرف له مثيل قتل بهائم كثيرة وكسر جمار بعض النخيل وكسر غالب الأشجار وحصل للمسلمين منه انذعار وهدم كثيرا من الجدران وأشفق منه غالب البلدان فلجئوا فى رفعه إلى الله مولاهم فكشفه عنهم ومنحهم مناهم . وفيها أيضا فى فصل الصيف أتى سيل أخجل الألباب والأذهان ولم يجر قبله مثله فى سابق الزمان هدم بعض حوطة أهل الجنوب ، وحصل للمسلمين منه كروب وهدم من العيينة والدرعية وغيرها بيوتا معمودة وأغرق زروعا كثيرة محصودة ولكن أدرك الناس به نعمة منيفة ومنة من الله تعالى شريفة حيث استمر سنة يجرى من غير مطر وادى بنى حنيفة ، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال وأقاموا مدة هذه السنة فى أنعم بال (إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وفيها كثر الجراد وعم فى أكثر البلاد وانتشر فى غالب الأقطار وربى فى كثير من البلدان والأمصار وحصل للناس من

خلفه الصغار الذى لايقبل الزجر والانزجار ولا يعتريه من الوهج انذعار أعظم ضرر وإضرار ، فأكل ذلك الدبى لما مشى ودبى ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر الأشجار ثم ولى بقـدرة العزيز القهار . وفيها غزا ربيع بن زيد أمير وادى الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد فأسرع فى سيره يريد بعض البدوان ذوى الشرك والضلال والطغيان فصبح فريقا يقال له أبو البؤس من شهران فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق ؛ فشمر حزب الفسق للقتال بالصدق وعزموا أن يكشفوا العوادى القوارح ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورا فوادح تسويلا من الشيطان واغترارا بالصبر عند الطعان حتى رأوا من بأس أهل الدين ما أكذب أمانيهم،فولوا منهزمين وقتل منهم نحو الخمسين،وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والابل ورجعوا بالأجر وحسن العمل . وفيها غزا ربيع أمير واديه بجمع من حاضره وباديه ؛ فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين يريد بلدان المشركين،فعمد إلى بيشة ونزل على الشقيقة والجنينة وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينه ، ثم بعد أن مضوا لهم ليالى وأيام وهو محاصر لهم فى ذلك المقام رغبوا فى طريق السلم والاستسلام ونزلوا للبيعة على الإسلام فعاهدوا جميعا على ذلك وحسن لهم المقام هنالك . وفيها أمر عبد العزيز أدخله الله تحت كنفه الحريز ربيع بن زيد أن يسير بجماعته إلى رنيه مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته ، فسار ممتثلا لذلك الأمر حتى أناخ على رنية ، فبنى بها قصرا فلما أحكم بناؤه وتم رفعه واستعلاؤه جعل فيه آلة للحرب وكثيرا من الطعام وأمر فيه محمد بن سعيد بن قطنان، فحين عاينوا أهل رنية ذلك العمل رجف بهم ذلك الوطن والمحل وضاق عليهم فسيح الرحاب ودهاهم أعظم الاكتراب وحل بهم الأسى والاكتئاب فلم يجـدوا منهجا للدفاع ولم يكن عن الدخول فى الدين امتناع وإن كانت تنفر عنه تلك الطباع وليس لهم فى البقاء على حالهم أطماع ، فعند ذلك أسرعوا فى الإسلام على المبايعة وأقبلوا للعهد متابعة،فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام . وفيها غزا محمد بن معيقل مع جمع من أصحاب الحساء والمهاشير وأهل نجد وكانت جزيرة العماير التى بالبحر له قصد ، فسار وقد زال عنـه ومن معه من الرجال رين النصب والسآمة والـكلال ، وقد أجهد المطى فى السير والترحال ، لئلا يعلم ما دبره وهيأه

من الحال ، فلم يزل يجد التسيار ويقد بمقراض اليعملات القفار حتى شخص له لمع البحار وسمع زخر موجة التيار وبدت له فى الجزيرة الأشخاص ،فأسرعت الجيوش الإحسائية والأبطال المجربة النجدية إلى خوض اللجة البحرية مستمدين النصر والإعانة السرمدية من خالق البرية ،ولم تسبق قبل هذه فى البحر لأهل الدين غزوة ولم يفترعوا من تياره صهوة بل لم يقصدوا نحوه وخاض معهم بعض الخيل ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك صدود ولا ميل ،فشمر يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة فساروا إليها بأعظم الجريرة ، وحين رأى من بها من الرجال مهول تلك الأفعال علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال ، فركبوا سيارة الأفلاك فكان لهم بها من السلامة أفلاك ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك ، وقتل منهم بعض الرجال وأخذ المسلمون جميعا ما بها من الأموال فأدركوا فيها ستا من الخيل الأجاويد ونحو أربعين من إناث العبيد وخياما كثيرة وسلاحا وأمتعة ونقودا وأرباح وفازوا بالأجر والفلاح ورجعوا من الأمل بالنجاح . وفيها أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبدالعزيز أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال يطلب منه علما من أهل الدين والتوحيد ويزعم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد ويحرض على قدومهم مع من أرسله من البريد حتى يقف على الحال عن يقين وعيان ويحيط بعد ذلك بالعرفان وينجلى له من المناظرة فى شريف ذلك المكان ما خفى عليه من مدة أزمان، وربما تشرق له أنوار شمس البيان ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان ، فلما عرف إمام أهل الإيمان ما قصده ذلك الإنسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والتبيان ، رغب أن يكون انقدح له من الدعوة شى أو نشر له من الحق طى وربما يبدو منه إياب وفى" بعد فرط صدود وامتناع ولى" ،ويقتضى من شاء عن القرب لذلك المكان ،وأيضا فالهداية والتوفيق قد يكونان فى أوقات دون أوقات ،ولله فى دهره نفحات كما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الروايات ؛ وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته وبديع هديه وسنته وعظيم فضل الله عليه ومنته أنه يدعو إلى الله تعالى بالتى هى أحسن وأحكم ويرشد العباد للتى هى أقوم ،فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده فعسى أن يكون له سببا للسعادة ؛ فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف

عنه شبه المبطلين ويوضح له سبل المهتدين وهم أناس من أهل الميز والتبيين وحسن المحاضرة فى المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمـد بن ناصر بن معمر وكان هو المرأس عليهم والمؤمر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه وخوّلهم من معروفه أعمه، فجردوا المسير الهمة وقطعوا تلك المهامه المدلهمة حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة وصرف عنه البؤس والنقمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات وإرقال تلك المهريات فى سباسب الفلاة ومواصلة السرى فى الدجنات بلد الله الحرام ومحلة الحج الذى هو أحد أركان الإسلام، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا وأتوا بالعمرة على التمام ونحروا الجزر التى أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه فى المروة التى تراق فيها دماء شعائر الله، أوصل الله تعالى إليه أجر ذلك وثوابه وأناله على ذلك القبول وأثابه وبلغه فى الدارين مقصوده وطلابه، فقابلهم الشريف بالإقبال وأبدى لهم طلائع الإجـــلال وتلقاهم بطلاقة وجه واستهلال، وأنزلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمته وإكرامه وأحضرهم لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارت الأذهان فيها للجدال وشرّعوا أسنة المقال وراموا أسنة الحق بالمحال، ولم يأتوا ولله الحمد على كل بما يثلج لهم وهيج البال من النصوص السالمة من الضعف والاعتلال. ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك والضلال سوى موضوعات الملحدة والضلال وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال التى عفت منار الحنيفية ومالها من معالم وأطلال حين جرت على مباهج مناهج محياها الأذيال؛ فلما تحققوا ذلك وعلموه وتيقنوا أنهم لم يجدّوا فى الدفع وفهموه أجمعوا رأيهم وأحكموه على المغالطة فى اللفظ فأبرموه. فراشوا فى المقال النصال وحدّدوها للرمى فى النضال ورصدوا للحن فى اللفظ والمقال، لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا فى سرد صحيح السنة القامعة لهم والأنقال على مافيه لبس لدى مصنف وإشكال سوى لفظة جرى اللسان فيها على اللحن فى الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نقص فى اللب والاختلال وسخافة فى العقل وخيال ووسوسة من الشيطان أبرزها له فى الخيال، وحسبك كونه فى الفلج بالحجة لم يبال ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الالزام والفلج لم يذعنوا ويجحدونه وهم به مستيقنون (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون).

وصـفة ماجرى مهم أنهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله المنيف

وجالت خيول الأذهان لدى غالب ، والكل جرى فى ذلك المضمار لإدراك المآرب فأول ماافتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه فى المطالب ، وصدر منهم البذاءة والتنافر ووقع منهم بتلك المجالس وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة مسألة قتال الموحدين الناس والكشف عن وجهها حجب الالتباس،فطلب من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعاليل والنص القاطع للاحتمال والتأويل والقامع لسائر الأقاويل على ذلك المنهج والسبيل ، فأتى لهم جزاه الله تعالى الثواب الجزيل من النص القاطع القامع لكل أذن واعية وسامع وأصل لهم من الأصول فيها ماتؤدى بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة اللائحة ماشفى وكفى ، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا ، وأزاح عن محياها القتام ونفى فقصف على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزق آثارهم ومنارهم بعد ماهب عليهم وسفا وأوقفهم على النصوص فأقروا وسلموا لتلك النصوص ، وصدر منهم الإذعان بعد ماحملهم الشيطان على كون تلك لم تكن فى الكتب مسطرة ولا موصولة فيهاومقررة، وتفوّهوا بحضرة الشريف بذلك حتى أوقفهم أحمد على ماهنالك ونقل من الكتب التى عندهم ماضعضع وجدهم وجلب عليهم علتهم وجهدهم ، فوطفت جباههم من العرق لماداخلهم من الخجل ، والفرق فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة حين قرءوا حجته ودليله ولم يستطع منهم إنسان على جحود ذلك البرهان بل صار منهم إقرار بذلك وإعلان ، ولم يكترثوا بما صدر قبل من الكتمان وما ابتدءوا به من الزور والبهتان فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون (ولقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس مايشترون) ثم تفاوضوا بعد ذلك فى مجالس عديدة فى دعوة الأموات فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة ممن له الفكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار والأتباع المتقدمين الأخيار ماأدهش العقول والأفكار مما لايسع المنصف له إنكار ولكنهم جحدوا وقوع ذلك فى الوجود وأنكروا أن يكون ذلك فى الأقطار موجود وذلك عندهم واقع مشهود وهم على ذلك كل ساعة شهود فالعياذ بالله تعالى من هذا الإنكار باللسان مع أنهم متيقنونه فى الجنان ويشاهدونه الخلق عندهم بالعيان فنقول (سبحانك هذا بهتان) ولابدع فيما جرى وصدر ، فقد قال

كبيرهم أول من حضر وتأهب للمناظرة واتزر وجرد ذيول الخيلاء وافتخر واختال من الكبر والأشر : اعلم أنى أقول ولا أمارى ولا أخاصمك ولا أناظرك ولا أبارى إن أتيتنى بالدليل من الكتاب أوسنة النبي التى هى خصم لكل كذاب ، ولاأجاريك ولا أطالب بما قاله علماء المذاهب سوى ماقال به إمامى أبو حنيفة لأنى مقلد له فيما قال فلا أسلم لسوى قوله من قال ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال لأنه أعلم منى ومنك بأولئك وأدل بابتهاج تلك المسالك والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جرائيم المهالك ؛ فليقف العاقل على هذا المقال ويقضى منه العجب حيث صدر من هذا المدعى للعلم مع الله سوء هذا الأدب ، فيابئس مااقترفه من الاثم واكتسب ، لم يخف الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب ، وحاول بذلك فى الدنيا المراتب حتى يكون من الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب . فلما انقضت تلك الأيام والليال وتقضت ساعات المناظرة والجدال ، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمر تأصيل مابرهن به واحتج به وقرر ، وكتب ماسجله عليهم وسطر ؛ فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه فحرر من الكتب التى عندهم فى ذلك المكان ما أراده من ذلك الأمر والشان ، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان ، فجمع لديهم عجالة وعجل لهم فى سوحهم رسالة أوجز فيها مقاله وأتى فيها بما فيه كفاية فى الحجة والدلالة يذعن بعد سماعها كل منصف عاقل ويشهد بفضل قائلها كل فاضل ويقر بصدقها وصحة مضمونها الأماثل ، ولا عبرة بمنافق أو غبى أو جاهل بنى للحق المبين على أساسها صرحا وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحا وشرحا فأفاد ، فيما نحاه من التحبير صدعا وصدحا وترك مناظريه يعانون فى الجواب عنها كدحا ، فلم يدركوا من سعيهم ربحا بل زادوا فيما زخرفوه عن الصواب بعدا ونزحا وهى عليك مجلوة وحججها مقروءة ومتلوة مميطة لوضىء حسنها النقاب ، سافرة الوجه للنقاد والنقاب خالية من شين الإسهاب والإطناب جالية التجرين والارتاب ولكن عيبها سلامتها من الإعجاب .

وهذا نص الرسالة المزبورة والعجالة المنقحة المسطورة وأتيت بها على تأصيلها ووضعها ولم أغير بديع منوالها وصنعها :

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى . ماقولك فيمن دعا نبيا أو وليا واستغاث به فى تفريج الكربات كقوله : يارسول الله أو يا ابن عباس أو يامحجوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ .

الجواب

الحمد لله أستعينه وأستغفره ، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان واقتفى آثارهم إلى آخر الزمان .

أما بعد : فان الله تعالى قد أكمل لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع مافيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ، وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآية روى مالك فى الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » وقال صلى الله عليه وسلم « ماتركت من شئ يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شىء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدى والشفاء ؛ وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرفت هذا فنقول : الذى شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له وسؤال العافية كما فى صحيح مسلم عن بريدة قال « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار وفى لفظ : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا بكم إن شاء الله لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » وفى سنن أبى داود عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه » رواه مسلم فإذا كنا على جنازته ندعو له لاندعوه ونشفع له لانستشفع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك قولا غير الذى قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التى شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إحسانا إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذى وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه. ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسئلوا أصحابها جلب الفوائد وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله .

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير متوافرون فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر به ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم من بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها، فإن كان عندكم فى هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذى صح عنهم خلاف ما ذهبتم إليه . ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال :

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ونحن نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى ذكره فى كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحـدا) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) الآية وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) هو عيسى وعزير والملائكة وكذا قال إبراهيم النخعى قال : كان ابن عباس يقول : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو عزير والمسيح والشمس والقمر . وعن السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن عبد الله بن مسعود قال : نزلت فى نفر من العرب كانوا يعبـدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه فى صحيح البخارى ذكره فى كتاب التفسير . وهذه الأقوال كلها فى معنى الآية حق فإن الآية تعم كل من كان معبوده عابدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر؛ فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجوا رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد تناولته هذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر

عن الداعين ولا تحويله ولا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كتغير
صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويلا فذكر صيغة تعم أنواع التحويل فكل من دعا
ميتا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يغيثه
ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ، وهؤلاء المشركون اليوم منهم من إذا نزلت
به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ،قد لهج به كما لهج الصبي بذكر أمه ،فإذا
تعسر أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محجوب ، ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف
بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب فيكون المخلوق فى صدره أعظم من الخالق ،
فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه فأى
الفريقين أحق بالاستهزاء وبالمحادة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان
لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته
فى كل ماجاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس إيجابا لرعاية جانب الرسول تصديقا
له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة ما بعث به واتباع ذلك دون ماخالفه عملا
بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون)
وقوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) ومعنا ولله
الحمد أصلان عظيمان : أحدهما أن لا نعبد إلا الله فلا ندعو إلا هو ولا نذبح النسك
إلا لوجهه ولا نرجو إلا هو ولا نتوكل إلا عليه. الأصل الثانى أن لا نعبده إلا بما شرع
لا نعبده بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا
رسول الله فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب
ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا بحب ولا بخشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة ،
وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه فى جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه
فى كل ما أمر به ، فما أثبته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه . وقد روى البخارى من
حديث أبى هريرة قال « كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن يأبى يا رسول
الله ، قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » إذا عرف هذا فالذى نعتقده
وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج
الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء
وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس والمحجوب أو أبى طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الإجماع قال فى الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا لأن ذلك كفعل عابدى الأصنام قائلين (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى . وقال الإمام أبو الوفا على بن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى . وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانت الكفار إذا سئلوا : من خلق السموات والأرض، قالوا الله وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه .

فتأمل ماذكره صاحب الاقناع وكذلك ماذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ العماد بن كثير رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله فى نصرهم ورزقهم وماينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله عليهم بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لاشريك له وأن هذا شىء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لاإله إلا أنا فاعبدون) فأخبر أن الملائكة التى فى السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك انتهى كلامه .

وقال الإمام البكرى رحمه الله عند قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) الآية . فان قلت إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام : قلت كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة . ففرقة قالت ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى . وفرقة قالت الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى ، فاتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة لتقربنا إلى الله زلفى . وفرقة قالت جعلنا الأصنام لنا قبلة فى العبادة كما أن الكعبة قبلة فى عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله انتهى كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن زيد بن أسلم وابن زيد . ثم قال وهذه الشبهة التى اعتقدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهى عنها ، وتأمل ما ذكره البكرى رحمه الله عند آية الزمر أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله فى كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق

وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت) إلى قوله (فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) الآيات إلى غير ذلك من الآيات التى أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق وإنما كانوا يعبدونهم ليقربوهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه فى قوله(ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لايجعل معه إله آخر، فأخبرأن الشفاعة كلها له وأنه لايشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لايؤذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لايرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) وقال تعالى (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال «آتى تحت العرش فأخر لله ساجدا ويفتح علىّ بمحامد لاأحصيها الآن فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم قال يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع قال فيحدّ لى حدا فأدخلهم الجنة ثم أدعو فذكر أربع مرات » صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء .

وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله عند قوله تعالى (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) نفى الشفاعة وإن كانت واقعة فى الآخرة لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره وهو كذلك لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهى .

وقال عند قوله تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط . قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض قل الله) يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذى خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون فى تلبيتهم لبيك لاشريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم بقوله (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لايشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له ثم قد أرسل رسله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان أن طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم فى الشدائد أنه من الشرك الذى كفر الله به المشركين وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء وأنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى وأنه تعالى لايأذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا التوحيد كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك ، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة فى الحقيقة إنما هى له تعالى والذى شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهى إرادته أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها المشركون ومن وافقهم وهى التى أبطلها سبحانه فى كتابه بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولاهم ينصرون) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولا خلة ولاشفاعة) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص .

فروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أسعد الناس

بشفاعتى يوم القيامة من قال لاإله إلا الله خالصا من قلبه » وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتانى آت من عند ربى فخيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهى لمن مات لايشرك بالله شيئا » رواه الترمذى وابن ماجه ، فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال الله تعالى (ولايشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر سبحانه أنه لايحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع . وأما المشرك فانه لايرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع فمتى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة، وهذه الشفاعة فى الحقيقة هى منه فانه هو الذى أذن والذى قبل والذى رضى عن المشفوع له والذى وفقه لفعل مايستحق من الشفاعة فمتخذ الشفيع مشرك لاتنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذى يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) إلى قوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لايعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لاتحصل باتخاذهم وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب وسائط بينهم وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور ووجده مصرحا بأن

المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى عنهم فى سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك فى سورة الفرقان وسبأ والنجم ووجده مصرحا أيضا بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم فى سورة يونس والزمر وغيرهما من السور. فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث ، أعنى اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة ، تبين لكم أن هذا الذى يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذى كفر الله به المشركين ، فإن هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالمخلوق ، وفى القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع فان الوسائط التى بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة :

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ومن قال إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء .

الثانى : أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه ، والله سبحانه ليس له ولى ولا ظهير من الذل وكل ما فى الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه ، فهو الغنى عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم فى الحقيقة شركاؤهم ، والله سبحانه ليس له شريك فى الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لا ملك مقرب ، ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما فان من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له فى حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه والله لا شريك له بوجه من الوجوه .

الثالث : أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته فى قضاء حوائج رعيته والله تعالى رب كل شئ ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض

فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذى خلق ذلك كله وهو الذى خلق فى قلب هذا المحسن والداعى إرادة الإحسان والدعاء ، ولا يجوز أن يكون فى الوجود من يكرهه على خلاف مراده أويعلمه مالم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لايشفعون عنده إلا بإذنه كما تقدم بيانه ، بخلاف الملوك فان الشافع عندهم يكون شريكا لهم فى الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعة مملوكه فانه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لايطيعه ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى فى ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا أحد يقبل شفاعة أحد إلا لرغبة أو لرهبة ، والله تعالى لايرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغنى سبحانه عما سواه وكل ماسواه فقير إليه ، والمشركون يتخذون شفعاء مما يعبدونه مثل الشفاعة عند المخلوق قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) إلى قوله(سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فأخبر سبحانه أنّ مايدعى من دونه لايملك كشف الضر ولا تحويله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه ، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء . وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله . وأما من أراد الله فتنته فلاحيلة فيه و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) .

وأما المسألة الثانية وهى : من قال لاإله إلا الله محمد رسول الله ولم يصلّ ولم يزك هل يكون مؤمنا ؟ فنقول : أما من قال لاإله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال وإن قال لاإله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه . وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها فهذا قد اختلف العلماء فى كفره والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لايجتمعون على ضلالة

وإذا تنازعوا فى شىء ردوا ماتنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول إذ الواحد منهم ليس معصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرف هذا فنقول : اختلف العلماء رحمهم الله فى تارك الصلاة كسلا من غير جحود ، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعى فى أحد قوليه ومالك إلى أنه لايحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خمس كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » .

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعى فى أحد قوليه وإسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى والحكم وأيوب السختيانى وأبو داود الطيالسى وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كافر وحكاه إسحق بن راهويه إجماعا وذكره عن الشيخ أحمد بن حجر فى شرح الأربعين وذكره فى كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضى الله عنهم والتابعين. وقال الإمام محمد بن حزم : سائر الصحابة رضى الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة. وأجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم « ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » أن المراد عدم المحافظة عليهن فى وقتهن بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفى تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وعن بريدة بن الحصيب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها

فقد كفر » رواه الامام أحمد وأهل السنن وقال الترمذى حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك » وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف » رواه الإمام أحمد وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه . وعن عبادة بن الصامت قال : أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج من الملة » رواه ابن أبى حاتم فى سننه . وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله » رواه الإمام أحمد ، وعن أبى الدرداء قال « أوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة » رواه ابن أبى حاتم . وعن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة » الحديث ، وعن عبد الله بن شقيق العقيلى قال « كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة » رواه الترمذى ، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة فى كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم . ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهرى وداود فإنهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب ، ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لا حجة فيه بل هو حجة لمن يقول بقتله كما سيأتى بيانه إن شاء الله ، واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم » فشرط الكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن على

ثنا أبو أحمد ثنا الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحـده وعبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال أنس وهو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما نزل (فإن تابوا) قال خلع الأوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال فى آية أخرى (فإن تابوا وأقاموا وآتو الزكاة فاءخوانكم فى الدين) .

وأما السنة . فثبت فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه « من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد : فاقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم » أخرجه الطبرانى والبزار وغيرهما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلى فى شرح الأربعين .

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن على بن الأشجع أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهن قاتله عليها كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب: لوأن الناس تركوا الحج لقتلناهم على تركه كما نقاتل على الصلاة والزكاة.

وبالجملة فالـكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقـد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالمحاربين وأولى انتهى .

وأما حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليـه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فهـذا لا إشكال فيه بحمد الله وليس لـكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ، قال علماؤنا رحمهم

الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع فى العاصم له فيجب الكف عنه فان تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبى صلى الله عليه وسلم قد قال حديثا فى وقت فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوما ، ثم بين النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فبين أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك ، ولأن لا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام ، كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق ، ثم وافقوه رضى الله عنهم انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم فى معنى حديث أبى هريرة أن الصحابة رضى الله عنهم أجمعوا على قتال مانعى الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبى بكر الصديق وعمر رضى الله عنهما، واستدل عمر على أبى بكر بحديث أبى هريرة فبين صديق الأمة رضى الله عنه أن الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقاتلوا مانعى الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون. ونحن نسوق الحديث ، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء وأنه فهم مشئوم مذموم مخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فنقول : ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال « لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبى بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق للمال فوالله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر فوالله ماهو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق » وهذا الحديث خرجه البخارى فى كتاب الزكاة ، ومسلم فى كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم فإن الصديق رضى الله عنه جعل المبيح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب وقد تكلم النووى رحمه الله تعالى فى شرح صحيح مسلم فقال باب الأمر بقتال الناس

حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريرته إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابى فى شرح هـذا الكلام كلاما حسنا لابد من ذكره لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله مما يجب تقديمه فى هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين : صنف ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا لكفرهم وهم الذين عنى أبو هريرة بقوله من كفر من العرب ، والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكوة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام وقـد كان فى ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدّوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيديهم فى ذلك كبنى يربوع فانهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفى أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضى الله عنه فراجع أبا بكر رضى الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وأن هذا كان من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر فى آخره ويتأمل شرائطه فقال له أبو بكر الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بايفاء شرائطها والحـكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم ، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها وكان فى ذلك من قوله دليل على أن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة رضى الله عنهم ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه فلما استقر عندهم صحة رأى أبى بكر رضى الله عنـه وبان لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التى أدلى بها والبرهان الذى أقامه نصا ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذى ذكره النووى رحمه الله تعالى وهو إمام الشافعيـة على الإطلاق تجده صريحا فى رد شبهتكم : أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله وإن ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة فى رد قولـكم فانه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل ماذكره الخطابى أن الذين منعوا

الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها إلا أن رؤساءهم صدوهم عن ذلك الرأى وقبضوا على أيديهم كبنى يربوع فانهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبى بكر فمنعهم مالك ابن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر فى هؤلاء ، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبى صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر إلى آخره ويتأمل شرائطه وتأمل قوله إن قتال الممتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابى إلى أن حديث أبى هريرة مختصر ، قال النووى رحمه الله قال الخطابى ويبين لك أن حديث أبى هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر وأنسا رضى الله تعالى عنهما روياه بزيادة لم يذكرها أبو هريرة ، ففى حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفى رواية أنس «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وان يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» انتهى .

قلت : وقد ثبت فى الطريق الثالث المذكور فى الكتاب من طريق أبى هريرة وروايته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بى وبما جئت به فإذا قالوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وفى استدلال أبى بكر واعتراض عمر رضى الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة فى رواياتهم فى مجلس آخر فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم انتهى كلام النووى .

فتأمل ما ذكره عن الخطابى تجده صريحا فى رد قولكم ، وتأمل قوله فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم .

وبالجملة فحديث أبي هريرة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحقها لكان كافيا في بطلان شبهتكم فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما أعظمها على الإطلاق . ومما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث أعني حديث أبي هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه فإنه حديث صحيح مخرج في الصحاح وهؤلاء شراح البخاري وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذي ذكروه خلاف ماذهبتم إليه ولو لم يكن إلا احتجاج عمر به على أبي بكر ثم موافقته لأبي بكر على قتال مانعي الزكاة لكان كافيا . ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرا ونذرا قال النووي رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى » قال الخطابي معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقاتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال ومعنى وحسابه على الله تعالى أي فيما يسرونه ويخفونه قال ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يقبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لاتقبل ويحكى ذلك عن أحمد بن حنبل هذا كلام الخطابي . وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى هـذا وزاد عليه وأوضحه فقال اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لايوحدوهم ، كانوا أول من دعي إلى الإسلام وقوتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فـلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده فلذاك في الحديث الآخر « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » هذا كلام القاضي ولا بد من الإيمان مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » انتهى كلام النووي. فتأمل ماذكره الخطابي وما ذكره القاضي عياض أن المراد بقول لا إله إلا الله التعبير عن الإجابة إلى الإيمان واستدل لذلك بالحديث الآخر الذي فيه « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » وتأمل قوله إن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لايوحدون . وأما الذي يقر

بالتوحيد فلا يكتفى فى عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها فى كفره وهى من اعتقاده وتأمل قول النووى ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبالجملة فقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » لم نعلم أحدا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة هذا لم يقل به أحد من العلماء ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الخوارج الذين قاتلهم على بن أبى طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الصحابة مخطئون فى قتالهم مانعى الزكاة لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولازم قولكم إن بنى حنيفة مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله . سبحان الله وما أعظم هذا الجهل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومن العجب أنكم تقرءون فى صحيح البخارى هذا الباب فى كتاب الإيمان حيث قال باب (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) .

حدثنا عبد الله بن محمد المسندى ، قال حدثنا شعبة عن واقد بن محمد سمعت أبى يحدث عن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث اللذين ذكرهما البخارى وبأى شىء تدفعون به هذه الأدلة . وقال الإمام أبو عيسى الترمذى فى سننه فى باب « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » حدثنا هنا أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث ثم أردفه بحديث أبى هريرة فى قتال أبى بكر لمانعى الزكاة وساق الحديث بتمامه ، ثم قال باب ماجاء « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة » حدثنا سعد بن يعقوب الطالقانى أن ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويستقبلوا قبلتنا ويأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين » وفى الباب عن معاذ بن جبل وأبى هريرة هذا

حديث حسن صحيح والمقصود بيان ذم هذه الشبهة التى زينها من يدعى أنه من العلماء على الجهلة من الناس ، أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام وهذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام العلماء صريحا فى رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وإن أقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون وصرحوا أيضا بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون وكذا لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء حرم الله الشريف يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه وإن لم يصل ولم يزك ، فسبحان مقلب القلوب والأبصار وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب وهذا كلامهم موجود فى كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل ، وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكون عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة فى كتبهم ، فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة أو تركوا صلاة العيد فانهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأسا وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وإن كانوا طائفة ممتنعين من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون بأن البوادى إسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعى بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يزكون بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، سبحان الله ما أعظم هذا الجهل ، وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح المحدثين ما فيه الهدى لمن هداه الله ، وبينا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وايتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله» . وأما كلام الفقهاء فى كتبهم فنذكره على التفصيل . أما كلام المالكية فقال

الشيخ على الأجهورى فى شرح المختصر : من ترك فرضا أخر لبقاء ركعة بسجدتيها من الضرورى قتل بالسيف حدا على المشهور. وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كافر واختاره ابن عبد السلام انتهى .

وقال فى فضل الأذان قال المازرى فى الأذان معنيان : أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال .

والثانى الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها . وقال الأبى فى شرح مسلم : والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك، وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لأنه نص عن عياض فى قول المصنف والوتر غير واجب إلا أنهم اختلفوا فى التمالؤ على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن فى التمالؤ على تركها إماتتها انتهى .

وقال فى فضل صلاة الجمعة : قال ابن رشد : صلاة الجمعة مستحبة للرجل فى نفسه فرض كفاية فى الجملة، ويعنى بقوله فى الجملة أنها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى . وعبارة غيره وإن تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الأجهورى . فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وإنما اختلفوا فى كفره وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافرا ، وتأمل كلامهم فى الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة فى المساجد وأنهم يقاتلون ، فأين هذا من قولكم إن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لايحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله . وأما كلام الشافعية فقال الإمام العلامة أحمد بن حمدان الأذرعى رحمة الله فى كتاب [قوت المحتاج فى شرح المنهاج] من ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر إجماعا وذلك جاريا فى كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإن تركها كسلا قتل حدا على الصحيح والمشهور . أما قتله فلأن الله تعالى أمر بقتل المشركين ، ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولما فى الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ثم قال إشارات منها قتله ردة ووجد لشرذمة منهم منصور التميمى وابن خزيمة وقضية كلام الرونق أنه كلام منصوص حيث قال : فإذا قتل ففى ماله ودفنه بين المسلمين قولان : أحدهما مارواه الربيع عن الشافعى أن ماله يكون فيئا ولا يدفن بين المسلمين . والثانى مارواه المازنى عن الشافعى أن ماله لورثته ويدفن فى مقابر المسلمين وقال فى المستعمل : سألت الربيع مايصنع بماله إذا قتله ؟ قال يكون فيئا . ومنها قال فى الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبوحامد ، وفى البيان لو صلى عريانا مع القدرة على الستر أوالفريضة قاعدا بلا عذر قتل، وكذلك لوترك التشهد أو الاعتدال، حكاه ابن الأستاذ عن البحر ، فان صح اطرد فى سائر الأركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه. ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من الفطر وقال إمام الحرمين . يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه ، فان أبى ضربت عنقه قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الأذرعى . فانظر كلامه فى قتل من ترك الصلاة كسلا وأن الربيع روى عن الشافعى أن ماله يكون فيئا ولا يدفن فى مقابر المسلمين . وتأمل كلام أبى حامد وكلام صاحب الروضة فى قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعدا بلاعذر إنه يقتل فأين هذا من قولكم ان من قال لاإله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ، وقال الشيخ أحمد بن حجر الهيتمى فى التحفة فى باب حكم تارك الصلاة إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل لآية (فان تابوا) وخبر « أمرت أن أقاتل الناس » لأنهما شرطا فى الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وايتاء الزكاة لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا فكانت فيها على حقيقتها بخلافها فى الصلاة فانه لايمكن فعلها بالمقاتلة وقال فى باب صلاة الجماعة : وقيل هى فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار فان امتنعوا كلهم أو بعضهم كأهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا يقاتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة وقال فى باب الأذان والإقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهل بلد تركوهما أو أحدهما بحيث لم يظهر الشعار ، وقال فى باب صلاة

العيدين هى سنة ، وقيل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه فى التحفة. فانظر إلى كلامه فى قتل تارك الصلاة كسلا وتأمل قوله : إن الآية والحديث شرطا فى الكف عن القتل والمقاتلة الإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن الإمام يأخذ الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقاتلوا . وتأمل كلامه فى باب صلاة الجماعة وأنها تجب بحيث يظهر الشعار فى ذلك المحل حتى فى البادية وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا ، بل كلامه فى الأذان والإقامة وأن الإمام يقاتل على تركهما وعلى ترك أحدهما على القول بأنهما فرض كفاية . وتأمل كلامه فى الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العيدين فأين هـذا من كلام من يقول إن أهل البلد والبوادى إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجز قتالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، فسبحان الله ماأعظم هذا الجهل . وأما كلام الحنابلة فقال فى الاقناع وشرحه فى كتاب الصـلاة : من جحد وجوبها كفر ، فإن تركها تهاونا وتكاسلا لاجحودا يهدده ، فإن أبى أن يصليها حتى ضاق وقت الذى بعدها وجب قتله لقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) إلى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فمتى ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله عليه الصلاة والسلام «من ترك الصلاة عمدا متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله» رواه أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد، ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كالمرتد نصا فان تاب بفعلها وإلا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال « بين الرجل وبين الـكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذى انتهى.

وقال فى باب الأذان والإقامة : فإن تركهما أى الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا أى قاتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوهما لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فيقاتلوا على تركهما كسلا كصلاة العيد . وقال رحمه الله فى باب صلاة الجماعة : وهى واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأعيان بخلافه .

وقال فى باب صلاة العيدين : وهى فرض كفاية إن تركها أهل بلد يبلغون الأربعين بلا عذر قاتلهم الإمام كالأذان فانه من شعائر الإسلام الظاهرة وفى تركهما تهاون بالدين وقال فى باب إخراج الزكاة : ومن منعها أى الزكاة بخلابها وتهاونا أخذت منه قهرا كدين الآدمى ، وإن غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بأن كان فى قبضة الإمام

أخذت من غير زيادة وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا ، فان تاب وأخرج كف عنه وإلا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعها ، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها ، انتهى كلامه فى الإقناع وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود أنه يستتاب ، فان تاب وإلا قتل كافرا مرتدا ، وتأمل كلامه فى أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية وهذا كلام الشافعية وهذا كلام الحنابلة الكل منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم شرائع الإسلام إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف بمن ترك الصلاة رأسا كالبوادى ولا يزكون ولا يصومون بل ينكرون الشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، هذا هو الغالب عليهم إلا من شاء الله وهم القليل وإلا فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون لاإله إلا الله ومع هذا يجادل علماء مكة ويقولون إنهم مسلمون وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام وإن لم يصلوا ولم يزكوا ولم يصوموا لأنهم يقولون لاإله إلا الله وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » وهؤلاء يقولون من قال لاإله إلا الله فقد عصموا دمهم ومالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) فهذا كتاب الله وسنة رسوله وهذا إجماع الصحابة على قتال من ترك الصلاة أو منع الزكاة . قال صدّيق الأمة أبو بكر رضى الله عنه « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة . والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » وفى رواية « عناقا لقاتلتهم على منعها » وهذا إجماع العلماء ، قال فى شرح الاقناع أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لاتكون فتنة كالمحاربين وأولى انتهى .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لاتكون

فتنة ، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأى ممتنعة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا والميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التى لا عذر لأحد فى جحودها أو تركها التى لا يكفر الواحد بتركها بجحودها فان الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وإنما اختلف الفقهاء فى الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتى الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتنعة على تركهما أم لا فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف فى القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة على ذلك حتى يكون الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائع الإسلام وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاد لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وسبى نساءهم واستحل دماءهم وأموالهم ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يغزو بنى المصطلق عند قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا؟) أما علمتم أن على بن أبى طالب حرّق الغالية مع أنهم يقولون لا إله إلا الله؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر نبيهم صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءتهم مع قراءتهم وقال أينما لقيتموهم فاقتلوهم ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويؤذنون ويصلون ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بنى يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم

مقرون بوجوبها وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة، وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر رضي الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال : والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق ، وقد تقدم ذلك مبسوطا وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذي في سننه حيث قال باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء قال «مر بي خالد أبو بردة ومعه لواء فقلت إلى أين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتيه برأسه» حديث حسن غريب انتهى .

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها لطال الكلام جدا، فكيف بمن ترك الإسلام كله وكذب به واستهزأ على عمد ، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله كهؤلاء البوادي، وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وإجماع الصحابة وإجماع العلماء فإن كان هذا الذي ذكرنا له معنى آخر غيرما فهمناه فبينوه لنا من كلام الله وكلام العلماء ورحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار .

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة البناء على القبور فنقول : ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه» كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا يحيي بن يحيي حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدي قال : قال لي عليّ «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريج عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه »وقال أيضا حدثنا هارون الأبلي قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال : كنا مع

فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره أن يسوى ثم قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها » وقال الترمذى باب ما جاء فى تسوية القبور حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن حبيب عن أبى ثابت عن أبى وائل « أن عليا رضى الله عنه قال لأبى الهياج الأسدى أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته » قال وفى الباب عن جابر وقال ابن ماجه باب ما جاء فى النهى عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبى الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور » حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبى جريج عن سليمان بن موسى عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شىء » حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشى بنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمرة عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « نهى أن يبنى على القبر » قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم قال الشافعى فى الأم : رأيت الأئمة فى مكة يأمرون بهدم ما يبنى ويؤيد الهدم قوله « ولا قبرا مشرفا إلا سويته » وقال الأذرعى رحمه الله تعالى فى قوت المحتاج : ثبت فى صحيح مسلم النهى عن التجصيص والبناء ، وفى الترمذى وغيره النهى عن الكتابة قال القاضى ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها والوصية عليها باطلة قال الأذرعى ولا يبعد الجزم بالتحريم فى ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهى بل هو القياس الحق والوجه فى البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك . وأما بطلان الوصية بالبناء والقباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب فى تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الأذرعى رحمه الله تعالى ، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أنتم عليه من فعلكم مع قبر أبى طالب والمحجوب وغيرها وجد أحدهما مضادا للآخر مناقضا له لا يجتمعان أبدا ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور كما تقدم ذكره وأنتم تبنون عليها القباب العظيمة والذى رأيته فى المعلاة أكثر من عشرين قبة ، ونهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذى عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه. ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة عليها» كما تقدم من صحيح مسلم. وقال أبو عيسى الترمذى باب ماجاء فى التجصيص والكتابة عليها حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبى الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » هذا حديث حسن صحيح وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار . وقال أبو داود باب البناء على القبر حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنى ابن جريج قال حدثنى أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد على القبر وأن يجصص وأن يبنى عليه » انتهى « ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرجها » والذى رأيته ليلة دخولنا مكة شرفها الله تعالى فى المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » روى هذا أهل السنن ، وأعظم من هذا كله وأشد تحريما الشرك الذى يفعل عندها ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا إن هذا لايفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها ونقول اللهم اجعل ماذكروا حقا وصدقا ونسأل الله أن يطهر حرمه من الشرك ، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد من الشرك الأكبر الذى كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه فى المسألة الأولى وقد قال الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة)الآية وقال تعالى (له دعوة الحق) إلى آخره ، وقد روى الترمذى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ : وقال ربكم ادعونى أستجب لكم» رواه أحمد وأبو داود والترمذى . قال العلقمى فى شرح الجامع الصغير حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا فى النهاية : مخ الشىء خالصه وإنما كان مخها لأمرين : أحدهما أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال (ادعونى أستجب لكم) فهو محض العبادة وخالصها ، والثانى . إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء وقوله «الدعاء هو العبادة» قال شيخنا قال الطيالسى أتى بالخبر المعرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء. وقال شيخنا قال البيضاوى : لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التى تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إن فاعلها مقبل على الله معرض عمن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه . واستدل عليه بالآية يعنى قوله(وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) فانها تدل على أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لامحالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على المسبب وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها ، انتهى كلام العلقمى رحمه الله تعالى. وليكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث ، فان وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب ، وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة فانهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى (فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، فإذا أجبتم على هذه المسائل الثلاث أجبناكم عن بقية المسائل إن شاء الله تعالى . ولنختم الكلام بقوله تعالى(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) والحمد لله أولا وآخرا كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عثمان المضايفى مع كثير من العساكر والجيش وذوى السفاهة والطيش وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم عند سعود ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الاقدام بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام ، فظن أنه يحصل منهم على مرام ، فأسرع الوصول إليهم

وقدم وهم على ماء عقيلان آل روق من قحطان وغيرهم من سائر العربان وكبيرهم مسفر بن نقيحان ، فأغارت عليهم فرسان الشريف بقوة ترعب وتخيف ، فثبتت لهم أولئك العرب ولم يكن أحد منهم عزم على الهرب ، وصبروا على الجلاد خوفا على الأموال والأولاد حتى أعانهم الرحمن ، فانهزم ذوو الطغيان وتبعهم أولئك البدوان وقتلوا منهم فوق الخمسين ونار الباقى مدبرين ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين وأخذوا كثيرا من السلاح والركاب وخسر جميع الأحزاب .

هذا ، ولنرجع إلى تمام الحديث عن ثوينى وإكماله وما لقى فى طريقه من سوء أعماله؛ وذلك أن الله تعالى الولى الحميد المبدئ المعيد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه إنفاذ الوعيد وأن يولى المسلمين من فضله المزيد ويجرى لهم عادته من النصر والتأييد ويخذل كل رائم لهم الهوان ومريد من كل باغ وشيطان مريد ، أقبل يقطع المفاوز ويعقب وراءه كل مهمه ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها مناهز ، وعن مصادمة المسلمين فى بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، يعلل بذلك نفسه إذا سجى الدجى ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى فى تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء ويفصل ولم يدر أن الله تعالى له بمرصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأمواه مقام بل أسرع فى المسير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام ، لما قضى عليه بشرب كؤوس الحمام وأن الله تعالى بحكمته التى بها للسموات والأرض القيام وحسن لمن فيهن بها الانتظام ، وقدرته التى قهرت جميع الأنام وإرادته التى تم بها الوجود واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحدانية الله ذوو العقول السليمة وسالكو المناهج القديمة المستقيمة ولكن الله تعالى إذا طبع على القلوب بطابع الحجاب وسلب الادراك والمعرفة من الألباب فلا تحس بما يصدر من العجاب وتمادى فيما هى فيه من الزيغ والارتياب .

فلما نزل ثوينى فى رياض أراضى الشباك مدت له من الحبائل شباك ونصب له من أسباب الحمام أشراك حتى تخمد نار الغواية والإشراك وترجع خاسئة على أعقابها أولئك السلاك ، فناداه منادى القضاء المجيد إلى أين تذهب وتريد ، وقد حان هلاكك غير بعيد (قل جاء الحق وما يبدئ الباطل ومايعيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فلم تمض له إلا أيام قليلة فصاح به أخرى وأسمعه قبيله وناداه ولكن لا يسمع

ولا يجيب (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وجعل الله تعالى منية ذلك الضرغام الذى لايستطاع بأسه ولا يرام على يد أذل وأضعف الأنام ، وذلك أن الأسرار الغيبية والمصالح التى نيط بها نظام البرية وجميع العوالم العلوية والسفلية لاتدركها جياد الأفهام والأذهان بل تحجم دون ذلك الميـدان ولا يكون لها فيه جولان ويقصر باعها عن ذلك ولو أطلق لها عنان فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان وصفوة أهل التوحيد والإيمان حين تشاهد تلك الحـكم التى ظهرت فى غاية البيان وأبرزها من (كل يوم هو فى شأن) فى وقتها المقدر لها بحسبان إلى زيادة الإقرار والإذعان لمـكون الأكوان ومقدر الآجال والأزمان ، ومحتم الفناءعلى كل إنسان وملك وجان ، بمصداق (كل من عليها فان) ومما يفتح هذا الباب لذوى البصائر والألباب ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب هذا البرهان الذى شاهده أولو الأبصار والحـكم العادل الصادر من قاصم كل جبار المـبرز فى مساق النصرة والانتصار صونا لزلال الشريعة عن الأكدار وقذر زعاف الأشرار ليستيقن أهل الدين بعد التتبع والاعتبار ، ويزيد أهل الإيمان بذلك الاستبصار فلا تبدر العقول والأفكار إلى امتطاء كاهل الإنكار ولا تدخل فى ضنك القنوط فتزيغ منها الأبصار ، فما فى الغيب من خفىّ الأسرار أجلّ من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار ، فتبارك الذى أقصى من شاء من العباد ونحاه إلى بيداء الابعاد وقسم له الطرد والحرمان ، وأضله على علم لإرادته به الهوان ، وسبحان الذى قرب أولياءه إلى جنابه ومنح أصفياءه لذيذ خطابه . وحاصل بيان هذه المنقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار هذه الموهبة أن ثوينى لما ظهر للحرابة وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر بابه وارتد من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى الفتنة يسير جاء بنو خالد الذين فى الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبدالمحسن ومن معه من قومهم وأعلموهم بالحال وخوفوهم من ثوينى وما أتى من الـكيد الذى لم يسبق له مثال ، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر والاعتقال فأشمل بعد ذلك هو ومن معه وكانوا إلى لقاء ثوينى فى استقبال وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية بعد صدور تلك القضية ، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر وأبى الارتداد، وخرج للغزو مع تلك الأمداد وكان يكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويديم

لتضرع والابتهال ويتمنى ذلك فى كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن
سامعه أن به وسواسا وخبال ، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثوينى
وصول واتصال ، أو تدرك منه مراما أو منال ، فضلا عن مثل هذا المهان الذى لا يلقى
ليه بال يجسر على هتك تلك الأبهة العديمة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التى دون
حبتها خطوب وأهوال ، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال ، فأراد الله الكبير
لمتعال ، أنه يغزو مع مناع أبا رجلين وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض
لآبال ، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوى الضلال فأخذوهم وبقى طعيس عند أولئك
لجنود وأخذت نفسه تحدثه بتلك الآمال ويصمم على ذلك ويدعو بتيسيره فى البكور
والآصال ، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيال وأخذ حربته وقد قوى الله
عزيمته فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال ، فلما
أحس بالطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسا وقام عليه مع غيره رجال ، فقتل بعد
ذلك فى الحال ولم يكن له ساعة إمهال ، عليه رحمة الله تعالى . وبقى ثوينى ذلك اليوم
إلى العصر ثم كان له إلى القبر انتقال ، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودهم ، وذعرت
وارتجت وماجت قلوبها بعد ما رعبت وعجت وحاق بها مدلهم الخطب وعراها
وقراها الزمان ما أوهى قراها وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز
من العذاب وانهزم منهم براك ونار ، وأرسل المسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه
وجد فى الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعد ما صدر
من براك وجماعته ذلك الفرار ، وحاول قوم ثوينى وناصر أخوه فى الثبات واجتماع
الحال فلم يحصل له ما يرجوه وأبت تلك العربان وندت أسلاف البدوان وشمرت
فى الانهزام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشتت الله شمل أولئك الأحزاب
واستمر كل واحد منهم فى الهزيمة لا يلوى أحد على أحد ولا يجيب (وحيل بينهم
وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب) .

ولما تحقق المسلمون ما صدر وجرى وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا بادر
حسن بن مشارى وجميع أهل الإسلام فى طلب أولئك الجموع العظام وشمروا فى أعقاب
أولئك الأقوام يأخذون ويقتلون والأعداء منهزمون ولا يلوون وتركوا جميع
ما عندهم من الغنم وما ثقل من الطعام والنعم ولم يكن لهم على جر المدافع الكبار

حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع وغنموا من جميع الأموال مالا يخطر على البال واستمروا فى آثارهم على ذلك المنوال إلى قريب الجهر يجمعون الأموال ويقتلون الرجال ، فقتل منهم فى الصبيحة جماعات من تلك البرية ورجع المسلمون بعد نيل الآمال فى أنعم عيش وبال، وأقبل سعود بلغه الله المقصود فى حدود ظهور أنوار تلك الآية وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية، فأحاطت به من جوانبه الألطاف والتوفيق والعناية وحفه السعد والحفظ والرعاية ، ونوى أن يغزو أولئك الجنود ويبذل فيهم المجهود وعزم على ذلك وصمم وأجمع عليه رأيه وتقدم وقال لابد فى أرضهم من الوطأة والمجال حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوى الضلال ، فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال وقالوا هذا صعب المنال والركاب والجياد لاتستطيع السير بحال ، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال وما نالوا من الشر والوبال وعسى أن يتم لك المراد على الامهال فجنح إلى قولهم وراض وكان له عن عزمه إعراض ، وأقام سعود حرسه الله فى تلك الأرض يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمس الفرض . ويقسم الباقى على المجاهدين حتى وزعت بينهم أجمعين ، وكان جميع ما حصل من الإبل ثلاثة آلاف من غير مبالغة ولا إسراف والذى جمع من الغنم فوق مائة ألف وأكثرها عاجلة الهلاك والحتف ولم يدرك من الخيل إلا قليلا ونال أهل الإسلام عزا جليلا ونصرا مؤيدا جميلا وثوابا عظيما وأجرا جزيلا ورجع حزب البغى ذليلا وقد نكله الله (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ـ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) وأقام سعود على تلك الأمواه أيام ، وأطال بها المقام ثم بعد ذلك سار إلى الحساء ونزل عن المبرز شمالا وقد انشرح صدره ونعم بالا ومكث يدبر شؤونا وأحوالا ويعاقب من تبين فيه رعب ، وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجالا ويؤنب من نار إلى البحر ويوبخه مقالا ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع والمساعدة فى الجهاد والدفاع عند نزول طوارق الفتن وحلول عوارض المحن حتى ينالوا بذلك الدرجة العليا فى الأخرى والدنيا ويحوزوا أسمى المراتب السنية ويفوزوا بأسنى المطالب السمية ، واجتهد بعض أهل الحساء على بعض وصار لهم فى السعاية عنده إسراع وركض ، ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض وراموا بذلك إليه تقريبا ووصولا ومنزلة وتمكينا لديه وحصولا ، وجمعوا له فى ذلك الميدان من قبيح

الزور والبهتان جملة وفصولا (ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فدأبوا فى السعاية لديه بالنمائم والكل من أهلها للحظوظ الدنيوية رائم ولم يخشوا عاقبة المآثم ومن هو يخفى حالهم عالم وكاد أن يكون سوقها قائم لولاأن من الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم وأصبح لمناهجها يزيل عنها تلك المعالم ولجميع موادها حاسم ، وينشد قول شاعر عالم :

كذبت مناكم صرحوا أو جمجموا الدين أمتن والسجية أكرم
لا زدتمو تضيق صدر لم يضق والسمر فى ثغر الصدور تحطم
وزحفتمو بمحالكم لمجرب ما زال يثبت للمحال فيهزم
أنى رجوتم غدر من جربتمو منه الوفاء وجور من لا يظلم

ونهاهم عن تعاطى تلك الخصلة القبيحة الذميمة والكبيرة التى لا يرضاها فضلا عن كونه يتعاطاها من له مسكة من الدين أو شيمة ، فيالها من كبيرة فى الدين عظيمة لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد والتحذير والإعلام لكافة ذوى الدين والإسلام من سائر الأنام « لايشم عرف الجنة نمام » وقول الله تعالى فى الذكر الحكيم (ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم) لكفى عن اقترافها وسرعة الهجوم عليها والإقدام ، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس عليه مزيد من صحيح قول الأنام مما لاتحيط به الأفهام ولا تحويه الأرقام وتكل من سرده الأقلام ، ولا يليق باستقصائه هذا المقام .

قال المصنف مهنئا للأمير سعود ولأبيه عبد العزيز
فى قدوم سعود الحساء بعد قتل ثوينى بهذه الأبيات :

تلألأ نور الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشرك مزقه الظهر
وشمس الأمانى أشرقت فى سعودها ولاح بأفق السعد أنجمة الزهر
وجلا ظلام الخطب بيض صنائع كأن سناها فى غياهبه بدر
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت بصنع الله أحواله الكدر
فأيامه بالأنس بيض شوارق تضىء كما أضوى بديجوره فجر
وهبت رياح النصر والفوز والهنا تخفق لنا منها البشائر والبشر
وروّح روح الأنس كل موحد ففى قلبه سكر وما مسه خمر

كأنّ به من نشأة اللطف نشوة ... ترنح منها العطف واستحكم السكر
وغنت بروضات السرور بلابل ... يرجعن ألحانا يهش لها الصخر
فأصل التهانى دانيات قطوفه ... وفرع المنى غض وأوراقه خضر
ونادى منادى الحق بالخلق معلنا ... ألا فليحل الحمد وليعظم الشكر
فما قلب ذى ظهر بفيفا أضله ... وفاجأه عند التوى ذلك الظهر
بأفرح منا بالبشير وقوله ... أتى الفتح والإقبال والعز والنصر
أذيق العدا كأس الردى فسما الهدى ... وشلت يمين الشرك وانقصم الظهر
وفلت جنود المعتدين ومزقت ... وزال ظلام الشرك وانمحق النكر
فمن حامد منا ومثن وساجد ... لمولاه شكرا بعد ما انكشف الأمر
لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو ... وقد أدبروا يقفوهم الذل والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى ... إلينا فما أغناهم الكيد والجر
وقد زاغت الأبصار واحتنك الفضا ... علينا كأنّ الأرض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى ... وبادوا وما سادوا وعقباهم الخسر
جنود فساد وابتداع وفتنة ... يقودهم الإضلال والبغى والفجر
يريدون أن يطفوا مصابيح نوره ... ويخفوا قويما لا يرام له ستر
أبى الله أن يسمى الضلال على الهدى ... ويطمس أعلام الحنيفية الكفر
وتعلى البواغى والطواغى وحزبها ... على عصبة فى الدين شرعهم الذكر
وينسخ آيات الكتاب وحكمه ... لحون الغنا والعود والطبل والزمر
لقد فلّ عضب الشرك بل ثلّ عرشه ... وسل حسام الدين واندرس الشر
وحالت مغانيه وأقوت ربوعه ... وزالت مبانيه فساحته صفر
كأن لم تكن فيه الملاهى مرنة ... ولم يجتمع للهو فى ساحه سمر
نعى الشرك أحزاب الضلالة بعد ما ... تغشاهم الإذلال والعار والوزر
وقامت نواعى الرفض يندبن أهله ... بحرقة قلب فيه من فقدهم جمر
رمى الله أحزاب الضلال كما رمى ... ذوى الفيل إذ أعياه عن مكة الحصر
أديرت عليهم فى الشباك رحى الردى ... ودارت كؤوس للمنايا ولهم حمر
وحاق بهم ما أضمروا من طوية ... وخانهم المغوى وحانهم المكر

فهم مئات بالصبيحية اغتدت ... تراوحها الأشبال والذئب والنمر
مرابع فيها للطيور مراتع ... وترقص فيها النسر والحر والصقر
إذا مرها المجتاز يلفى موائدا ... وليس بها إلا كماة العدا جزر
رب طعيس لاطعيس تقشعت ... سحائب رجز بالمنايا لها شمر
لقد حق وعد الله واعتز جنده ... فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر
تولى إله الخلق نصرة دينه ... فأعلى منار الحق وانشرح الصدر
أرانا بهذا البطش ذو العرش آية ... وذكرى لنا فى ضمنها يظهر البشر
رأى جزعا منا فأبدى انتقامه ... وذكرنا للوعد إذجاءنا الصبر
على أنّ مولانا أبان بصنعه ... لنا أن جند الحق لم يدره الحجر
عيون القضا ليست نياما وسهمه ... مصيب فما يغنى عن القدر الحذر
وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة ... إلى قصده والعسر يتبعه اليسر
تمنى رجال أن ينالوا مناله ... وقد عاهدوا بالبيع أن سامهم سعر
فهم فى انتظار النحب يرجون فوزهم ... وقد سمحوا بالعمر إن حارب الغمر
فمن مبلغ عنى العداة رسالة ... أنيبوا فما يأويكم السهل والوعر
أتيتم إلينا راغمين قطيعة ... فحل بكم بأس وعاجلكم حذر
ورمتم ذرى السمحا وجب سنامها ... وهدم دعامات عليها رسى قصر
وناوأتم الإسلام والله دونه ... وأحزابه والسمر والبيض والبتر
تقاسمتم الأحساء قبل منالها ... فللروم شطر والبوادى لهم شطر
أمانى من أردى العباد بمكره ... وما وعده إلا الأباطيل والغدر
تعستم فهجر دونها خطة البلا ... ودون حماها يقطع الهام والنحر
ومن دونها يوم به يرعف القنا ... وتروى المواضى والمثقفة السمر
بها الأسل كالآجام والأسد حولها ... مثال الرواسى والنجيع به بحر
أنيبوا سراعا قبل أن يهتك الغطا ... ويكشف عن وجه المخدّرة الخدر
أفيقوا فأنتم فى دجى غمرة الردى ... وأبصاركم عمى وفى سمعكم وقر
ألم ينهكم عنى مهيع الغى ما جرى ... ففيه لذى الألباب عن غيهم زجر
ألم يأن أن تأووا إلى معقل الهدى ... فقد جاءت الآيات واستتبع النذر

تبين نهج الحق والرشد للورى فليس لمن ينجو سبيل الردى عذر
وقامت على الدين القويم شواهد يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
فآياته محفوظة عن معارض وراياته لا يستطاع لها كسر
يشيعها التسديد حيث تيممت ويتبعها التأييد والنصر والقهر
تشعشع من خمسين عاما ضياؤه ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر
سقى قبر من أحياه شؤبوب رحمة وعم سحاب العفو من ضمه القبر
فقد جاءنا يدعو إلى الدين بعد ما عفى رسمه والأرض من نوره قفر
فجادله الأحبار فيما أتى به من الحق والبرهان يكشفه السبر
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه وصار إليه الفلج والورد والصدر
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة لملة آباء عليها مضى العمر
وهموا بما لم يدركوا من وقيعة فما ناله مما أرادوا به ضر
نفته العدا لما جفته أقارب فآلواه بل سواه من خصه البر
فجاهد حتى أطلع الله بدره بآل سعود حين شد له الأزر
فهم أنجم للمهتدين وصارم شباه بهام المعتدين له طر
لقد أحرزوا خصل الفخار وأبرزوا من الدين مطويا فلاح له نشر
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة وضوح نبت الشرك وانقطع البذر
بهدى إمام المسلمين ومهده أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
تهن بهذا الفتح يابن محمد فقد تم للدين القويم به فخر
هنيئا لك الفتح الذى فتحت له السـ ـموات والفردوس وافتخرت هجر
هنيئا لك الفتح الذى طأطأت له جباه الملوك الصيد واتضع الكبر
فهذا هو الفتح الذى بضيائه تهلل وجه الدهر وابتسم الثغر
وهذا هو الفتح الذى جل قدره فليس بحصى فضله النظم والنثر
فلله فتح طبق الأرض صيته وهزت به البلدان وارتعدت مصر
بك الدين ياعبد العزيز مؤيد يعززه بالبيض أبناؤك الغر
فراع جناب الحق فى الخلق وارعهم بعدل وإحسان لكى يعظم الأجر
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع بهم قول واش جل مقصوده التبر

يسارع في سخط الإله تقرّبا   إليك لكي يدني فينمو له الوفر
ولا تصطفي للنصح إلا مجرّبا   تقيا نقيا ليس في قلبه وحر
فلا بد من حشر ونشر وموقف   مهول به التقوى تكون هي الذخر
وبالعدل والإحسان والعفو والتقى   ينال الرضى والملك يبقى له الحبر
أنابك مولاك الكرامة في الجزا   وجادك من هطال سحب الرضى قطر
سعود بهذا الفتح هنيت فليكن   يقابله منك التجاوز والغفر
وإسبال ذيل العدل والصفح والرضى   لجان فان العفو يسمو به الحرّ
أساء الأعادي ظنهم فيك فاعتدوا   وما علموا ماينتج الرأى والفكر
فظنوا سفاها أن حزمك رازم   وعزمك معقول اليمين به حصر
وأنك وان بعد إدلاجك السرى   وحدّك من بعد المضاء به دثر
وقد عرفوا منك الشهامة والدها   ومن بأسك المشهور عندهم الخبر
فأنساهم الشيطان مايعرفونه   ليقطع منهم حيث أغواهم الدبر
وما جحدوا مااستيقنوا منك في اللقا   ولكنهم من شؤم أعمالهم غرّوا
وما غرهم إلا تأنيك عنهمو   ولم يفهموا أن الأناة لها سرّ
فبرد الوغى مالم يجد نسجه الحجا   ويحكمه التدبير قبل اللقا طمر
وأصل الوغى التدبير والرأى ساقها   وأغصانها صبر وأثمارها نصر
فلبثك عن صدم الأعادي خديعة   ومكر فما يلفى عليك به سخر
وتالله مااخترت المقام على اللقا   لجبن ولكنّ المراد بهم فقر
وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت   وخوّاض حاميها إذا حمى الدهر
بربك أركان الشريعة قد رست   وقوّم منها ماتخلله الصعر
لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة   فقد زانت الدنيا بوجهك والعصر
وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم   فقد زاحفت عنك المهابة والذعر
وقابلهم بأس الإله ورجزه   وصاح بهم صوت القضاء ألا فروا
فولوا سراعا مدبرين وخلفهم   ليوث شرى من طبعها الفتك والأسر
عصابة توحيد إذا اشتبك القنا   وضاق مجال الخيل وانتفخ السحر
تخوض عباب النقع والموت ناقع   كأنّ حياض الموت عندهمو نهر

أدام لهم ربى بك النصر والهنا ... كما للعدا منك النكاية والقسر
وأولاك مجدا يحسر الطرف دونه ... ويقصر عن إدراكه البدو والحضر
ولا زلت فى الدنيا عزيزا مؤيدا ... لك النقض والإبرام والنهى والأمر
ودونك من خرد القريض خريدة ... يجل سناها أن يماثله الدر
تحتك وخمر التيه يهصر عطفها ... عسى أن يرى حسن القبول لها مهر
وأزكى صلاة يبهر البدر حسنها ... على خير مبعوث به رفع الأصر
كذا الآل والأصحاب ماجادت الصبا ... على الروض مطلولا فعطرها الزهر

وفيها غزا ربيع بأهل الوادى ومن يرعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادى، فسار حتى نزل فى أرض بيشة فأعد عند الجنينة والشقيقة ، وكانتا للمسلمين هناك جنده وجيشه ، فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا وينالون منها عظم البلايا ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين ، فليسوا من مقاساة القتال بمستريحين ، فأقاموا على تلك الأحوال مدة يقاسون منه تضييقا وشدة ، فلم يحسن لهم تلك الأيام فى بلدانهم سكنى ولا مقام ، ولا يهنئون بطعام ولا يجدون راحة منام حتى أقبلوا على القسر منهم والإرغام إلى منهج الاستسلام ، فطلبوا الدخول فيه ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد ذلك وينفيه ، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام ، وعاهد على ذلك كثير من القرى حتى جرى عليهم من الردة ماجرى .

وسبب ذلك : أن غالبا الشريف لما تحقق عنده ماجرى على أهل بيشة تكدر حاله وتنغصت عليه المعيشة فدبر فكرته وحيلته وحقق قصده ووسيلته ، فأظهر جيشا كثيرا وجما غفيرا واستمد سائر البوادى ، فكل بالاسراع أجاب ذلك المنادى ، فرأس فيهم الشريف فهيد فخرج بأعظم الكيد وسار حتى نزل على الجنينة وكانت للإسلام سابقة، وتلك القرى بعدها لاحقة ، فدعاهم إلى النزول بالأمان أوقطع تلك البواسق الحسان، فأجابوه لذلك من غير توان وظهروا عليه من ذلك المكان ، فأوقع بهم الخزى والهوان ، وقتل منهم كثيرا من أهلها ممن يدعى الدين وينتسب للموحدين ، وأسر أناسا كثيرة ونهب البلاد وعاينوا أقبح الفساد ، ثم بعد مضى ذلك وانقضائه وصدور قدر الله وقضائه على أولئك العباد وما نالوا من الذل والأنكاد ، سار إلى رنية عاجلا وكان لنيل المأرب منها آملا، فأناخ على النخيل والحلل ورام أن يقطعها على مهل ، وظن

أهلها إليه لايخرجون ، وإذا رأوه يقطعها يزعجون ، ويحنون عليها حنين الثكلى وكفى بذلك تنكيلا ونكلا ، أن لايدركوا منها أكلا ؛ فحين نزل قريبا منها خرجوا إليه سراعا فنحوه عنها وطال بينهم مجال القتال وصبر على البأس أولئك الرجال وطاعنوا دون الحلل والنخيل وليس عندهم سوى الرجا تأميل ، فأمدهم بالنصر والظفر من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم وكبت على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم بعد ماسول لهم الشيطان وأملى لهم ، فقتلوا منهم مائة رجل ثم انهزم فهيد ومن معه على عجل . وفيها غزا هادى ابن قرملة مع كثير من قومه قحطان وقليل من سائر العربان ، فسار حتى انفلق له ضياء الأمل وتقشع عنه قتام النصب والكسل ، فأبصرت القوم عيونه فحققت ظنونه ؛ فعند ذلك كسا تلك الأقوام من نقع الغارة قتام ، ودجى عليهم من سنابك الجياد ظلام ، فاشتد لزحام وحانت المضاجع فى الرجام فاجتلدوا لحظة ، وكل أخذ من النجدة حظه ، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء وحامت على رءوسهم عقبان الردى ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل المسلمون منهم نحو الستين وأخذوا منهم كثيرا من الإبل ورجعوا بحسن الأمل .

ثم بعد مضى شهرين عاد عليهم طائف البين ، فأغار عليهم هادى بن قرملة فأدرك منهم فوق ماأمله ، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادى فكان طالع الإقبال لهادى ، فصدقت أبطاله ونصحت رجاله فحسنت عند ذلك حاله . فانهزم أعداؤه ونجح رجاؤه ، فأخذ من الغنم ألوفا وجرع أربعين رجلا الحتوف ، وأدرك بعض الآبال فنعم له البال . وفيها رأس سليمان باشة بغداد حمود بن ثامر بعد ماقتل الله ثوينى وانهزمت تلك الجيوش والعساكر ، وكتب الله عليهم التمزيق والشتات فتفرقوا أيادى سبا فى الفلاة ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات ، صبر ولا اجتماع ولا التفات ، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان إذ رأس حمودا على البصرة والبلدان تقبل عليه وتجتمع لديه ويكون لهم فى التخريب أمر وشان ، فأرسل إليه النجب والبريد بذلك للترئيس والتأييد مصحوبا بخلعة فاخرة جميلة وصلات وافرة جزيلة ، فترنح عطفه بخمرة الملك ، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السلك ، وأشرق ناديه بعد ذلك الحلك ولم يدر أنه طوّق بأطواق من الشر والهلك .

فلما أدرك الرياسة واحتوى ، وكرع فى مواردها حتى تضلع وارتوى ، وما خطر على باله ماكمن فى ضمنها وانطوى وتسنم كاهل السياسة وارتقى ، واختار من أعوانها

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتحلى بحلاها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالبة وأنه يدرك منهم مطالبه وسيعلم من تكون له العاقبة،وأنها كما نطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع ،فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبحوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كمينا للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمى يصيب فيهم ويحيد وكل من الفئتين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك الكمين المعدود فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك صدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى شرابهم وعجل الله تعالى لهم عذابهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقى منهم منهزمين . وفى تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العمائر وهو إذ ذاك للقطيف سائر، فقتل ومن معه وجرع حمامه بجرعه. وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن ديماس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شنيعا فقيد وأسر بعد ما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين فى الدرعية فحاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكأنه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجته تورع فى المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيح فعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدرؤها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن ديماس يعانى همّ الأحباس. وفيها أغار مشارى بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والمنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه فى البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لكل شيطان مريد وبذل جده فى مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير ممن حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بينهم الواسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزغوا إلى طريق المبطلين ، وكان التنكيل بالمال مما لاخفاء فى جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفى الإسلام رغبة واغتباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان ، ولم يبق ممن يسيم مواشى الآبال فى تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهمه ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهقه وأحزنه ما صدر من حالهم ودخولهم فى الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل فى بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعراب والبوادى ومكابرتهم بالجيوش والعوادى ، فعند ذلك شمر فى الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيعا وخرجوا معه تبعا، فجد فى وجهته مسرعا فوافى عيونا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أراده وأمله ، فلم يشعر هادى إلا بغالب عليه عادى وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارسا من الشجعان ، فحمى بينهم سعير الوغى ولم يكن دون الجلاد مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم فى غاية الجلاد والمراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخذمنها بعضا فى ذلك المجال وأخذ كثيرا من بعير الظهر ذى الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادى ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء القنصلية ، ثم سار

إلى رنية من غير ونية فنزل عليها ليالى وأيام ، وحاصر من فيها من الأنام ممن دان للإسلام ، وحاول نزول أهلها بلين الكلام ورغبهم فى نبذ العهد والذمام ، فلم يفز منهم بسول ولا مرام ، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل ، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه وصمموا فى البيعة عليه ، فالتقوا ذلك اليوم وحمى القتال بين القوم وقتل بينهم رجال ثم وقع التفرق والانفصال وأقام على تلك الحال أياما وليال ، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه وخزيه وأعوانه . وذلك أنه فى بعض تلك المواطن وأهل البلاد يقاتلونه فى بعض الأماكن ، ونار الوطيس بينهم حامية وعيون الجراح منهم دامية عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته فوقع بينهم قتال وقتل كثير من أحزاب الشريف فى ساعته ، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفى يومه مائة وزيادة فانصرف ولم ينل منها مراده ولم يرد تعالى إسعاده ، بل سلب منه مدده وإمداده ولما أتى الخبر عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب ويسلك معه ما أراد من المذاهب ويعينه على ذلك العدو المحارب ، وكان سعود بلغه الله المقصود إذ ذاك مقيما بالأجردى ، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدى ، فأتاه الخبر اليقين بما صار من المعتدين وحزب غالب المسرفين ، فأرسل ربيعا أمير الوادى مع جمع من المسلمين ممن كانوا معه مجتمعين وللغزو فى تلك الأيام مريدين فأمرهم أن يعجلوا المسير ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير ويشمروا ساعد الهمة والعزمة أتم التشمير ، فساروا منه وهو فى ذلك المكان ، فصار ولله الحمد له شان ولهم شان وحصل لكل منهم بهجة وسرور وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار ، فقصد سعود السهى وجعله أمامه ، وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة فنال كل من المسلمين مرامه وأدرك العز والكرامة وبعد ما صار من غالب تلك الأفعال جر من الفخر الأذيال ، فشمر إلى بيشة سائرا وعلى من بها من المسلمين غائرا ولمن له فيها من الجماعة معينا وناصرا ، فرجعه الله تعالى ذليلا خاسرا مهانا مشتتا ولله الحمد عاثرا ، وذلك أنه لما أتى إليها وأناخ بجمعه عليها هرب من فيها من المسلمين ولم يكونوا فى تلك البلدان مقيمين وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيشة كثيرة كان لهم فى الدين بعض بصيرة فتفرقوا فى رنية والوادى وكان الله تعالى لهم مرشدا وهادى ، وحملهم على الهجرة والهرب والفرار عن المسكن

الذى هو للنفوس مطلب سبب هو أعظم السبب . وذلك أن غالب تلك البلاد يرغبون فى منهج الغى والفساد وأنهم أنفوا من أهل الدين وكانوا لعداوتهم مضمرين ، وتبين وظهر وتحقق واشتهر أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف يأتى إليهم بلا توقف ولاتوقيف ، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف ، فأتاهم سريعا لذلك الحال فأقام عندهم أياما وليال يرتب ما أراد من الأحوال . ثم لما عزم على المسير والارتحال أخذ أناسا معه فى الاعتقال وقادهم معه فى السلاسل والأغلال فشمر عن ساعد المسير لما يريده من الحزم والعزم والتدبير ، فنال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير ، فالحمد لله العلى الكبير وذلك أنه أسرع فى تسياره يريد قضاء بعض أوطاره حتى يرجع متبجحا عند رعيته وأنصاره ويدخل متبخترا بحضرة بلده وأهل داره ، فنزل على قرية يقال لها الخرمة وفيها سكن قليل من الناس مسلمة ، فلما علموا بقدومه لتلك القرية هربوا وندوا وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا فتعلقوا البدوان وساروا مع العربان ، فساعة أناخ بها ركابه ومد بها أطنابه وقر له بها القرار أشعل فى تلك القرية النار وعجل الله لها بالدمار ، وكانت عقباه فى يومه ذلك البوار وأظهر الملك القهار والمنتقم الجبار فيه للمسلمين آية الانتصار وعلما من أعلام الأقدار وبرهانا على الوحدانية لايعرف له مقدار ولايحاط بكنهه فى الفكر والاعتبار ، يجل عن القيام بحق حمـده وشكره وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره ، فمواهبه سبحانه لأهل الدين وفواضله على كافة الخلق أجمعين ونصرته لعباده المؤمنين وإعزازه لاوليائه المفلحين ، ودفعه عنهم صروف الحادثات والنوب وتفريجه عنهم الشدائد والـكرب أكثر من أن يعد ويحصر وأشهر من أن يحصى ويذكر ، ولـكن أين الألباب التى تعى ذلك وتفهم وتخلص التوحيد وتسلم وتحزن على ماجرى منها وتندم وتذكر ذاك الضلال الأعظم والغى الأقبح الأقدم فى ذلك الزمان الذى مضى وتقدم .

فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه ويوالى علينا فيض بره وآلائه وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا فى حسن رجائه .

وتحقيق الحديث والخبر عما جرى على غالب وجنده ممن شاهد الأمر وحضر ، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل وفعل بالأحراق له مافعل لم يكمل له أنس ولم تغب له فيه شمس حتى دهاه فيها ماأزهق الروح والنفس . وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المـكان وسار لقصد ذلك الشان

أتى خبره ربيعا أمير الوادى وابن قرملة أمير قحطان فاستعانوا بالرحيم الرحمن فى الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان ويوقعوا به بعض الذل والهوان، ولم يقع فى روعهم أنهم لجنده منازلون ولجيشه مصابرون ومقاتلون ولكن كما قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجدوا السير بأثره يطلبون ولبعض النصرة عليه من مولاهم مؤملون ، فلم يفجؤهم إلا وفرسانهم عليه مشرفون وذكر له أن هؤلاء ربيعا وهادى وقومهم متبعون ، فركض برجله الأرض وفحص وقال الآن افترس الضرغام واقتنص ولكن لا تروم السنانير الأشبال ولا يروم السرحان على الرئبال ولا تحوم بغاث الطيور على العقبان والنسور ، أيحاكى طنين الذباب زئير ليث الغاب ولئن حكت صولة الأسود فى الانتفاض الهررة والقرود ، فلا تناظرها فى البأس والورود والإقدام والنهود :

ومن رام فى الهيجا لقاء جحافلى ... وخوض لظى بأسى بيوم التنازل
فقد ضل فى قفر السفاهة والردى ... وألقى فى قعر الظنون السوافل
وأضحى ينادى بالحماقة جهرة ... ويرفل فى ثوب من الجهل نافل
أنسمو إلى مجدى وذروة مفخرى ... جميع الورى أو يدركون منازلى
مجاز تمنى دون ذاك مناله ... فأين الثريا من يد المتناول
أمان كلمع الآل لم يرو صادئا ... ويحسبه الظمآن عذب المناهل
لقد عدمتنى الكمت يوم مجالها ... ولا وسطت بى الجمع يوم التناضل
ولا أروت الأسل الظما

هذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغ مقابلته على عدة نسخ وقد صححناها على نسخة مقروءة على حجة نجد الشيخ الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ومتع المسلمين بمؤلفاته ونفعهم بإفاداته آمين ؟

الناشر

عبد المحسن أبا بطين

٢٠ / ٥ / ١٣٦٨

فهرس

الجزء الثانى من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة　　　　　　　　　　الموضوع

صفحة	الموضوع

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر